

٢١٩
ش ق

الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تأليف القاضي عياض، عياض بن موسى-٥٤٤ﻫ، كتب في القرن الحادي عشر الهجري تقديـــــرا.

٢٣١ ق

٢٥ س

٦٩٤٢ نسخة جيدة، خطها ٥ر٢١×٥ر١٣ســـم

تعليق حسن، طبع محققا سنة ١٩٨٤م

الأعلام ٥: ٢٨٢ كشف الظنون : ١٠٥٢

١- السيرة النبوية أ- المؤلف ب- تاريخ النسخ

١٤٠٦
م

شفاء شريف

[illegible]

[illegible]



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفقيه القاضي الامام ابو الفضل عياض بن موسى
بن عياض اليحصبي رضي الله عنه الحمد لله المنفرد باسمه الاسمى المختص
بالملك الاعز الاحمى الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى
الظاهر لا تخيلا ولا وهما والباطن تقدسا لا عدما وسع
كل شيء رحمة وعلما واسبغ على اوليائه نعما عما وبعث فيهم
رسولا من انفسهم عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنمى
وارجحهم عقلا وحلما واوفرهم علما وفهما واقواهم يقينا وعزما
واشدهم بهم رافة ورحمى زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا
ووصما واتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا عميا واذانا صما
فامن به وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة
قسما وكذب به وصدف عن اياته من كتب الله عليه الشقا
حتما ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى صلى الله
عليه وسلم صلاة تنمو وتنمى وعلى آله وسلم تسليما اما بعد اشرق
الله قلبي وقلبك بانوار اليقين ولطف لي ولك بما لطف
به لاوليائه المتقين الذين شرفهم الله بنزل قدسه واوحشهم
من الخليقة بانسه وخصهم من معرفته وعجايب ملكوته و

ملكوته واثار قدرته بما ملا قلوبهم حبرة ووله عقولهم في
عظمته حيرة فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره
فهم بمشاهدة كماله وجلاله يتنعمون وبين اثار قدرته وعجايب
عظمته يترددون وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون
لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
فانك كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى
صلى الله عليه وسلم وما يجب له من توقير واكرام وما حكم من
لم يوف واجب عظيم ذلك القدر او قصر في حق منصبه الجليل
قلامة ظفر وان اجمع لك ما لاسلافنا وايمتنا في ذلك من مقال
وابينه بتنزيل صور وامثال فاعلم اكرمك الله تعالى انك حملتني
من ذلك امرا امرا وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا وارقيتني
بما كلفتني مرتقى صعبا ملا قلبي رعبا فان الكلام في ذلك
يستدعي تقرير اصول وتحرير فصول والكشف عن غوامض
ودقايق من علم الحقايق مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم او
يضاف اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة
والنبوة والمحبة والخلة وخصايص هذه الدرجة العلية وههنا
مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر فيها الخطا ومجاهل تضل فيها
الاحلام ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض تزل بها
الاقدام ان لم تعتمد على توفيق من الله وتاييد لكني لما رجوته
لي ولك في هذا السؤال والجواب من نوال وثواب بتعريف
قدره الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصايصه التي لم تجتمع قبل
في مخلوق وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع
الحقوق ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا
ايمانا ولما اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس
ولا يكتمونه ولما حدثنا به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه

رحمه الله بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد قال حدثنا ابو
عمر النمري حدثنا ابو محمد بن عبد المنعم حدثنا ابو بكر محمد بن بكر حدثنا
سليمان بن الاشعث حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد حدثنا
علي بن الحكم عن عطاء عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم
القيمة فبادرت الى نكت مسفرة عن وجه الغرض مؤديا من
ذلك الحق المفترض اختلستها على استعجال لما المرء بصدده من شغل
البدن والبال مما طوقه الانسان من مقاليد المحن التي ابتلي بها
فكادت تشغل عن كل فرض ونفل وترد بعد حسن التقويم
الى اسفل سفل ولو اراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه كله
فيما يحمد غدا او يذم محله فليس ثمة سوى حضرة النعيم او عذاب
الجحيم ولكان عليه بخويصته واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده و
علم نافع يفيده او يستفيده جبر الله صدع قلوبنا وغفر عظيم
ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا
ويقربنا اليه تعالى زلفى ويحظينا بمنه ورحمته ولما نويت تقريبه
ودرجت تبويبه ومهدت تاصيله وخلصت تفصيله وانتحيت
حصره وتحصيله ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله
عليه وسلم وحصرت الكلام فيه في اقسام اربعة القسم الاول
في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم
وتوجه الكلام فيه في اربعة ابواب الباب الاول في ثنائه تعالى
عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول الباب الثاني
في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل
الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا الباب
الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند
ربه ومنزلته وما خصه الله به في الدارين من كرامته وفيه اثنى عشر

عشر فصلا الباب الرابع فيما اظهره الله على يديه من الآيات
والمعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات وفيه ثلاثون
فصلا القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام
ويترتب القول فيه في اربعة ابواب الباب الاول في فرض
الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول
الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول الباب
الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته و
فيه عشرة فصول القسم الثالث فيما يستحيل في حقه صلى الله
عليه وسلم وما يجوز عليه وما يمتنع وما يصح من الامور البشرية
ان يضاف اليه وهذا القسم اكرمك الله هو سر الكتاب ولباب
ثمرة هذه الابواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل
عليه لما نورده فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده
والمنجز من غرض هذا التاليف وعده وعند التقصي لموعدته
والتفصي عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب
المؤمن باليقين وتملأ انواره جوانح صدره ويقدر العاقل
النبي عليه السلام حق قدره ويتحرر الكلام فيه في بابين الباب
ما يختص بالامور الدينية ويتشبث به القول في العصمة وفيه
ستة عشر فصلا الباب الثاني في احواله الدنيوية وما يجوز
طروه عليه من الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول القسم
الرابع في تصرف وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه عليه السلام
وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الاول في بيان ما هو في حقه
سب او نقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول
الباب الثاني في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته
وذكر استتابته والصلوة عليه ووراثته وفيه عشرة

فصول وختمناه بباب ثالث وجعلناه تكملة في حكم لهذه
المسئلة ووصلة للبابين اللذين قبله في حكم من سب الله تعالى
ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي وصحبه واختصرنا الكلام
فيه في خمسة فصول وبتمامها ينجز الكتاب ويتم الاقسام و
الابواب وتلوح في غرة الايمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم
درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وتحسم وتشفي
صدور قوم مؤمنين وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين و
بالله تعالى لا اله سواه استعين القسم الاول في تعظيم العلي
الاعلى لقدر المصطفى قولاً وفعلاً قال الفقيه القاضي ابو
رضي الله عنه لا خفاء على من مارس شيئاً من العلم او خص
بادنى لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا صلى الله عليه
وسلم وخصوصه اياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط
بزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الالسنة والاقلام
فمنها ما صرح به تعالى في كتابه ونبه به على جليل نصابه واثنى
به عليه من اخلاقه وآدابه وحض العباد على التزامه وتقلد ايجابه
فكان جل جلاله هو الذي تفضل واولى ثم طهر وزكى ثم مدح
بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى فله الفضل بدءاً و
عوداً وله الحمد اولى واخرى ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه
على اتم وجوه الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق
الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل العديدة وتاييده
بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البينة
التي شاهدها من عاصره وراها من ادركه وعلمها علم اليقين
من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك الينا وفاضت
انواره علينا صلى الله عليه وسلم كثيراً حدثنا القاضي الشهيد

الشهيد ابو علي الحسن بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه قال
حدثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل احمد
بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي قال حدثنا ابو
علي السنجي قال حدثنا محمد بن احمد بن محبوب قال حدثنا ابو
عيسى بن سورة الحافظ قال ثنا اسحق بن منصور قال حدثنا
عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن انس رضي الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجماً مسرجاً
فاستصعب عليه فقال له جبريل امحمد تفعل هذا فما ركبك احد
اكرم على الله منه قال فارفض عرقاً الباب الاول في ثناء الله تعالى
عليه واظهاره عظيم قدره لديه اعلم ان في كتاب الله العزيز ايات
كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى وعد محاسنه وتعظيم امره وتنويه
قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة
فصول الفصل فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن
كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الآية قال السمرقندي وقرأ
بعضهم من انفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم قال الفقيه الامام
ابو الفضل وفقه الله اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب واهل مكة او جميع
الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه بعث
فيهم رسولاً من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانته ويعلمون
صدقه وامانته ولا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه
منهم وانه لم تكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولادة او قرابة وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله
تعالى الا المودة في القربى وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم
على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد باوصاف حميدة
واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم و
شدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه ورأفته

ورحمة بمؤمنيهم قال بعضهم اعطاه الله اسمين من اسمائه رؤف
رحيم ومثله في الآية الاخرى قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين
اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الآية ومثله في الآية الاخرى هو الذي
بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم الآية وقوله تعالى كما ارسلنا
فيكم رسولا منكم وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عنه
عليه السلام في قوله تعالى من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس
في ابائي من لدن آدم سفاح قط كلنا نكاح قال ابن الكلبي كتبت
للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة ام فما وجدت فيهن سفاحا
ولا شيئا ممن كان عليه الجاهلية وعن ابن عباس رضي الله عنهما في
قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى
اخرجتك نبيا قال جعفر بن محمد علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم
ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته فاقام بينه و
بينهم مخلوقا من جنسهم في الصورة البشرية البسه من نعته نعت
الرأفة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته
وموافقته موافقته فقال الله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع
الله وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال
ابو بكر بن طاهر زين الله محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة
وكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصاب
شيئا من هذه الرحمة فهو الناجي في الدارين من كل مكروه و
الواصل فيهما الى كل محبوب الا ترى ان الله تعالى قال وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حيوته رحمة ومماته رحمة
كما قال صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم ومماتي خير لكم وكما اذا اراد
الله رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها سلفا وفرطا قال
السمرقندي رحمة للعالمين يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق
للمؤمنين رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل و

القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب قال ابن عباس هو رحمة
للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم
المكذبة وحكي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام
هل اصابك من هذه الرحمة بشيء قال نعم كنت اخشى العاقبة
فامنت لثناء الله علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم امين وروي عن جعفر بن محمد الصادق في
قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك انما وقعت
سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله
تعالى الله نور السموات والارض الآية قال كعب وابن جبير
المراد بالنور الثاني ههنا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله
مثل نوره اي نور محمد وقال سهل بن عبد الله المعنى الله
هادي اهل السموات والارض ثم قال مثل نور محمد اذ كان
مستودعا في الاصلاب كمشكاة صفتها كذا واراد بالم
بالمصباح قلبه والزجاجة صدره اي كانه كوكب دري لما فيه
من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة اي من نور
ابراهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها
يضيء اي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس
قبل كلامه كهذا الزيت وقيل في هذه الآية غير هذا والله اعلم
وقد سماه الله في القرآن في غير هذا الموضع نورا وسراجا
منيرا فقال تعالى لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه
وسراجا منيرا ومن هذا قوله تعالى الم نشرح لك صدرك
الى آخر السورة شرح اي وسع والمراد بالصدر القلب قال
ابن عباس رضي الله عنهما شرحه بالاسلام وقال سهل بنور
بنور الرسالة وقال الحسن ملأه حكما وعلما وقيل معناه

الم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس ووضعنا عنك
وزرك الذي انقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك يعني
قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل اراد ما اثقل ظهره
من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل عصمناك
ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي
ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت
معي في قول لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل في الاذان والاقامة
والتشهد قال القاضي ابو الفضل هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه
صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده و
كرامته عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه لوعي
العلم والحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما
كانت عليه بظهور دينه على الدين كله وحط عنه عهدة اعباء الرسالة
والنبوة لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانته وجليل
رتبته ورفع ذكره وقرانه اسمه مع اسمه قال قتادة رفع الله ذكره
في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة
الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وروى ابو سعيد
الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي
وربك يقول اتدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال
اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطاء جعلت تمام الايمان بذكري
معك وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني
وقال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني
بالربوبية واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة ومن ذكره معه تعالى
ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال اطيعوا الله واطيعوا
الرسول وآمنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة و
لا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه صلى الله تعالى عليه وسلم حدثنا

حدثنا الشيخ ابو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه
وقرأته على الثقة عنه قال حدثنا ابو عمر النمري قال حدثنا ابو محمد بن
عبد المؤمن حدثنا ابو بكر بن داسة حدثنا ابو داود السجزي
حدثنا ابو الوليد الطيالسي حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله
بن يسار عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله
ثم شاء فلان وقال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى
الادب في تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه واختارها
بثم التي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك ومثله
الحديث الآخر ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له   فقد ح
رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم انت قم (اي قل)
او قال اذهب قال ابو سليمان كره الجمع بين الاسمين بحرف الكناية
لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على من
يعصهما وقول ابو سليمان اصح لما روي في الحديث الصحيح
قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقد   اختلف ح
المفسرون واصحاب المعاني في قوله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي هل يصلون راجعة الى الله تعالى والملائكة
ام لا فاجازه بعضهم ومنعه آخرون لعلة التشريك وخصوا
الضمير بالملائكة وقدروا الآية ان الله تعالى يصلي وملائكته
يصلون وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك
عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد
اطاع الله وقد قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله الآيتين وروي انه لما نزلت هذه الآية قالوا ان
محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى عليه السلام

فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فقرن طاعته بطاعته رغماً لهم وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى
في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم
فقال ابو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه رضي الله عنهم
حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه وقال هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى
ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله صراط الذين
انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح وحكى
الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد
الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله
تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى انه محمد صلى الله عليه وسلم و
قيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد وقال سهل في قوله وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها قال نعمته محمد صلى الله عليه وسلم وقال
تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم
المتقون الآيتين اكثر المفسرين على ان الذي جاء بالصدق
هو محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم وهو الذي صدق
به وقرئ صدق به بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق
به المؤمنون وقيل ابو بكر وقيل علي رضي الله عنهما وقيل غير
هذا من الاقوال قال مجاهد في قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن
القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه الفصل
الثاني في وصفه تعالى له بالشهادة وما يتعلق بها من
الثناء والكرامة قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهداً
ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله الآية جمع الله تعالى له في هذه
الآية ضروباً من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة

مطلب فصل ثاني

المدحة فجعله شاهداً على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهي من
خصائصه صلى الله عليه وسلم ومبشراً لاهل طاعته ونذيراً لاهل
معصيته وداعياً الى توحيده وعبادته وسراجاً منيراً
يهتدى به للحق اخبرنا الشيخ ابو محمد بن عتاب رحمه الله اخبرنا
ابو القاسم حاتم بن محمد اخبرنا ابو الحسن القابسي اخبرنا ابو زيد
المروزي اخبرنا ابو عبد الله محمد بن يوسف اخبرنا البخاري حدثنا
اخبرنا محمد بن سنان اخبرنا فليح اخبرنا هلال عن عطاء بن يسار
قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت اخبرني عن
صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف
في التورية ببعض صفته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للاميين انت عبدي ورسولي
سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق
ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله
تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به
اعيناً عمياً وقلوباً غلفاً وذكر مثله عن عبد الله بن سلام و
كعب الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن اسحق ولا صخب في الاسواق
ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل
خلق كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره
والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام
ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع
به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني
به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واؤلف به بين قلوب مختلفة
واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس
وفي حديث آخر اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته
في التورية عبدي احمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة

كل

والعفو والمعروف خلقه والعدل
سيرته والحق شريعته واله صح

متشتتة بيان

او قال طيبة امته الحمادون لله تعالى على كل حال وقال تعالى
الذين يتبعون الرسول النبي الامي الايتين وقد قال تعالى
فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا
من حولك الاية قال السمرقندي ذكر الله تعالى منته انه جعل
رسوله رحيما بالمؤمنين رؤفا لين الجانب ولو كان خشنا فظاخ
في القول لتفرقوا من حوله لكن جعله الله سمحا سهلا طلقا برا
لطيفا قاله الضحاك وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال ابو
الحسن القابسي ابان الله تعالى فضل نبينا محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية وفي قوله في الاية الاخر
وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس
وكذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الاية
وقوله وسطا اي عدلا خيارا ومعنى هذه الاية وكما هديناكم
فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة وسطا خيارا
عدولا لتشهدوا للانبيا على اممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق
قيل ان الله جل جلاله اذا سئل الانبيا هل بلغتم فيقولون نعم فتقول اممهم
ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد صلى الله عليه وسلم للانبيا عليهم
ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الاية انكم حجة
على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال
تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة
والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم
يشفع لهم وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم عليه السلام وقال
ابو سعيد الخدري رضي الله عنه هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله
عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل بن عبد الله
التستري هي رحمة سابقة اودعها في محمد صلى الله عليه وسلم

سلم وقال محمد بن علي الترمذي هو امام الصادقين والصديقين
الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم
مطلب فصل ثالث حكاه عنه السلمي الفصل الثالث فيما ورد في خطابه اياه مورد
الملاطفة والمبرة من ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت
لهم قال ابو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله و
اعزك الله وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان
يخبره بالذنب وحكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك
الله يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدأ النبي صلى الله
ان ينشق به عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من
هيبة هذا الكلام لكن الله برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه
ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق
في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما
لا يخفى على ذي لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون
معرفة غايته بياض نياط القلب قال نفطويه ذهب
الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه
من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله لو لم ياذن لهم لقعدوا
لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال الفقيه القاضي ابو
الرايض هو من رضت الدابة روضا اذا ذللتها للانقياد [illegible] الفضل رضي الله عنه يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام
الشريعة خلقه ان يتأدب بآداب القرآن في قوله وفعله و
معاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الاداب
الدينية والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال
من رب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثير ما
فيها من الفوائد كيف ابتدأ بالاكرام قبل العتب وآنس بالعفو
قبل ذكر الذنب ان كان ثمة ذنب وقال تعالى ولولا ان ثبتناك
لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله

تعالى الانبياء بعد الزلات التي تسقط الشهادة ولا تخدش
المروات في قبول اصل ما يصون به من الخطرات وعاتب نبينا
صلى الله عليه وسلم قبل ذكر ذنبه ليكون بذلك اشد انتهاضا
او محافظة لشرائط المحبة وهي غاية العناية ثم انظر كيف بدأ
بثنائه وسلاته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف ان يركن اليه
فقدم اثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تأمينه وكرامته ومثله قوله
تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك الآية
وقال علي رضي الله عنه قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم
انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى
فانهم لا يكذبونك الآية وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما
كذبه قومه حزن فجاءه جبريل عليه السلام فقال ما يحزنك فقال كذبني قومي
فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله تعالى الآية ففي هذه
الآية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له صلى الله عليه
وسلم والطافه في القول بان قرر انه صادق عندهم وانهم غير
مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه
قبل النبوة الامين فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب
الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال الله
تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فحاشاه من الوصم
وطوقهم بالمعاندة وتكذيب الآيات حقيقة الظلم اذ الجحد
انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره كقوله تعالى وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وانسه بما ذكره
عمن كان قبله ووعده بالنصرة بقوله ولقد كذبت رسل من
قبلك الآية فمن قرأ يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك
كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل
لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه

فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل معناه لا يعتقدون كذبك
ومما ذكر من خصائصه وبرائه تعالى به ان الله تعالى خاطب
جميع الانبياء باسمائهم فقال يا آدم يا نوح يا ابراهيم يا عيسى يا
زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو الا يا ايها النبي يا ايها الرسول يا ايها
المزمل يا ايها المدثر الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره قال
تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير في هذا انه
قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم
واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه
وبقائك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية
التعظيم وغاية البر والتشريف وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما
خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه
وسلم وما سمعت الله تعالى اقسم بحياة احد غيره وقال ابو الجوزاء ما اقسم
بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم البرية عنده وقال
تعالى يس والقرآن الحكيم الآيات اختلف المفسرون في معنى يس
على اقوال فحكى ابو محمد مكي فقال انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لي عند ربي عشرة اسماء ذكر ان منها طه ويس اسمان له وحكى
ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق رضي الله عنه انه اراد يا سيد
باستيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس يس
يا انسان اراد محمدا صلى الله عليه وسلم وقال هو قسم وهو من
اسماء الله تعالى وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل
يا انسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب يس قسم اقسم الله
به قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام يا محمد انك لمن
المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين فان قدر انه
من اسمائه صلى الله عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من
التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه وان

مطلب فصل الرابع

كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة
بهدايته اقسم الله تعالى باسمه وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه
الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه اى على طريق لا اعوجاج
فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من
الانبياء بالرسالة فى كتابه الا له وفيه من تعظيمه وتمجيده على تاويل
من قال انه يا سيد ما فيه من الفخر وقد قال صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد آدم ولا فخر قال الله تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل
بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه
مكى وقيل لا زائدة اى اقسم به وانت به حلال او حل لك ما
فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلاء
مكة وقال الواسطى اى نحلف لك بهذا البلد الذى شرفته
بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعنى المدينة والاول اصح لان السورة
مكية وما بعده يصححه قوله تعالى وانت حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء
فى تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين قال امنها الله بمقامه فيها وكونه
بها فان كونه امان حيث كان ثم قال ووالد وما ولد من قال اراد آدم
فهو عام ومن قال هو ابراهيم وما ولد فهى ان شاء الله اشارة الى محمد صلى
الله عليه وسلم فتتضمن السورة القسم به فى موضعين وقال تعالى الم
ذلك الكتاب لا ريب فيه قال ابن عباس هذه الحروف اقسام اقسم الله
تعالى بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله
التسترى الالف هو الله واللام جبريل عم والميم محمد صلى الله
عليه وسلم وحكى هذا القول السمرقندى ولم ينسبه لسهل وجعل معناه
الله انزل جبريل على محمد بهذا القرآن لا ريب فيه وعلى الوجه الاول
يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلة
قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطاء فى قوله تعالى ق
والقرآن المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم

سلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله
وقيل هو اسم للقرآن وقيل هو اسم لله وقيل هو جبل محيط بالارض
وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد فى تفسير قوله تعالى والنجم اذا هوى
انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال النجم قلب محمد صلى الله عليه
وسلم هوى انشرح من الانوار وقال انقطع عن غير الله وقال
ابن عطاء فى قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه
وسلم لان منه تفجر الايمان الفصل الخامس فى قسمه تعالى جده له

مطلب خامس

لتحقيق مكانته عنده قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى السورة
اختلف فى سبب نزول هذه السورة فقيل كان النبى صلى الله

ترك ح

قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امراة فى ذلك بكلام وقيل بل
تكلم به المشركون عند فترة الوحى فنزلت السورة قال القاضى
الامام ابو الفضل تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى
له وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم له عما
عما اخبره به من حاله بقوله تعالى والضحى والليل اذا سجى اى ورب
الضحى وهذا من اعظم درجات المبرة للنبوة الثانى بيانه
مكانته عنده وحظوته لديه بقوله تعالى ما ودعك ربك
وما قلى اى ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك
الثالث قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحاق
اى مالك فى مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا
وقال سهل اى ما ادخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير
لك مما اعطيتك فى الدنيا الرابع قوله تعالى ولسوف يعطيك
ربك فترضى وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة
وشتات الانعام فى الدارين والزيادة قال ابن اسحق يرضيه
بالفلج فى الدنيا والثواب فى الآخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة
روى عن بعض آل النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ليس آية فى القرآن

آية ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل
احد من امته النار الخامس ما عدده تعالى عليه من نعمه وقرره من
الآية قبله في بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية
الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال له فاغناه بما آتاه الله
تعالى او بما جعله في قلبه من القناعة والغنى ويتيما فحدب عليه
عمه فآواه اليه وقيل آواه الله تعالى وقيل يتيما لا مثال لك
فآواك اليه وقيل المعنى الم يجدك يتيما فهداك ضالا واغنى
بك عائلا وآوى بك يتيما ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم
من التفسير لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا
ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه واصطفائه ثم
امره باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره واشادة ذكره
بقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة التحدث بها
وهذا خاص له عام لامته وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله
تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى اختلف المفسرون
في قوله والنجم باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القر
القرآن وعن جعفر بن محمد انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال
سهل هو قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقد قيل في قوله تعالى
والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب
ان النجم ايضا هنا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي قال المؤلف
تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العد ما يقف
دونه العد واقسم جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن
الهوى وصدقه فيما تلا وانه وحي يوحى اوصله اليه عن الله عز
وجل جبريل وهو الشديد القوى ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة
الاسراء وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق بصره فيما رأى و
انه رأى من آيات ربه الكبرى وقد نبه الله تعالى في مثله هذا

في اول سورة الاسراء ولما كاشفه صلى الله عليه وسلم من
ذلك الجبروت وما شاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به العبا
العبارات ولا يستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى
بالايماء والكناية الدالة على التعظيم فقال فاوحى الى عبده ما اوحى
وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة
وهو عندهم ابلغ انواع ابواب الايجاز وقال تعالى لقد رأى
من آيات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت
الاحلام في تعيين تلك الكبرى قال القاضي الامام ابو الفضل و
اشتملت هذه الآيات على اعلام الله تعالى بتزكية جملته صلى الله
عليه وسلم وعصمتها من الآفات في هذا المسرى فزكى فؤاده
ولسانه وجوارحه فقلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه
بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى
وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول
شيطان رجيم لا اقسم اي اقسم انه لقول رسول كريم اي كريم عند
مرسله ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي مكين اي متمكن المنزلة
من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم اي في السماء امين على الوحي
قال علي بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه
وسلم فجميع الاوصاف بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل فترجع
الاوصاف اليه ولقد رآه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قيل
رأى ربه وقيل رأى جبريل في صورته وما هو على الغيب بظنين
اي بمتهم ومن قرأها بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء به والتذكير
بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق وقال تعالى
ن والقلم وما يسطرون الآيات اقسم الله تعالى بما اقسم به من
عظيم قسمه على تنزيه المصطفى مما غمصته الكفرة به صلى الله
تعالى عليه وسلم وتكذيبهم له وانسه وبسط امله بقوله محسنا خطابه

ما انت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلى
درجات الآداب في المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم
وثواب غير منقطع لا يأخذه عد ولا يمتن به عليه فقال وان لك
لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه من هباته وهداه اليه واكد ذلك
تتميما للتمجيد بحرفي التأكيد فقال وانك لعلى خلق عظيم قيل القرآن
وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله قال
الواسطي اثنى عليه بحسن قبوله وحسن اقباله لما اسداه اليه من نعمه
وفضله بذلك على غيره لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف
الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسره للخير وهداه اليه ثم اثنى على فاعله
وجازاه عليه سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم
بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون
بأيكم المفتون الثلاث الآيات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه
عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك بفضله و
منتصرا لنبيه صلى الله عليه وسلم فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم
فيه بقوله فلا تطع المكذبين الى قوله اساطير الاولين ثم ختم
ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه
على الخرطوم فكانت نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه ورده تعالى
على عدوه ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده الفصل السادس
فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والاكرام
قال الله تعالى طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من
اسمائه عم وقيل هو اسم لله تعالى وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان
وقيل هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي
وقيل هو امر من الوطء والهاء كناية عن الارض اي اعتمد على الارض
بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو
قوله تعالى ما انزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت الآية فيما كان

كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام
الليل اخبرنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد
عن القاضي ابي الوليد الباجي اجازة ومن اصله نقلت حدثنا
ابو محمد الحوروي الحافظ ثنا ابو محمد الحموي ثنا ابراهيم بن خزيم الشاشي
قال ثنا عبد الرحمن بن حميد ثنا هاشم بن القاسم عن ابي جعفر
عن الربيع بن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى
قام على رجل واحدة ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه
يعني طأ الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ولا
خفاء بما في هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة وان جعلنا طه
من اسمائه عليه السلام كما قيل او جعل قسما لحق هذا الفصل بما قبله
ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك
باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ثم قال ان نشأ ننزل عليهم
من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين ومن هذا
الباب قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين
الى قوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون
الى آخر السورة وقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من
قبلك الآية قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكر وهون عليه
ما يلقى من المشركين واعلمه ان من تمادى على ذلك يحل
به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك
يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله
تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا
ساحر او مجنون عزاه الله تعالى بما اخبره به عن الامم السالفة
ومقالها لانبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن
محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من لقي ذلك
ثم طيب نفسه وابان عذره بقوله فتول عنهم اي اعرض

على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث
اسفا اي قاتل نفسك لذلك غضبا
او غيظا او جزعا ومثله قوله تعالى ايضا
لعلك باخع نفسك صح

عنهم فما انت بملوم اى فى اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله
قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا اى اصبر على اذاهم
فانك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله تعالى بهذا فى آى كثيرة
من هذا المعنى الفصل السابع فيما اخبره الله تعالى به فى كتابه
العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء عليهم السلام و
حظوة رتبته عليه السلام من ذلك قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين قال ابو الحسن
القابسى استخص الله تعالى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بفضل
لم يؤته غيره ابانه به وهو ما ذكره فى هذه الآية قال المفسرون اخذ
الله الميثاق بالوحى فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا صلى الله عليه وسلم
ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به وقيل ان يبينه لقومه
ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله تعالى ثم جاءكم رسول
الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد عليه السلام وقال على بن ابى طالب
رضى الله عنه لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد
فى محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه
ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدى وقتادة فى آى تضمنت
فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى الآية وقال الله تعالى
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله شهيدا وروى عن عمر بن
الخطاب رضى الله عنه انه قال فى كلام بكى به النبى عليه السلام فقال
بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك
آخر الانبياء وذكرك فى اولهم فقال تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بابى انت وامى يا رسول الله لقد
بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك
وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا

الرسولا قال قتادة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كنت
اول الانبياء فى الخلق وآخرهم فى البعث فلذلك وقع ذكره مقدما
هنا قبل نوح وغيره قال السمرقندى فى هذا تفضيل نبينا صلى الله عليه و
سلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ
اخرجهم من ظهر آدم كالذر وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على
بعض الآية قال اهل التفسير اراد تعالى بقوله ورفع بعضهم
درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لانه بعث الى الاحمر و
الاسود واحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات و
ليس احد من الانبياء اعطى فضيلة او كرامة الا وقد اعطى محمد
صلى الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله ان الله خاطب
الانبياء باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة فى كتابه فقال
يا ايها النبى ويا ايها الرسول وحكى السمرقندى عن الكلبى فى قوله
تعالى وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عائدة الى محمد صلى الله
عليه وسلم اى ان من شيعة محمد لابراهيم اى على دينه ومنهاجه واجازه
الفراء وحكاه عنه مكى وقيل المراد نوح صلوات الله عليهم
اجمعين الفصل الثامن فى اعلام الله تعالى خلقه بصلاته
عليه وولايته ورفعه العذاب بسببه عليه السلام وعلى آله قال
الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اى ما كنت بمكة
فلما خرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة وبقى فيها من بقى من
المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل
قوله تعالى لو تزيلوا الآية وقوله تعالى ولولا رجال مؤمنون و
نساء مؤمنات الآية فلما هاجر المؤمنون نزلت وما لهم الا يعذبهم
الله وهذا من ابين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرئه العذاب
عن اهل مكة بسبب كونه فيهم ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم
فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم

وحكم فيهم سيوفهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وفي الآية
ايضا تأويل آخر حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله بقرائتي
عليه ثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا ثنا ابو
يعلى بن زوج الحرة ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن احمد بن محبوب المـ
المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا سفيان بن وكيع ثنا ابن نمير
عن اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابي بردة
بن ابي موسى عن ابيه رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انزل الله علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيكم
الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
وقال صلى الله عليه وسلم انا امان لاصحابي قيل من البدع وقيل
من الاختلاف والفتن قال بعضهم الرسول هو الامان الاعظم
ما عاش وما دامت سنته باقية فهو باق فاذا اميتت سنته
فانتظر البلاء والفتن وقال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون
على النبي الآية ابان الله فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته
عليه ثم بصلاة ملائكته وامر عباده بالصلاة والتسليم عليه وقد
حكى الامام ابو بكر بن فورك ان بعض العلماء تأول قوله عليه السلام
وجعلت قرة عيني في الصلوة على هذا اي في صلوة الله تعالى علي
وملائكته وامره الامة بذلك الى يوم القيمة والصلوة من الملائكة
والاستغفار ومنا له الدعاء ومن الله رحمة وقيل يصلون يباركون
وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلوة عليه بين لفظ
الصلوة والبركة وسنذكر حكم الصلوة وذكر بعض المتكلمين في تفسير
حروف كهيعص ان الكاف من كاف اي كفاية الله تعالى لنبيه قال
اليس الله بكاف عبده والهاء هدايته تعالى له قال ويهديك صراطا مستقيما
والياء تأييده له قال تعالى وايدك بنصره والعين عصمته له قال والله

والله يعصمك من الناس والصاد صلاته عليه قال ان الله
وملائكته يصلون وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه
الآية اي وليه وصالح المؤمنين قيل الانبياء وقيل الملائكة وقيل ابو
بكر وعمر رضي الله عنهما وقيل علي رضي الله عنه وقيل المؤمنون على ظاهره
الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله
عليه وسلم قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق
فوق ايديهم تضمنت هذه الآيات من فضله والثناء عليه وكريم
منزلته عند الله ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه
فابتدأ جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره وغلبته
على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور له غير مؤاخذ بما
كان وما يكون قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي انك
مغفور لك وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده
لا اله غيره الا هو منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال تعالى
ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطائف
وقيل يرفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك فاعلمه بتمام نعمته
عليه بخضوع متكبري عدوه له وفتح اهم البلاد عليه واحبها له
ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الى الجنة والسعادة
ونصره النصر العزيز ومنته على امته المؤمنين بالسكينة والطمأنينة
التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما لهم عند ربهم بعد وفوزهم العظيم
العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوهم في الدنيا
والآخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال تعالى
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية فعد محاسنه وخصائصه
من شهادته على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم
بالتوحيد ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه
بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات ليؤمن بالله ثم به من سبقت

له من الله الحسنى ويعزروه اى يجلونه وقيل ينصرونه وقيل بالغوا
فى تعظيمه وتوقروه اى يعظمونه وقرا بعضهم وتعززوه بزائين
من العزة والاكرم والاظهران هذا فى حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم
قال تعالى وتسبحوه فهذا راجع الى الله تعالى قال ابن عطا جمع للنبى
صلى الله عليه وسلم فى هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين و
هو من اعلام الاجابة والمغفرة وهى من اعلام المحبة وتمام النعمة
وهى من اعلام الاختصاص والهداية وهى من اعلام الولاية فالمغفرة
تبرئة من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهى
الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه و
اقسم بحيوته ونسخ به شرايع غيره وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه فى
المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه الى الاحمر والاسود واحل له
ولامته الغنايم وجعله شفيعا ومشفعا وسيد ولد آدم وقرن
ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركنى التوحيد ثم قال تعالى
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم يريد
عند البيعة وقيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده
وهذه استعارة وتجنيس فى الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه وعظم ببيعتهم اياه صح
شان المبايع صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى
فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله
رمى ان كان الاول فى باب المجاز وهذا فى باب الحقيقة لان
القاتل والرامى بالحقيقة هو الله تعالى وهو خالق فعله ورميه و
قدرته عليه ومشيئته ولانه ليس فى قدرة البشر توصيل تلك
الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه وكذلك
قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل من هذه الاخرى انها على المجاز
العرفى ومقابلة اللفظ ومناسبته له اى ما قتلوهم وما رميتهم
انت اذ رميت وجوههم بالحصى والتراب لكن الله رمى قلوبهم

قلوبهم بالجزع اى ان منفعة الرمى كانت من فعل الله فهو القاتل
والرامى بالمعنى وانت بالاسم الفضل العظيم فيما اظهره الله فى كتابه
العزيز من كرامته عليه صلى الله عليه وسلم ومكانته عنده وما خصه
به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه الله
تعالى من قصة الاسراء فى سبحان والنجم وما انطوت القصة سورة ح
من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجايب ومن
ذلك عصمته تعالى من الناس بقوله والله يعصمك من الناس
وقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الآية وقوله تعالى الا تنصروه
فقد نصره الله وما دفع الله به فى هذه القصة من اذاهم بعد تحزبهم
لهلكه وخلوصه نجيا فى امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم
وذهولهم عن طلبه فى الغار وما ظهر لهم فى ذلك من الآيات و
نزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك حسبما ذكره اهل الحديث
والسير فى قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى انا اعطيناك ك
الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر اعلمه الله
تعالى بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر فى الجنة وقيل الخير
الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة
وقيل المعرفة ثم اجاب تعالى عنه عدوه ورد عليه قوله
فقال ان شانئك هو الابتر اى عدوك ومبغضك و
الابتر الحقير الذليل والمنفرد الوحيد او الذى لا خير فيه و
قال تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم
العظيم قيل السبع المثانى السور الطوال والقرآن العظيم ام
القرآن والقرآن العظيم سائره وقيل السبع المثانى ما فى القرآن
من امر ونهى وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم وآتيناك
نبأ القرآن العظيم وقيل سميت ام القرآن مثانى لانها تثنى فى كل
ركعة وقيل بل الله تعالى استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم وادخرها

له دون سائر الانبياء عليهم السلام وسمي القرآن مثاني لان القصص
تثنى فيه وقيل السبع المثاني اكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة
والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة وقال تعالى وانزلنا
اليك الذكر الآية وقال تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا
ونذيرا وقال تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الآية
قال القاضي ابو الفضل فهذه من خصائصه عليه السلام وقال تعالى
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم و
بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال عليه الصلوة
والسلام بعثت الى الاحمر والاسود وقال تعالى النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم وازواجه امهاتهم قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين
من انفسهم اي ما انفذه عليهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضي حكم
السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى من اتباع رأي النفس و
ازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده
عليه السلام تكرمة له وخصوصية ولانهن له ازواج في الآخرة وقد
قرئ وهو اب لهم ولا يقرأ به الآن لمخالفته المصحف وقال تعالى
وانزل عليك الكتاب والحكمة الآية قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل
لما سبق له في الازل واشار الواسطي الى انها اشارة الى احتمال الرؤية التي
لم يحتملها موسى ع م الباب الثالث في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا
وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا اعلم
ايها المحب لهذا النبي الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم ان
خصال الجمال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته
الجبلة وضرورة الحيوة الدنيا ومكتسب ديني وما يحمد فاعله ويقرب
الى الله زلفى ثم هي على فنين ايضا منها ما يتخلص لاحد الوصفين و
منها ما يتمازج ويتداخل فاما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه اختيار
ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقه وجمال صورته

صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه
واعضائه واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم
ارضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته اليه من غذائه ونومه
وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد يلحق هذه الخصال الآخرة
بالاخروية اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها
وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة واما المكتسبة
الاخروية فسائر الاخلاق العلية والآداب الشرعية من
الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع
والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت
والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة واخوا
اخواتها وهي التي جماعها حسن الخلق والعقل وقد يكون من
هذه الاخلاق ما هو في الغريزة واصل الجبلة لبعض الناس و
بعضهم لا يكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد ان يكون فيه من
اصولها في اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء الله تعالى و
تكون هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله تعالى و
الدار الآخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق اصحاب
العقول السليمة وان اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها
فصل قال القاضي ابو الفضل اذا كانت خصال الكمال و
الجلال ما ذكرناه ورأينا الواحد منا يتشرف بواحدة منها او
اثنتين ان اتفقت في كل عصر اما من نسب او جمال او قوة
او علم او حلم او جاه او شجاعة او سماحة حتى يعظم قدره و
باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب اثرة
وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر
من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى ما لا يأخذه عد ولا يعبر
عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال

من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفا
والاسراء والرؤية والقرب والدنو والوحي والشفاعة
والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود و
المعراج والبراق والبعث الى الاحمر والاسود والصلوة
بالانبياء والشهادة بين الانبياء والامم وسيادة ولد
آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي
العرش والطاعة ثمة والامانة والهداية ورحمة للعالمين واعطا
الرضى والسؤال والكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو
عما تقدم وتأخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة
النصر ونزول السكينة والتأييد بالملائكة وايتاء الكتاب والحكمة
والسبع المثاني والقرآن العظيم وتزكية الامة والدعاء الى الله
وصلاة الله والملائكة والحكم بين الناس بما اراه الله ووضع
الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه واجابة دعوته وتكليم الجما
الجمادات والعجم واحياء الموتى واسماع الصم ونبع الماء من بين
اصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب
الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح
الحصا وابراء الآلام والعصمة من الناس مما لا يحويه محتفل و
لا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره الى ما اعده الله
له في الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب
السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول و
يحار دون ادراكها الوهم فصل ان قلت اكرمك الله لا خفاء
على القطع بالجملة انه صلى الله عليه وسلم اعلى الناس قدرا واعظمهم
محلا واكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال
مذهبا جميلا شوقني الى ان اقف عليها من اوصافه صلى الله
عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف في

في هذا النبي الكريم حبي وحبك انك اذا نظرت الى خصال
الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته حائزا
لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار
لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع واما الصورة وجمالها
وتناسب اعضائه في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة
الكثيرة بذلك من حديث علي وانس بن مالك وابي هريرة والبراء
بن عازب وعائشة ام المؤمنين وابن ابي هالة وجابر بن
سمرة وابي جحيفة وام معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب
وابي الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام
وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين من ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج انجل اشكل اهدب الاشفار
ابلج ازج اقنى افلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ
صدره سواء البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم
العظام عبل العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين
والقدمين سائل الاطراف انور المتجرد وسع دقيق المسربة
ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد ومع
ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله
عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق
وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه احسن
الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب
اللحم قال البراء بن عازب ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء احسن
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة رضي الله عنه
ما رأيت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن
الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلألأ ثناياه في الجدار و
قال جابر بن سمرة وقال له رجل كأن وجهه عليه السلام مثل

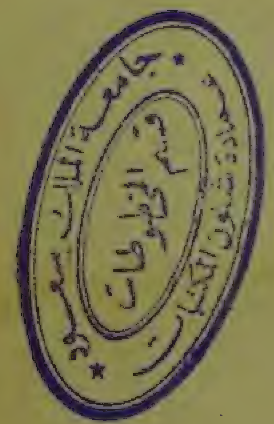
السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت
ام معبد في بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه و
احسنه من قريب وفي حديث ابن ابي هالة يتلألأ نور وجهه
تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله عنه في آخر وصفه
له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار
قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم والاحاديث في بسط
صفته كثيرة مشهورة فلا نطول بسردها وقد اختصرنا
في وصفه على نكت ما جاء فيها وجملة ما فيه الكفاية في القصد
الى المطلوب وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه
هنالك ان شاء الله تعالى فصل واما نظافة جسمه وطيب ريحه
وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله
تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة
الشرع وخصال الفطرة العشرة وقال عليه السلام بني
الدين على النظافة حدثنا سفيان بن العاص وغير واحد قالوا
حدثنا احمد بن عمر حدثنا ابو العباس الفزاري الرازي حدثنا ابو
احمد الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا
جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس قال ما شممت عنبرا
قط ولا مسكا ولا شيئا اطيب من رائحة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم مسح
خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من جونة
عطار قال غيره مسها بطيب ام لم يمسها يصافح المصافح
فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من
بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم
في دار انس فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع فيها عرقه فسألها
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في

في طيبنا وهو من اطيب الطيب ذكر البخاري في تاريخه الكبير عن
جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد
الا عرف انه سلكه من طيبه وذكر اسحق بن راهويه ان
تلك كانت رائحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم وروى
الحربي عن جابر رضي الله عنه قال اردفني النبي صلى الله عليه و
سلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان ينم علي مسكا وقد
حكى بعض المعتنين باخباره وشمائله انه كان عليه السلام اذا اراد
ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك
رائحة طيبة صلى الله عليه وسلم واسند محمد بن سعد كاتب
الواقدي في هذا خبرا عن عائشة انها قالت للنبي صلى الله
عليه وسلم انك تأتي الخلاء فلم نر منك شيئا من الاذى فقال
يا عائشة اوما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء فلا
يرى منه شيء وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم
من اهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم وهو
قول بعض اصحاب الشافعي حكاه الامام ابو نصر الصباغ في
شامله وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك ابو بكر بن سابق
المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها
على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه صلى الله
عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب ومنه حديث علي
رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر
ما يكون من الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا قال
وسطعت منه ريح طيبة لم يوجد مثلها قط ومثله قال
ابو بكر رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته
ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم احد ومصه اياه و
تسويغه له ذلك صلى الله عليه وسلم وقوله لن تصيبه النار

ومنه شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال صلى الله عليه
وسلم ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكر عليه وقد روي
نحو من هذا عنه في امرأة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك
ابدا ولم يأمر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث
المرأة التي شربت بوله صحيح الزم الدارقطني مسلما والبخاري
اخراجه في الصحيح واسم هذه المرأة بركة واختلف في نسبها وقيل هي
ام ايمن وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان لرسول
الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره
يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسأل
بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم روى
حديثها ابن جريج وغيره وكان صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات
قد ولد مختونا مقطوع السرة وعن امه آمنة انها قالت ولدته
نظيفا ما به قذر وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت فرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه قال
اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغسله احد غيري فانه
لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع غطيطه
فقام فصلى فلم يتوضأ قال عكرمة لانه كان صلى الله عليه وسلم
محفوظا فصل واما وفور عقله وذكاء لبه وفصاحة لسانه
وقوة حواسه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية انه كان اعقل
الناس واذكاهم ومن تأمل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة
العامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما افاضه
من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت
ولا مطالعة منه للكتب لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لاول
بديهة وهذا مما لا يحتاج الى تقريره لتحقيقه وقد قال وهب بن منبه

19

منبه قرأت في احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان النبي
صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رأيا وفي رواية
اخرى فوجدت في جميعها ان الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا
الى انقضائها من العقل في جنب عقل النبي صلى الله عليه وسلم
الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا قام الى الصلوة يرى من خلفه كما يرى من
من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين
وفي الموطأ عنه صلى الله عليه وسلم اني لاراكم من وراء ظهري
ونحوه عن انس في الصحيحين وعن عائشة مثله قال زيادة
زاده الله اياها في حجته وفي بعض الروايات اني لانظر من
(ورائي) كما انظر الى من بين يدي وفي اخرى اني لابصر من قفاي كما
ابصر من بين يدي وروى بقي بن مخلد عن عائشة قالت
كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء و
الاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم للملائكة و
الشياطين ورفع النجاشي له صلى الله عليه وسلم حتى صلى عليه وبيت
المقدس حين وصفه لقريش والكعبة حين بنى مسجده وقد
حكي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما
وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول احمد بن حنبل وغيره
وذهب بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة في ذلك
وهي من خواص الانبياء وخصالهم صلوات الله وسلامه
عليهم كما اخبرنا ابو محمد بن عبد الله بن احمد من كتابه حدثنا
ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر
عن ابيها قال الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسني حدثنا محمد
بن سعيد حدثنا محمد بن احمد بن سليمان حدثنا محمد بن مرزوق
حدثنا همام حدثنا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن



ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله لموسى
عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة
عشرة فراسخ ولا يبعد على ان يختص نبينا صلى الله عليه وسلم
بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة بما رأى من
آيات ربه الكبرى وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة اشد
اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية و
كان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة رضي الله عنه ما رأيت اسرع
من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كانما الارض تطوى
له وانا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وفي صفته صلى الله عليه و
سلم ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى
تقلعا كما ينحط من صبب فصل واما فصاحة لسانه وبلاغة
القول فقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك بالمحل
الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع و
ايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان و
قلة تكلف اوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم السنة
العرب فكان يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها
ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من الصحابة يسألونه
في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه
وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش واهل الحجاز
والانصار ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة
النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووائل
بن حجر الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك
اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها
تأكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا



سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب و
الفصيل والفارض الداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ
والقارح وقوله لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها
وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له في المال و
الولد من اقام الصلوة كان مسلما ومن آتى الزكوة كان
محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد و
ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكوة ولا تلحد في
الحياة ولا تتثاقل عن الصلوة وكتب لهم في الوظيفة الفريضة
ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس
لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق و
الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة
ومن كتابه لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب
وفيها في التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة
وفي السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه
عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين
ولا غمة في فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل
على الاقيال اين هذا من كتابه لانس في الصدقة المشهور
لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر
استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل
اليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله في حديث عطية
بن عمرو وقيل ابو محمد السعدي فان اليد العليا هي المنطية
واليد السفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بلغتنا وقوله في حديث العامري حين سأله فقال
النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك اي سل عما شئت وهي لغة
بني عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه و

حكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في
الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازي فصاحة ولا يباري
بلاغة كقوله عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى
بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله عليه السلام الناس
كأسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى
لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره و
المستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا
فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين
وان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا
الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقوله عليه السلام
لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين
لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال
واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات
وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها و
خالق الناس بخلق حسن وخير الامور اوسطها وقوله احبب
حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم
ظلمات يوم القيمة وقوله في بعض دعائه اللهم اني اسئلك
رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها
غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي
وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني اسئلك الفوز
في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء
الى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه
وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة
لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت
من كلماته التي لم يسبق اليها ولا قدر احد ان يفرغ في قالبه

عليها كقوله عليه السلام الان حمي الوطيس ومات حتف أنفه و — أنفه صح
لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في
اخواتها ما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب به الفكر في
اداني حكمها وقد قال له اصحابه ما رأينا الذي هو افصح منك فقال
وما يمنعني وانما انزل القرآن بلساني لسان عربي مبين و
قال مرة اخرى انا افصح العرب بيد اني من قريش ونشأت
في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة
البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها
الى التأييد الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري
وقالت ام معبد رضي الله عنها في وصفها له صلى الله عليه وسلم
حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات
نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة فصل واما شرف
نسبه وكرم بلده ومنشأه فمما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه و
لا بيان مشكل ولا خفي منه فانه صلى الله عليه وسلم نخبة بني
هاشم وسلالة قريش وصميمها واشرف العرب واعزهم
نفرا من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة ومن اكرم بلاد الله
على الله وعلى عباده حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد
الصدفي رحمه الله قال حدثنا القاضي ابو الوليد سليمان
بن خلف قال حدثنا ابو ذر عبد بن احمد قال حدثنا ابو محمد
السرخسي وابو اسحاق وابو الهيثم قالوا حدثنا محمد بن يوسف
حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا قتيبة بن سعد حدثنا يعقوب
بن عبد الرحمن القاري عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي
هريرة رضي الله عنهم وارضاهم ورحمة الله عليهم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا
قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت فيه وعن العباس

٢١

رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق
فجعلني من خيرهم من خير قرونهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير
قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم
نفساً وخيرهم بيتاً وعن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى
من ولد ابراهيم واصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى
من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشاً
واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني
هاشم قال الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر رضي
الله عنهما رواه الطبري انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله
اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ثم من بني آدم فاختار منهم العرب
فاختار منهم قريشاً ثم اختار قريشاً فاختار منهم بني هاشم ثم اختارني
بني هاشم فاختارني فلم ازل خياراً من خيار الا من احب العرب
فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان قريشاً كانت نوراً بين يدي الله تعالى
قبل ان يخلق آدم بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة
تسبيحه فلما خلق الله آدم القى ذلك النور في صلبه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب آدم
وجعلني في صلب نوح عليه السلام وقذفني في صلب
ابراهيم ثم لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الكريمة الى الارحام
الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط
ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس في مدح النبي صلى الله
عليه وسلم المشهور فصل واما ما تدعو ضرورة الحيوة الدنيا
اليه مما فصلناه فعلى ثلاثة ضروب ضرب الفضل في
قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه

فيه واما التمدح والكمال بقلته اتفاقاً وعلى كل حال عادة و
شريعة كالغذاء والنوم ولم تزل علماء العرب والحكماء تتمادح
بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل على
النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا
والآخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء
الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة
مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم
دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب
للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب
وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة
ويوجد مشاهدة وينقل متواتراً من كلام الامم المتقدمة والحكماء
الخالفين واشعارها وصحيح الحديث وآثار من سلف وخلف
مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصاراً واقتصاراً على اشتهار العلم
به وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد اخذ من هذين
الفنين بالاقل هذا مما لا يدفع من سيرته وهو الذي امر به وحض
عليه لا سيما بارتباط احدهما بالآخر حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ
بقراءتي عليه قال حدثنا ابو الفضل الاصبهاني قال حدثنا ابو نعيم
الحافظ قال حدثنا سليمان بن احمد قال حدثنا بكر بن سهل
قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية بن صالح
ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه
حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث
لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة
الاكل والشرب قال سفيان الثوري رحمه الله بقلة الطعام
يملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيراً فتشربوا

كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وقد روي عنه عليه السلام انه كان
احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي وعن
عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا
قط وانه كان في اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه
اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب لا يعترض على هذا حديث
بريرة وقوله عليه السلام الم ار البرمة فيها اللحم اذ لعل سببه سؤاله
صلى الله عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد ان يبين
سنته اذ رآهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستأثرون عليه به فصدق
عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا
هدية وفي حكمة لقمان عليه السلام يا بني اذا امتلأت المعدة
نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة
وقال سحنون العلم لا يصلح لمن يأكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث
قوله عم اما انا فلا آكل متكئا والاتكاء التمكن للاكل والتقعدد في
الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها
الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل و
يستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل
جلوس المستوفز مقعيا ويقول انا عبد آكل كما يأكل العبد
واجلس كما يجلس العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل الى
شق عند المحققين وكذا نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا
شهدت بذلك الاخبار الصحيحة ومع ذلك فقد قال عليه السلام
ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على جانبه الايمن
استظهارا على قلة النوم لانه على جانبه الايسر اهنأ لهدوء
القلب وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب
فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام النائم على الايمن
تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق

الاستغراق فصل والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر
بوفوره كالنكاح والجاه اما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة
فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة
معروفة والتمادح به سيرة ماضية واما في الشرع فسنة
مأثورة وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما افضل
هذه الامة اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم وقد
قال عليه الصلوة والسلام تناكحوا تناسلوا فاني مباه بكم
الامم ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض
البصر اللذين نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من كان
ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج حتى لم
يره العلماء مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله التستري
قد حببن الى سيد المرسلين فكيف نزهد فيهن ونحوه لابن
عيينة رضي الله عنهما وقد كان زهاد الصحابة كثيري الزوجات
والسراري كثيري النكاح وحكي ذلك عن علي كرم الله وجهه وابن عمر
وغيرهم رضي الله عنهم غير شيء وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبا
فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن
زكريا عليهما السلام قد اثنى الله عليه انه كان حصورا فكيف يثني
الله تعالى عليه بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى عم تبتل
من النساء ولو كان كما قررته لنكح فاعلم ان ثناء الله على يحيى بانه
حصور ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل انكر هذا حذاق
المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق
هذا بالانبياء عليهم السلام وانما معناه انه معصوم من الذنوب
ان لا يأتيها كانه حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل
ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة
على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة

كعيسى عم او بكفاية من الله تعالى كيحيى عم فضيلة زائدة لكونها
شاغلة في كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر
عليها وملكها واقام بالواجب فيها فلم تشغله عن ربه عز وجل
درجة عليا وهي درجة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الذي لم تشغله
كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه
بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح انها ليست من
من حظوظ دنياه هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال
حبب الي من دنياكم فدل على ان حبه لما ذكر من النساء والطيب
التي هي من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل للآخرة
للفوائد التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملائكة في الطيب ولانه
ايضاً مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه
لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي
المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك
ميز بين الحبين وفصل بين الحالين فقال وجعلت قرة عيني
في الصلوة فقد ساوى يحيى وعيسى عليهما السلام في كفاية
فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله عليه وسلم
ممن اقدر على القوة في هذا واعطي الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد
الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس رضي الله عنه انه كان صلى
الله عليه وسلم يدور على نسائه في الليل والنهار وهن احدى عشر قال
انس وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلاً خرجه النسائي و
روى نحوه عن ابي رافع رضي الله عنه وعن ابي طاوس اعطي عليه
الصلوة والسلام قوة اربعين رجلاً في الجماع ومثله عن صفوان
بن سليم رضي الله عنه قالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله
عليه وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة قبل ان يأتي
الاخرى وقال هذا اطهر واطيب وروى نحوه عن ابي رافع وقد قال

قال سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسعة
وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما كان في ظهر
سليمان ماء مائة رجل وكانت له ثلثمائة امرأة وثلثمائة سرية
وحكى النقاش سبعمائة امرأة وثلثمائة سرية وقد كان لداود
عليه السلام على زهده واكله من عمل يده تسعة وتسعون امرأة
وتمت بزوجة اوريا مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز
بقوله ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث انس رضي
عنه عليه السلام فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة
وكثرة الجماع وقوة البطش واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة
وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد قال الله تعالى في صفة
عيسى عم وجيهاً في الدنيا والآخرة لكن آفاته كثيرة فهو مضر
لبعض الناس لعقبى الآخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده
وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض وكان
النبي صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في
القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها
وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه
خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته عليه الصلوة
والسلام واخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد
كان يبهت ويفرق برؤيته من لم يره كما روي عن قيلة
انها لما رأته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك
السكينة وفي حديث ابي ابن مسعود رضي الله عنه ان
رجلاً قام بين يديه فارعد فقال له صلى الله عليه وسلم
هون عليك فاني لست بملك الحديث واما عظيم قدره
بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالا
بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم

به في الآخرة سعيد ولد آدم وعلى هذا الفصل نضمنا هذا القسم
يسيرا فضيلة واما الضرب الثالث فهو المختلف بحالات
في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال فان
صاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به الى
حاجاته وتمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة في نفسه فمتى
كان المال بهذه الصورة فصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات
من حواه وامله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء
الحسن والمنزلة في القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا
واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله
عز وجل والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى
كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد
كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد
السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة الرذالة فاذا
التمدح بالمال وفضيلته عند مفضليه ليست لنفسه وانما هو للتوصل
به الى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه
ولا وجهه وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند
احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه
اذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال
غيره ولا مال له فكانه ليس في يده منه شيء والمنفق ملي غني
بتحصيله فوائد المال وان لم يبق في يده من المال شيء والمنفق
ملي غني بتحصيله فوائد المال وان لم يبق في يده من المال شيء فانظر
سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي
خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم ولم تحل لنبي
قبله وفتح عليه في حيوته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن و
جميع جزيرة العرب وما دانا ذلك من الشام والعراق وجلبت

جلبت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك
الا بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استأثر بشيء
منه ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى
به المسلمين وقال عليه السلام ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت
عندي منه دينار الا دينارا ارصده لديني واتته دنانير مرة
فقسمها فبقيت منها بقية فدفعها لبعض نسائه ولم يأخذه
نوم حتى قام فقسمها وقال الآن استرحت ومات صلى الله عليه
وسلم ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه
ومسكنه على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان عليه السلام
يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن
والبرد الغليظة ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة
بالذهب ويرفع لمن لم يحضره اذ المباهاة في الملابس والتزين
بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات
النساء والمحمودة منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه
لبس مثله غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة
في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة
عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال و
كذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الآلة والخدم
والمركوبات ومن ملك الارض وجبي اليه ما فيها فترك ذلك زهدا
وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة
ان كانت فضيلة زائدة عليها في الفخر ومعرق في المدح باضرابه عنها
وزهده في فانيها وبذلها في مظانها فضلا واما الخصال المكتسبة
من الاخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء
على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا
عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعادة الدائمة

للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة وهي المستنبط
بحسن الخلق وهي الاعتدال في قوى النفس واوصافها والتوسط
فيها دون الميل الى منحرف اطرافها بجميعها فقد كانت خلق نبينا
صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال الى غايتها
حتى اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت
عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط
بسخطه وقال عليه الصلوة والسلام بعثت لاتمم مكارم
الاخلاق قال انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم احسن خلقاً وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه مثله وكان
فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في اصل خلقته واول فطرته لم
تحصل له باكتساب ولا رياضة الا بجود الهي وخصوصية ربانية
وهكذا سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام منذ صباهم الى بعثهم
ومن طالع سيرهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى و
يحيى وسليمان وغيرهم عليهم الصلوة والسلام بل غرزت فيهم
هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم والحكمة في الفطرة قال الله
تعالى وآتيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطي يحيى عليه السلام
العلم في حال صباه وقال معمر كان ابن سنتين او ثلاث فقال له
الصبيان لم لم تلعب فقال اللعب خلقت وقيل في قوله تعالى
مصدقاً بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلث سنين
فشهد له انه كلمة وروحه وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت
ام يحيى تقول لمريم رضي الله عنها اني اجد ما في بطني يسجد لما
في بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى لامه
عند ولادتها اياه فيقول لها الا تحزني على قراءة من قرأ من
تحتها وعلى قول من قال ان المنادي عيسى ع م ونص على كلامه
في مهده فقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال

قال ففهمناها سليمن وكلا آتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم
سليمن ع م وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي
ما اقتدى به داود ابوه وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي
الملك اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى ع م مع فرعون و
اخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله تعالى ولقد
آتينا ابراهيم رشده من قبل اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره رحمهم
الله تعالى وقال ابن عطاء اصطفاه الله تعالى قبل ابداء خلقه
وقال بعضهم لما ولد ابراهيم بعث الله ملكا يأمره عن الله ان يعرفه
بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل
فذلك رشده وقيل ان القاء ابراهيم عليه السلام في النار
ومحنته كانت وهو ابن ست عشر سنة وان ابتلاء اسحق عليه السلام
بالذبح وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر و
الشمس كان ابن خمس عشرة سنة وقيل اوحى الله الى يوسف ع م
وهو صبي عند ما هم اخوته بالقائه في الجب بقوله تعالى واوحينا
اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الآية الى غير ذلك مما ذكر من اخبارهم وقد حكى
بعض اهل السير ان آمنة بنت وهب اخبرت ان نبينا صلى الله
عليه وسلم ولد حين ولد باسطاً يديه الى الارض رافعاً رأسه
الى السماء وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشأت بغضت
الي الاوثان وبغض الي الشعر ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية
تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم و
تترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم
حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة
في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة
قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وقد
نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد

عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد
من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت والشهامة وصدق
اللسان والسماحة وكما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل
ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل
منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل
ميسر لما خلق له ولهذا قد اختلف السلف فيها هل هذه الخلق
جبلة او مكتسبة حكى الطبري عن بعض السلف ان الخلق الحسن
جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن
رضي الله عنهما وبه قال هو والصواب ما اصّلناه وقد روى
سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل الخلال
يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في حديثه والجرأة والجبن غرائز يضعها الله
حيث يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الشريفة الحميدة
الجميلة كثيرة ولكن نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه
صلوات الله تعالى عليه وسلامه بها ان شاء الله تعالى فصل
اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي
منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة
الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر الى العواقب ومصالح
النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء
الفضائل وتجنب الرذائل وقد اشرنا الى مكانه منه صلى الله عليه
وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه واذ
جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحقق عند من تتبع مجاري
احواله واطراد سيره وطالع جوامع الكلام وحسن شمائله وبدائع
سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التورية والانجيل والكتب المنزلة وحكم
الحكماء وسير الامم الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام
وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة
الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها كلامه صلى الله عليه وسلم فيها
قدوة واشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض و
النسب وغير ذلك مما سنبينه ان شاء الله تعالى دون تعليم ولا
مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبي
صلى الله عليه وسلم نبي امي لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله
صدره وابان امره وعلمه واقرأه يعلم ذلك بالمطالعة في دلائل
نبوته والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا
فلا نطول بسرد الاقاصيص وآحاد القضايا اذ مجموعها ما لا يأخذه
حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله صلى الله عليه وسلم
كانت معارفه الى سائر ما علمه الله تعالى واطلعه عليه من علم ما كان وما يكون
وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن
تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول في تقدير فضله
وخرست الالسنة دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه
فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره
وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة توقر وثبات عند
الاسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند الآلام والمؤذيات
ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو فهو
ترك المؤاخذة وهذا كله مما ادب الله به سبحانه نبيه صلى الله
عليه وسلم فقال خذ العفو وأمر بالعرف الآية روي ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية سأل جبريل عليه السلام
عن تأويلها فقال له حتى اسأل العالم ثم ذهب فأتاه فقال يا محمد
ان الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو
عمن ظلمك وقال له واصبر على ما اصابك الآية وقال تعالى فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا الآية

وقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ولا خفاء
بما يؤثر من حلمه واحتماله عليه السلام وان كل حليم قد عرفت منه
زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة (ذكره)
الاذى الا صبرا ولا على اسراف الجاهل الا حلما حدثنا القاضي ابو
عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا حدثنا محمد بن عتاب حدثنا
ابو بكر بن واقد وغيره قالوا قال حدثنا ابو عيسى قال حدثنا
عبيد الله قال حدثنا يحيى بن يحيى قال حدثنا مالك رحمهم الله
عن ابن شهاب عن عروة عن عايشة رضي الله عنها قالت
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين قط الا اختار ايسرهما
ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول
الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم
لله تعالى بها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت
رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه رضي الله عنهم
شديدا وقالوا لو دعوت الله عليهم فقال صلى الله عليه وسلم
اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد
قومي فانهم لا يعلمون وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه وقد قال في بعض كلامه بابي وامي يا رسول الله لقد دعا
نوح على قومه فقال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ
ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول
الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله انظر ما في هذا القول من جماع الفضل و (الفضل)
درجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الا
لصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت
عنهم حتى عفى ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا لهم وشفع لهم

لهم فقال اللهم اغفر واهد ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة
بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون ولما
قال له الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله تعالى
لم يزد في جوابه صلى الله عليه وسلم في جوابه ان بين له ما جهله ووعظ
نفسه وذكره بما قال له فقال ويحك فمن يعدل ان لم اعدل
خبت وخسرت ان لم اعدل ونهى من اراد من اصحابه قتله
ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله
صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قايلا والناس
قايلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
وهو قائم بالسيف صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال
الله فسقط السيف من يده فاخذه النبي صلى الله عليه و
سلم وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ فتركه وعفى عنه
فجا الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره صلى
الله عليه وسلم في العفو عفوه عن اليهودية التي سمته في
الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وانه صلى الله عليه
وسلم لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد اعلم به واوحي اليه
بشرح امره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم
يؤاخذ صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي واشباهه من
المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته صلى الله عليه وسلم قولا و
فعلا بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه
وعن انس رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه
برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابي بردائه جبذة شديدة حتى
اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه صلى الله عليه وسلم ثم
قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فانك
لا تحمل لي من مالك ولا من مال ابيك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم

وقال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك يا اعرابي
ما فعلت بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافي بالسيئة السيئة
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير و
على الآخر تمر قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله وما
ضرب خادما ولا امرأة وجيء اليه صلى الله عليه وسلم برجل فقيل
له هذا اراد ان يقتلك فقال عليه السلام لن تراع ولو اردت ذلك
لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة رضي الله عنه قبل اسلامه يتقاضاه
دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبيه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم
قال انكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر رضي الله عنه وشدد له
في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال عليه السلام
انا وهو كنا الى غير هذا منك احوج يا عمر تأمرني بحسن القضاء وتأمره
بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من اجله ثلث وامر عمر رضي الله
عنه يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه
وذلك انه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء الا وقد
عرفتها في محمد صلى الله عليه وسلم الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله
ولا يزيده شدة الجهل الا حلما فاختبرته بهذا فوجدته كما وصف
والحديث عن حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وصبره وعفوه عند المقدرة
اكثر من ان يأتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة
الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاسات قريش واذى
الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم الى ان اظفره الله تعالى
عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استيصال شأفتهم وابادة
خضرائهم فما زاد على ان عفا وصفح وقال ما تقولون اني فاعل بكم
قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال صلى الله عليه وسلم اقول كما قال
اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم الآية اذهبوا فانتم الطلقاء

وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله صح

الطلقاء وقال انس رضي الله عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة
الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا فاعتقهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم
وايديكم عنهم الآية وقال صلى الله عليه وسلم لابي سفيان وقد سيق
اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا
عنه ولاطفه في القول حيث قال له ويحك يا ابا سفيان الم يأن
لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال رضي الله عنه بابي انت وامي يا رسول
الله ما احلمك واوصلك واكرمك وكان صلى الله عليه وسلم ابعد
الناس غضبا واسرعهم رضا فصل واما الجود والكرم والسخاء و
السماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا
الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه
حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره
بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق و
تجنب اكتساب ما لا يحمد وهو ضد التقتير وكان صلى الله عليه و
سلم لا يوازى في هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل
من عرفه وحدثنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي حدثنا القاضي
ابو الوليد الباجي قال حدثنا ابو ذر الهروي قال حدثنا ابو الهيثم
الكشميهني وابو محمد السرخسي وابو اسحق البلخي قالوا حدثنا ابو عبد الله
الفربري قال حدثنا البخاري قال حدثنا محمد بن كثير قال حدثنا سفيان
رحمه الله عن ابن المنكدر رحمهم الله تعالى قال سمعت جابر بن عبد الله
رضي الله عنه يقول ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء قط فقال
لا وعن انس وسهل بن سعد مثله وعن ابن عباس كان النبي
صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان في شهر رمضان
وكان اذا لقيه جبريل ع م اجود بالخير من الريح المرسلة وعن انس رضي الله
عنه ان رجلا سأله صلى الله عليه وسلم فاعطاه غنما بين

جبلين فرجع الى بلده وقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من
لا يخشى فاقة واعطى غير واحد من الابل واعطى صفوان مائة
ثم مائة ثم مائة وهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان
يبعث وقد قال له ورقة بن نوفل انك تصل الرحم وتحمل
الكل وتكسب المعدوم ورد صلى الله عليه وسلم على هوازن
سبايا وكانوا ستة آلاف واعطى العباس رضي الله عنه من
الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعت
على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه
رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا
شيء قضيناه فقال له عمر رضي الله عنه ما كلفك الله
تعالى ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي
العرش اقلالا فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في
وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذي رحمه الله وذكر معوذ بن
عفراء رضي الله اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من
رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطاني ملء كفه حليا
وذهبا وقال انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه و
سلم لا يدخر شيئا لغد والخبر بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم
كثير وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال اتى رجل الى النبي صلى الله
عليه وسلم يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه و
سلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا و
قال نصفه قضاء ونصفه نائل فصل واما الشجاعة
والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل
والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت بحيث يحمد
فعلها دون خوف فكان صلى الله عليه وسلم منها بالمكان



بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة
والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر
ولا يتزحزح وما شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت
عنه جولة سواه صلى الله عليه وسلم حدثنا ابو علي الجياني
فيما كتب لي قال حدثنا القاضي السراج قال حدثنا ابو محمد
الاصيلي قال حدثنا ابو زيد الفقيه قال حدثنا محمد بن يوسف
قال حدثنا محمد بن اسمعيل البخاري حدثنا ابن بشار قال
حدثنا غندر قال حدثنا شعبة عن ابي اسحق رحمهم الله سمع البراء
رضي الله عنه وسأله رجل افررتم يوم حنين عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال نعم لكن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء وابو
سفيان آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول
انا النبي لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب قيل فما
رأى يومئذ احد اشد منه وقال غيره نزل النبي صلى الله
عليه وسلم عن بغلته وذكر مسلم رحمه الله عن العباس
رضي الله عنه قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون
مدبرين فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يركض بغلته
نحو الكفار وانا آخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع و
ابو سفيان آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب
الا لله لم يقم لغضبه شيء وقال ابن عمر رضي الله عنه ما رأيت
اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه انا كنا اذا
حمي البأس ويروى اذا اشتد البأس واحمرت الحدق
اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب

الى العدو ومنه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله
عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ
بأسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه و
سلم اذا دنا العدو لقربه منه وعن انس رضي الله عنه كان
النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع
الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق الناس قبل الصوت
فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت
وقد استبرأ الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو
صلى الله عليه وسلم يقول لن تراعوا لن تراعوا وقال عمران بن
حصين رضي الله عنه ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة
الا كان اول من يضرب ولما رآه ابي بن خلف يوم احد وهو
يقول اين محمد لا نجوت ان نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه و
سلم حين افتدي يوم بدر عندي فرس اعلفها كل يوم فرقا من ذرة
اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بل انا اقتلك عليها
ان شاء الله تعالى فلما رآه يوم احد شد ابي على فرسه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي
صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث
بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن
ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبل النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في
عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه تداوا
فرجع الى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس بك فقال
والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى مكة [illegible]
تعالى فصل واما الحياء والاغضاء فالحياء رقة تعتري وجه الانسان
عند ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيرا من فعله والاغضاء التغافل
عما يكره الانسان بطبيعته وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد

٢١

اشد الناس حياء واكثرهم اغضاء قال الله تعالى سبحانه ان ذلكم كان
يؤذي النبي فيستحيي منكم الآية وحدثنا ابو محمد بن عتاب رحمه الله
بقراءتي عليه قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد قال حدثنا ابو الحسن
القابسي قال حدثنا ابو زيد المروزي قال حدثنا محمد بن يوسف
قال حدثنا محمد بن اسمعيل قال حدثنا عبدان قال اخبرنا عبد الله
قال اخبرنا شعبة عن قتادة قال سمعت عبد الله مولى انس يحدث
عن سعيد الخدري رضي الله عنهم اجمعين قال رسول الله صلى
اشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه في
وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق
الظاهر لا يشافه احدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عائشة
رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بلغه
عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا وكذا ولكن
يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي
فاعله وروى انس رضي الله عنه انه دخل عليه رجل به اثر صفرة
فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج قال
لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها وقالت عائشة رضي الله
عنها في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا
بالاسواق ولا سخابا بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو
ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية عبد الله
بن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم وروي
عنه صلى الله عليه وسلم انه كان من حيائه لا يثبت بصره
في وجه احد وانه كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن
عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه
قط فصل واما حسن عشرته وآدابه وبسط خلقه صلى الله
عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار الصحيحة

قال علي رضي الله عنه في صفته صلى الله عليه وسلم كان
اوسع الناس صدرًا واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم
عشرة حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي فيما اجازنيه
وقرأتُه على غيره قال حدثنا ابو اسحق الحبال قال حدثنا ابو محمد
بن النحاس قال حدثنا ابن الاعرابي قال حدثنا ابو داود قال
حدثنا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى قالا حدثنا الوليد بن مسلم
قال حدثنا الاوزاعي قال سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني
محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة رحمهم الله عن قيس بن
سعد رضي الله عنه قال زارنا رسول الله صلى الله تعالى عليه و
سلم وذكر قصة في آخرها فلما اراد الانصراف قرّب له سعد
حمارًا ووطأ عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم صح
اركب فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت
وفي اخرى اركب امامي فصاحب الدابة احق بمقدمها وكان صلى الله
عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم
ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره
ولا خلقه ويتفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب
جليسه ان احدًا اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى
يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يردّه الا بها او بميسور
من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابًا وصاروا
عنده في الحق سواء بهذا وصفه ابن ابي هالة قال وكان دائم
البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا
صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي
ولا يؤيس منه وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم و
لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال

قال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن الآية وكان صلى الله عليه و
سلم يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعًا ويكافئ عليها
قال انس رضي الله عنه خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته
ولا لشيء تركته لم تركته وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما كان
احد احسن خلقًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه
احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله
رضي الله عنه ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت
ولا رآني الا تبسم وكان صلى الله عليه وسلم يمازح اصحابه ويخالطهم
ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد
الحر والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل
عذر المعتذر قال انس رضي الله عنه ما التقم احد اذن النبي صلى
الله عليه وسلم فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه
وما اخذ احد بيده صلى الله عليه وسلم فيرسل يده حتى يرسلها الآخر
ولم يُرَ مقدمًا ركبتيه بين يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه بالسلام
ويبدأ اصحابه بالمصافحة ولم يُرَ قط مادًّا رجليه بين اصحابه حتى
يضيق بهما على احد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه و
يؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان
ابى ويكني اصحابه ويدعوهم باحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع
على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي او قيام ويروى بانتهاء
او قيام وروي انه كان صلى الله عليه وسلم لا يجلس اليه احد و
هو يصلي الا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد
الى صلاته وكان اكثر الناس تبسمًا واطيبهم نفسًا ما لم ينزل
عليه قرآن او يعظ او يخطب قال عبد الله بن الحارث رضي الله
عنه ما رأيت احدًا اكثر تبسمًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعن انس رضي الله عنه كان خدام المدينة يأتون النبي صلى الله
عليه وسلم اذا صلى الغداة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بآنية الا غمس
يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون به التبرك
فصل واما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق فقد قال تعالى
عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وقال تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه السلام
ان الله تعالى اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف
رحيم وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله
بن محمد الخشني بقراءتي عليه قال حدثنا امام الحرمين ابو علي الطبري
قال حدثنا عبد الغافر الفارسي قال حدثنا ابو احمد الجلودي
قال حدثنا ابراهيم بن سفيان قال حدثنا مسلم بن الحجاج قال حدثنا
ابو الطاهر قال اخبرنا ابن وهب قال اخبرنا يونس رحمهم الله عن ابن شهاب
رضي الله عنه قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر
حنينا قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية مائة
من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان
صفوان قال والله لقد اعطاني ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي
فما زال يعطيني حتى صار الآن انه لاحب الخلق الي وروي ان اعرابيا
جاء يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال صلى الله عليه وسلم احسنت
اليك فقال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب المسلمون
وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل اليه
وزاده شيئا ثم قال له احسنت اليك فقال نعم فجزاك الله من اهل
وعشيرة خيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت
في نفس اصحابي من ذلك شيء فان احببت فقل بين ايديهم ما
قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان
الغداة او العشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي

الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي اكذلك هو قال نعم فجزاك
الله من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم
مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم
يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي واني بها فاني بها
ارفق منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض
فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها
واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروي
عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني احد منكم عن احد من
اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر ومن شفقته
على امته تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض
عليهم كقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك
مع كل وضوء وخبر صلوة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهية
دخول الكعبة لئلا تتعنت امته ورغبته لربه عز وجل ان سبه يجعل صح
ولعنه لهم رحمة بهم وانه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته
ومن شفقته صلى الله عليه وسلم ان دعا ربه عز وجل وعاهده
فقال ايما رجل سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكوة ورحمة و
صلوة وطهورا وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة ولما
كذبه قومه صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل عليه السلام فقال
له ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر
ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه
قال مرني بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي
صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله تعالى من اصلابهم من
يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر رحمه الله
ان جبريل عم قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى امر السماء
والارض والجبال ان تطيعك فقال اؤخر عن امتي لعل الله ان

يتوسع عليهم قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السامة علينا
وعن عائشة رضي الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت
تردده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق
فصل واما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة
الرحم فحدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراءتي عليه قال حدثنا
ابو بكر محمد بن محمد قال حدثنا ابو اسحق الحبال قال حدثنا ابو محمد النحاس
قال حدثنا ابن الاعرابي قال حدثنا ابو داود قال حدثنا محمد بن
يحيى قال حدثنا محمد بن سنان قال حدثنا ابراهيم بن طهمان رحمهم الله
عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عبد الله بن
ابي الحمساء رضي الله عنهم قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه بها في مكانه
فنسيت ثم ذكرته بعد ثلاث فجئت فاذا هو في مكانه فقال
يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلث انتظرك وعن انس رضي
الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية قال اذهبوا
بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب
خديجة وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما غرت على امراة ما غرت
على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة فيهديها
الى خلائلها واستاذنت عليه صلى الله عليه وسلم اختها فارتاح
اليها ودخلت امراة فهش لها واحسن السؤال فلما خرجت قال
انها كانت تاتينا ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان ووصفه
بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو
افضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان آل بني فلان ليسوا لي باولياء
غير ان لهم رحما سابلها ببلالها وقد كان صلى الله عليه وسلم

سلم بامامة بنت زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا
قام حملها وعن ابي قتادة رضي الله عنه وفد وفد للنجاشي رحمه
الله فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك
نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين فاني احب ان اكافيهم
ولما جيء باخته من الرضاعة الشيماء رضي الله عنها من سبايا هوازن
فتعرفت له بسط لها رداءه وقال ان احببت اقمت عندي مكرمة
محببة او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها
وقال ابو الطفيل رض رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت
امراة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من
هذه قالوا امه التي ارضعته وعن عمرو بن السائب رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه
من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه
فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه
من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه
وكان يبعث الى ثويبة مولاة ابي لهب بصلة وكسوة فلما ماتت
سأل من بقي من قرابتها فقيل لا احد وفي حديث خديجة رضي الله
عنها انها قالت له صلى الله عليه وسلم ابشر فوالله لا يخزيك الله
ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف
وتعين على نوائب الحق فصل واما تواضعه صلى الله عليه وسلم
على علو منصبه ورتبته فكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد
الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين ان يكون نبيا ملكا
او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عليه السلام
عند ذلك فان الله تعالى قد اعطاك بما تواضعت له انك
سيد ولد آدم يوم القيمة واول من تنشق عنه الارض واول شافع
حدثنا ابو الوليد بن العواد الفقيه بقراءتي عليه في منزله بقرطبة

سنة سبع وخمسمائة قال حدثنا ابو علي الحافظ قال حدثنا ابو
عمر قال حدثنا ابن عبد المؤمن قال حدثنا ابن داسة قال حدثنا
ابو داود حدثنا ابو بكر بن شيبة قال حدثنا عبد الله بن نمير عن
مسعر عن ابي العنبس عن ابي العدبس عن ابي مرزوق عن ابي
غالب عن ابي امامة رضي الله عنهم قال خرج علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم متوكئا على عصى فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم
يعظم بعضها بعضا وقال انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما
يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين
ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا
بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر رضي الله عنه عنه
عليه السلام لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم انما انا
عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن انس رضي الله عنه ان امراة كان
في عقلها شيء جارية فقالت ان لي اليك حاجة فقال اجلسي يا ام
فلان في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك حتى اقضي حاجتك
قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت
من حاجتها قال انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه و
سلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة على
حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان يدعى الى خبز الشعير
والاهالة السنخة فيجيب قال وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم
على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم
اجعله حجا مبرورا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الارض
واهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة شرفها الله
ودخلها بجيوش المسلمين طاطا على رحله راسه حتى كاد يمس قادمته
تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني
على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبياء ولا تخيروني

لا تخيروني على موسى ونحن احق بالشك من ابراهيم ولو لبثت ما لبث
يوسف في السجن لاجبت الداعي وقال صلى الله عليه وسلم
للذي قال له يا خير البرية قال ذلك ابراهيم وسياتي الكلام على هذه
الاحاديث بعد هذا ان شاء الله تعالى وعن عائشة رضي الله
والحسن وابي سعيد رضي الله عنهما وغيرهم في صفته وبعضهم يزيد
على بعض كان في بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته و
يرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويعلف ناضحه و
يقم البيت ويعقل البعير وياكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل
بضاعته من السوق وعن انس رضي الله عنه قال ان كانت
الامة من اماء المدينة لتاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده
فتنطلق به حيث شاءت حتى تقضي حاجتها ودخل عليه رجل
فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك فاني لست
بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم
فاشترى السراويل وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة قال
فوثب الى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال
هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ
السراويل فذهبت لاحملها فقال عليه الصلوة والسلام صاحب
الشيء احق بشيئه ان يحمله فصل واما عدله صلى الله عليه وسلم
وامانته وعفته وصدق لهجته فكان النبي صلى الله عليه وسلم
امن الناس واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة
منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل
نبوته الامين قال ابن اسحق كان يسمى الامين لما جمع الله
فيه من الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر
المفسرين على انه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت قريش

وتجاذبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر الاسود حكموا اول
اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم هو داخل وذلك
قبل نبوته فقالوا هذا محمد الامين قد رضينا به وعن الربيع بن خثيم
رحمه الله كان يتحاكم الى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في
الجاهلية قبل الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم والله اني لامين
في السماء وامين في الارض حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ
بقراءتي عليه قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون قال حدثنا محمد بن
محمود المروزي قال حدثنا ابو عيسى الحافظ قال حدثنا ابو كريب
قال حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن ابي اسحق عن ناجية
بن كعب عن علي كرم الله وجهه رضي الله عنهم ان ابا جهل قال للنبي
صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل
الله تعالى فانهم لا يكذبونك الآية وروى غيره لا نكذبك وما
انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق لقي ابا جهل يوم
بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا
تخبرني عن محمد صادق ام كاذب فقال ابو جهل والله ان
محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسأل هرقل عنه ابا سفيان فقال
هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن
الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم و
اصدقكم حديثا واعظمكم امانة حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم
بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر وفي الحديث عنه عليه السلام
ما لمست يده يد امراة قط لا يملك رقها وفي حديث علي رضي الله عنه
في وصفه صلى الله عليه وسلم اصدق الناس لهجة وقال صلى
الله عليه وسلم في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت
ان لم اعدل قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله
عليه وسلم في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد

قال حدثنا ابو يعلى بن زوج الحرة صح

الناس منه قال ابو العباس المبرد رحمه الله قسم كسرى
ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر
للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه
ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا
وهم عن الآخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم
جزأ نهاره ثلاثة اجزاء جزء لله تعالى وجزء لاهله وجزء لنفسه
ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على
العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من
ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها آمنه الله تعالى يوم الفزع
الاكبر وعن الحسن رحمه الله قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يأخذ احدا بقذف احد ولا يصدق احدا على احد
وذكر ابو جعفر الطبري رحمه الله عن علي رضي الله عنه عليه
الصلوة والسلام ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية
يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد
من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله سبحانه برسالته قلت
ليلة لغلام كان يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل
مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت اول
دار من مكة سمعت فيها عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم
فجلست انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس
فرجعت ولم اقض شيئا ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهم
بعد ذلك بسوء قط فصل واما وقاره صلى الله عليه وسلم
وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه فحدثنا ابو علي الجياني
الحافظ اجازة وعارضت بكتابه قال حدثنا ابو العباس الدلائي
قال حدثنا ابو ذر الهروي قال اخبرنا ابو عبد الله الوراق قال
قال حدثنا اللؤلؤي قال حدثنا ابو داود قال حدثنا ابو عبيد

الرحمن بن سلام قال حدثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد
عن عمر بن عبد العزيز بن وهب سمعت خارجة بن زيد رضي الله
عنه يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه
لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري رضي الله
عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس
احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا
محتبيا وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه انه تربع وربما جلس
القرفصاء وهو في حديث قيلة وكان كثير السكوت لا يتكلم في
غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا
لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه رضي الله عنهم عنده التبسم
توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع
فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته اذا تكلم اطرق
جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وفي صفته صلى الله عليه وسلم
يخطو تكفؤا ويمشي هونا كانما ينحط من صبب وفي الحديث الآخر
اذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيه انه غير غرض ولا وكل اي
غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان احسن
الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله
رضي الله عنه كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل
او ترسيل قال ابن ابي هالة رضي الله عنه كان سكوته على اربع
على الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت عائشة رضي الله
عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده
العاد لاحصاه وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب
والرائحة الحسنة ويستعملها كثيرا ويحض عليهما ويقول حبب الي
من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة
ومن مروته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام و

الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك وانقاء
البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة فصل واما زهده
صلى الله عليه وسلم في الدنيا فقد تقدم من الاخبار اثناء
هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه عن
زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها
ان توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في
نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا
حدثنا سفيان بن العاصي والحسين بن محمد الحافظ والقاضي
ابو عبد الله التميمي قالوا حدثنا احمد بن عمر قال حدثنا ابو العباس
الرازي قال حدثنا ابو احمد الجلودي قال حدثنا ابو سفيان
قال حدثنا ابو الحسين مسلم بن الحجاج قال حدثنا ابو بكر بن ابي
شيبة قال حدثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن
الاسود عن عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفي
رواية اخرى من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء لاعطاه الله
ما لا يخطر ببال وفي رواية اخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه
وسلم من خبز بر حتى لقي الله تعالى وقالت عائشة رضي الله عنها ما
ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة
ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحارث رضي الله عنه ما ترك الا سلاحه و
بغلته وارضا جعلها صدقة قالت عائشة رضي الله عنها لقد
مات صلى الله عليه وسلم وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد الا شطر شعير
في رف لي وقال لي عليه الصلوة والسلام اني عرض علي ان يجعل
لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما
اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي
اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وفي حديث آخر ان جبريل عليه السلام نزل

عليه صلى الله عليه وسلم فقال له ان الله سبحانه يقرئك السلام
ويقول لك اتحب ان اجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك
حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار
له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل عليه السلام
ثبتك الله بالقول يا محمد وعن عائشة رضي الله عنها قالت ان كنا
آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء وعن عبد
الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال هلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير وعن عائشة رضي الله
عنها وابي امامة وابن عباس رضي الله عنهم كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون
عشاء وعن انس رضي الله عنه ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط وعن
عائشة رضي الله عنها انما كان فراشه الذي ينام عليه ادما حشوه
ليف وعن حفصة رضي الله عنها كان فراش رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بيتي مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع
فلما اصبح قال ما فرشتموني الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله
فان وطأته منعتني الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير
مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه وعن عائشة رضي الله عنها قالت
لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى
الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعا
يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء لسأل ربه
عز وجل جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي له
رحمة مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول نفسي
لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول صلى الله عليه
وسلم يا عائشة ما لي وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا

صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فا
فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي
ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو احب الي من اللحوق باخواني
واخلائي قالت عائشة رضي الله عنها فما اقام بعده الا شهرا حتى
توفي صلى الله عليه وسلم فصل واما خوفه ربه عز وجل وطاعته
له وشدة عبادته له فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم فيما حدثناه ابو محمد بن عتاب قراءة مني عليه قال حدثنا
ابو القاسم الطرابلسي قال حدثنا ابو الحسن القابسي قال حدثنا ابو زيد
المروزي حدثنا ابو عبد الله الفربري قال حدثنا محمد بن اسمعيل البخاري
قال حدثنا يحيى بن بكير رحمة الله عليهم اجمعين عن الليث عن عقيل عن
ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة رضي الله عنه كان يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
زاد في روايتنا عن ابي عيسى الترمذي يرفعه الى ابي ذر رضي الله عنه اني ارى
ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما
فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى
والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم
بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله تعالى
لوددت اني شجرة تعضد وروي هذا الكلام وددت اني شجرة
تعضد من قول ابي ذر نفسه وهو اصح وفي حديث المغيرة رضي الله
عنه صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية كان
يصلي حتى ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم
من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابي سلمة
وابي هريرة رضي الله عنهما وقالت عائشة رضي الله عنها كان عمل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان يطيق رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول

لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس رضي الله عنهم و
قالت كنت لا تشاء ان تراه من الليل مصليا الا رأيته مصليا ولا
نائما الا نائما وقال عوف بن مالك رضي الله عنه كنت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ فقام يصلي
فقمت معه فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر باية رحمة الا وقف فسأل ولا يمر
باية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان
ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ
آل عمران ثم يفعل مثل ذلك وعن حذيفة رضي الله عنه مثله وقال
سجد نحوا منه من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال
حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة رضي الله
عنها قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من القرآن ليلة و
عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه اتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل قال ابن ابي هالة
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان
دائم الفكرة ليست له راحة وقال صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله
في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة وعن علي كرم الله وجهه و
رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته
فقال المعرفة رأس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق
مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي واليقين قوتي
والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد
حرفتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة
عيني في الصلوة وفي حديث آخر وثمرة فؤادي في ذكره وغمي
لاجل امتي وشوقي الى ربي فصل اعلم وفقنا الله واياك ان
جميع الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين من كمال
الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع

المحاسن هي من هذه الصفة لانها صفات الكمال والتمام البشري
والفضل الجميع لهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين اذ رتبتهم
اشرف الرتب ودرجتهم ارفع الدرجات ولكن الله تعالى فضل بعضهم
على بعض قال الله تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وعنه
قال صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة
القمر ليلة البدر ثم قال عليه السلام اخر الحديث على خلق رجل واحد
على صورة ابيهم آدم طوله ستون ذراعا في السماء وفي حديث ابي
هريرة رضي الله عنه رأيت موسى عم فاذا رجل ضرب جعد اقنى طويل
الانف كانه من رجال شنوءة ورأيت عيسى عم فاذا رجل ربعة
كثير خيلان الوجه احمر كانما خرج من ديماس وفي حديث آخر مبطن
مثل السيف قال وانا اشبه ولد ابراهيم عم وقال في حديث آخر في صفة
موسى عم كاحسن ما انت راء من ادم الرجال وفي حديث ابي هريرة رضي الله
عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيا
الا في ذروة من قومه ويروى في ثروة اي في كثرة ومنعة وحكى ال
الترمذي رحمه الله عن قتادة رضي الله عنه ورواه الدارقطني من
حديث قتادة عن انس رضي الله عنهما ما بعث الله تعالى نبيا
الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم
صوتا وفي حديث هرقل وسألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو
نسب كذلك الرسل تبعث في انساب قومها وقال تعالى في ايوب
عليه السلام انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقال تعالى
يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال تعالى
ان الله يبشرك بيحيى الى الصالحين وقال تعالى ان الله اصطفى
آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين الآيتين وقال
في نوح عم انه كان عبدا شكورا وقال تعالى ان الله يبشرك بكلمة
منه المسيح الى الصالحين وقال اني عبد الله آتاني الكتاب

موسى عم

الى قوله ما دمت حيا و قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا
كالذين آذوا موسى الآية قال صلى الله عليه وسلم كان رجلا حييا
ستيرا ما يرى من جلده شيء استحياء الحديث و قال تعالى عنه
فوهب لي ربي حكما الآية و قال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الى
و قال تعالى في وصف جماعة منهم اني لكم رسول امين و قال
ان خير من استأجرت القوي الامين و قال تعالى فاصبر كما صبر
اولوا العزم من الرسل و قال تعالى و وهبنا له اسحق ويعقوب
كلا هدينا الى قوله فبهديهم اقتده فوصفهم تعالى باوصاف
جمة من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة و قال
فبشرناه بغلام حليم و قال تعالى ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون
وجاءهم رسول كريم الى قوله رسول امين و قال تعالى ستجدني ان
شاء الله من الصابرين و قال تعالى في اسمعيل عم انه كان صادق
الوعد الآيتين و في موسى عم انه كان مخلصا و في سليمان عليه السلام
نعم العبد انه اواب و قال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق و
يعقوب اولي الايدي والابصار الى الاخيار و في داود عليه السلام
انه اواب ثم قال و شددنا ملكه و آتيناه الحكمة وفصل الخطاب
و قال تعالى عن يوسف اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم
و في موسى ستجدني ان شاء الله صابرا و قال في شعيب و ما اريد
ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت و ما توفيقي
الا بالله و قال و لوطا آتيناه حكما وعلما و قال انهم يسارعون
في الخيرات الآية و قال سفيان هو الحزن الدائم في آي كثيرة ذكر فيها
من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك
في الاحاديث كثير كقوله انما الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن
يعقوب بن اسحق بن ابراهيم نبي بن نبي بن نبي و في حديث انس
رضي الله عنه وكذلك الانبياء عليهم السلام تنام اعينهم ولا تنام

قلوبهم وروي ان سليمان عم مع ما اعطي من الملك لا يرفع
بصره الى السماء تخشعا و تواضعا لله تعالى وكان يطعم الناس
لذائذ الاطعمة و يأكل خبز الشعير واوحى الله اليه يا رأس العابدين و
ابن محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده
فيقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف عليه السلام ما لك
تجوع وانت على خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجائع
روى ابو هريرة عنه عليه السلام خفف على داود القرآن فكان
يأمر بدابته فتسرج فيقرأ القرآن قبل ان تسرج ولا يأكل الا من
عمل يده و قال تعالى والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في
السرد وكان يسأل ربه عز وجل ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن
بيت مال الله تعالى و قال صلى الله عليه وسلم احب الصلوة الى الله
صلوة داود واحب الصيام الى الله صيام داود وكان ينام النصف
نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما
وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح
والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا
ببصره الى السماء حياء من ربه عز وجل ولم يزل باكيا حيوته كلها وقيل
بكى حتى نبت العشب من دموعه حتى اتخذت الدموع في خده
اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيستمع الثناء عليه
فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عم لو اتخذت حمارا قال انا اكرم على
الله عز وجل من ان يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر
ولم يكن له بيت اينما ادركه النوم نام وكان احب الاسامي اليه
ان يقال له مسكين وقيل ان موسى عم لما ورد ماء مدين كانت ترى
خضرة البقل في بطنه من الهزال و قال صلى الله عليه وسلم لقد
كان الانبياء يبتلى بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم من
العطاء اليكم و قال عيسى عم للخنزير اذهب بسلام فقيل له

قيام الريح عم

في ذلك فقال اكره ان اعود لساني النطق بالسوء وقال مجاهد
رحمه الله كان طعام يحيى عليه السلام العشب وكان يبكي من خشية الله
عز وجل حتى اتخذ الدمع مجرى في خده وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط
الناس وحكى الطبري عن وهب ان موسى عم كان يستظل بعريش ويأكل في
نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله
لما اكرمه الله به من كلامه واخبارهم عليهم السلام في هذا كله مسطورة
صفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصور والشمائل معروفة
مشهورة فلا نطول بها ولا نلتفت الى ما تجده في كتب بعض المؤرخين الجهابذة
والمفسرين مما يخالف هذا فصل قد آتيناك اكرمك الله من ذكر
الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة والخصال الكمال العديدة
واريناك صحتها له صلى الله تعالى عليه وسلم وجلبنا من الآثار ما فيه
مقنع والامر في مناقبه اوسع فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه و
سلم ممتد ينقطع دون نفاده الادلاء وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره
الدلاء ولكنا اتيناك فيه بالمعروف مما اكثره في الصحيح المشهور من الدلائل
المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض من فيض ورأينا
ان نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن ابي هالة رضي الله
عنه لجمعه من شمائله صلى الله عليه وسلم واوصافه كثيرا وادماجه
جملة كافية من سيره وفضائله وفصله بتنبيه لطيف على غريبه و
مشكله حدثنا القاضي ابو علي الحسين بن محمد الحافظ بقراءتي عليه
سنة ثمان وخمسمائة قال حدثنا الامام ابو القاسم عبد الله بن طاهر
التميمي قرأت عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله بن
الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن
المحمدي والقاضي ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا اخبرنا
ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي قالوا اخبرنا ابو سعيد
الهيثم بن كليب الشاشي قال اخبرنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن

بن سورة الحافظ قال حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا
جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي رحمهم الله املاء من كتابه قال حدثنا
رجل من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة ام المؤمنين رضي الله
عنها يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي هالة عن الحسن بن علي بن ابي
طالب رضي الله عنهم قال سألت خالي هند بن ابي هالة قال الشيخ
ابو علي رحمه الله وقرأت على الشيخ ابي طاهر احمد بن الحسن بن احمد
بن خداد الكرجي الباقلاني قال واجاز لنا الشيخ الاجل ابو الفضل
احمد بن الحسن بن خيرون قالا اخبرنا ابو علي الحسن بن احمد بن
ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي
قراءة عليه فاقر به قال اخبرنا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن
بن علي بن علي بن جعفر بن عبد الله بن الحسين علي بن الحسين
بن علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي قال حدثنا
اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن
اخيه ابن علي بن ابي طالب قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن
الحسين عن اخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن
علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي رحمة الله عليهم ورضي الله
تعالى عنهم اجمعين واللفظ لهذا السند سألت خالي هند بن ابي
هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافا فاله
عليه السلام وانا ارجو ان يصف لي منها شيئا اتعلق به فقال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ
القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة
رجل الشعر ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره
شحمة اذنيه اذا هو وفره ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ
من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اقنى العرنين له نور
يعلوه يحسبه من لم يتأمله اشم كث اللحية ادعج سهل الخدين

ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد
دمية في صفاء الفضة معتدل القامة بادنا متماسكا سواء البطن
والصدر مشيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس انور
المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين
مما سوى ذلك انور المتجرد اشعر الذراعين والمنكبين واعالي الصدر
طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الا
الاطراف وقال سائن الاطراف وسائر الاطراف سبط القصب
خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال قلعا تقلعا
ويخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من
صبب واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض
اطول من نظره الى السماء يسوق اصحابه من لقيه ويبدا بالسلام قلت جل نظره الملاحظة صح
صف لي منطقه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان
دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت
يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه
ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم
شيئا لم يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق بشيء
حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار اشار بكفه كلها
واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحة
يده اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه جل
ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن رحمه الله فكتمتها
الحسين بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني اليه فسال اباه
عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله
فلم يدع منه شيئا قال الحسين رضي الله عنه سالت ابي عن دخول
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه ماذونا له في
ذلك فكان اذا اوى الى منزله جزا دخوله ثلاثة اجزاء جزءا لله

تعالى وجزءا لاهله وجزءا لنفسه ثم جزا جزاه بينه وبين الناس
فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته
في جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه وقسمه على قدر فضلهم في
الدين فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل
بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة من مسالته عنهم واخبارهم بالذي
ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب وابلغوني حاجة
من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من ابلغ سلطانا حاجة من
لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة ولا يذكر عنده
الا ذلك ولا يقبل من احد غيره وقال في حديث سفيان بن
وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون
ادلة يعني فقهاء رحمهم الله قلت فاخبرني عن مخرجه كيف كان
يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه
الا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم يكرم كريم كل قوم ويوليه
عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد بشره
وخلقه ويتفقد اصحابه ويسال الناس عما في الناس ويحسن
الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف
لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن
الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم
افضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم
مواساة وموازرة فسالته عن مجلسه عما كان يصنع فيه صلى الله
عليه وسلم فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا
يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها اذا
انتهى الى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويامر بذلك ويعطي
كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من
جالسه او قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه

من سأله حاجة لم يردّه الا بها او بميسور من القول قد وسع
الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق متقا
متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى صاروا
عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع
فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة
من غير الرواية يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون
فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون
الغريب فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين
الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب
ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من
ثلاث المراء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان
لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما رجا
ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير واذا تكلم سكتوا
لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ
حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون
منه ويصبر للغريب على الجفوة في النطق ويقول اذا رأيتم صاحب
الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثناء الا من مكافئ ولا يقطع
على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء او قيام هنا انتهى حديث
سفيان بن وكيع وزاد الآخر قلت كيف سكوته صلى الله عليه وسلم
فقال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر واما
تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس واما تفكره
ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر فكان
لا يغضبه شيء ولا يستفزه وجمع له الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى
به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد الرأي بما اصلح امته والقيام لهم بما

بما جمع لهم في امر الدنيا والآخرة انتهى الوصف بحمد الله وعونه عز وجل
نفصل في تفسير غريب هذا الحديث مشكله قوله المشذب اي البائن
الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الآخر ليس بالطويل الممغط ورجل
الرجل الذي كأنه مشط لتكسره قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة
شعر الرأس اراد ان انفرقت من ذات نفسها فرقها والا تركها
معقوصة ويروى عقيصته وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن
منه زهرة الحيوة الدنيا اي بهجتها وهذا كما قال في الحديث الآخر ليس
بالابيض الامهق ولا بالآدم والامهق هو الناصع البياض والآدم
الاسمر اللون ومثله في الحديث الآخر ابيض مشرب اي فيه حمرة وازج
الحاجب الازج المقوس الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل
الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل قصبة الانف والقرن
اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث ام معبد وصفه
بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الآخر اشكل العين
العينين وانجل العين وهو الذي في بياضه حمرة والضليع الواسع
الشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد
في اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا والدقيق المسربة خط
خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة بادن ذو لحم متماسك
معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله في الحديث الآخر لم يكن
بالمطهم ولا بالمكلثم اي ليس بمسترخي اللحم والمكلثم القصير الذقن
وسواء البطن والصدر اي مستويهما ومشيح الصدر ان صحت
هذه اللفظة فتكون من الاقبال وهو احد معاني اشاح اي انه كان
بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح
قوله قبل سواء البطن والصدر اي ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض [?] بمتقاعس بيانه [?]
البطن ولعل اللفظة مسيح بالسين بفتح الميم اي عريض كما وقع
في الرواية الاخرى حكاه ابن دريد والكراديس رؤس العظام

وهو مثل قوله في الحديث الاخر جليل المشاش والكتد رؤس المناكب
والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين اي غليظهما والزندان
عظما الذراعين وسائل الاطراف اي طويل اطراف الاصابع ذكر
ابن الانباري انه روي انه سائل الاطراف وقال سائن بالنون
فقال وهما بمعنى تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بها واما
على الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه
كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة اي واسعها وقيل
كني به عن سعة العطاء والجود وخمصان الاخمصين اي متجافي اخمص
القدمين وهو الموضع الذي لا تناله الارض من وسط القدم و
مسيح القدمين اي املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء وفي حديث
ابي هريرة خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا
يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمي المسيح ابن مريم
عيسى بن مريم اي لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا ايضا
يخالف قوله شثن القدمين والتقلع هو رفع الرجل بقوة و
التكفؤ الميل الى سنن المشي وقصده والهون الرفق والوقار
والذريع الواسع الخطو اي ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد
خطوه بخلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق و
تثبت دون العجلة كما قال كانما ينحط من صبب قوله يفتتح
الكلام ويختمه باشداقه اي لسعة فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم
بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله فيرد ذلك
بالخاصة على العامة اي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه
فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء آخر
بالعامة ويدخلون روادا اي محتاجين اليه وطالبين لما عنده و
لا ينصرفون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون
على ظاهره اي في الغالب الاكثر والعتاد العدة والشيء الحاضر

الحاضر والمعدة والموازرة والمعاونة وقوله لا يوطن الاماكن
اي لا يتخذ لصلاته موضعا معلوما وقد ورد نهيه صلى الله
عليه وسلم مفسرا في غير هذا الحديث وصابره اي حبس نفسه
على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اي لا يذكرن بسوء ولا تنثى
فلتاته اي لا يتحدث بها اي لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد
سترت فيرفدون ذا الحاجة يعينون والسخاب الكثير الصياح
ولا يقبل الثناء الا من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه و
قيل الا من مسلم وقيل الا من مكافئ على يد سبقت من النبي صلى
الله عليه وسلم له ويستفزه يستخفه وفي حديث آخر في وصفه صلى
الله عليه وسلم له وهو منهوس العقب اي قليل لحمها واهدب الاشفار
اي طويل شعرها الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها
بعظيم قدره صلى الله عليه وسلم عند ربه ومنزلته وما خصه به في
الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم ولا خلاف انه اكرم البشر
وسيد ولد آدم وافضل الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة
واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا
وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معاني ما ورد منها
في اثني عشر فصلا الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته عند
ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد آدم و
ما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب اخبرنا الشيخ
ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه حدثنا ابو الحسن المقرئ
الفرغاني حدثنا ام القاسم بنت ابي بكر بن يعقوب عن ابيها
حدثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى هو ابن اسماعيل عن يحيى الحماني
حدثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق
قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله اصحاب اليمين

واصحاب الشمال فانا من اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل
القسمين اثلاثا فجعلني من خيرها ثلثاً وذلك قوله فاصحاب
الميمنة واصحاب المشأمة والسابقون السابقون فانا من
السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني
من خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا
فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا
فجعلني في خيرها بيتاً فذلك قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت ويطهركم تطهيرا وعن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قالوا
يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد
عن واثلة الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من قريش بني هاشم
واصطفاني من بني هاشم ومن حديث انس رضي الله عنه انا اكرم
ولد آدم على ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس انا اكرم الاولين و
الآخرين ولا فخر وعن عائشة رضي الله عنها عنه صلى الله عليه و
سلم قال اتاني جبريل فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم
ار رجلاً افضل من محمد ولم ار من بني اب افضل من بني
هاشم وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة
اسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا فما
ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس
رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله آدم
اهبطني في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة
وقذف بي الى النار في صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلني في الاصلاب
الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا
على سفاح قط والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب في شعره
بقوله فيه شعر من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع

حيث يخصف الورق ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة
ولا علق بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق ور
وردت نار الخليل مكتتما في صلبه انت كيف يحترق تنقل من صالب
الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف
علياء تحتها النطق وانت لما ولدت اشرقت الارض وضاءت
بنورك الافق فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد
نخترق وروى عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس
وابو هريرة بن عبد الله انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستاً
لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي
الارض مسجدا وطهورا وايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل
واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وبعثت للناس كافة واعطيت
الشفاعة وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية
وعرض على امتي فلم يخف على التابع من المتبوع وفي رواية بعثت
الى الاحمر والاسود وقيل اسود العرب لان الغالب على الوانهم
الادمة فهم من السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل
الحمر الانس والسود الجن وفي الحديث الآخر عن ابي هريرة رضي الله
عنه ونصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ
جيء بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي وفي رواية وختم
بي النبيون وعن عقبة بن عامر انه قال صلى الله عليه وسلم اني فرط
لكم وانا شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضي الآن واني قد اعطيت
مفاتيح خزائن الارض واني والله ما اخاف عليكم ان
تشركوا بعدي ولكن اخاف عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله
بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي
لا نبي بعدي اوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة الجنة النار وحملة
وحملة العرش وعن ابن عمر بعثت بين يدي الساعة ومن

رواية ابن وهب انه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى سل
يا محمد فقلت ما اسأل يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى
تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد
من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك الكو
الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت
الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر فانت تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد
قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك
ولم اخبأها لنبي غيرك وفي حديث آخر رواه حذيفة بشرني يعني
اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا
ليس عليهم حساب واعطاني ان لا تجوع امتي ولا تغلب بعدي
واعطاني النصرة والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا
وطيب لي ولامتي الغنائم واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا
لم يجعل علينا في الدين من حرج وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه
صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطي من الآيات
ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله
الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة معنى هذا الحديث
عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وسائر معجزات
الانبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة الق
القرآن يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة
وفيه كلام يطول هذه الجملة وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر
فيه سوى هذا آخر باب المعجزات وعن علي رضي الله عنه قال كل
نبي اعطي سبعة نجباء من امته واعطي نبيكم اربعة عشر نجيبا منهم
ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار وقال صلى الله عليه وسلم ان الله
قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانها

/

انها لا تحل لاحد قبلي وانما احلت لي ساعة من نهار وعن العرباض
بن سارية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اني عبد الله وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وعدوة
ابي ابراهيم وبشارة عيسى بن مريم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال
ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السماء وعلى
الانبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على اهل السماء قال ان
الله تعالى قال ان الله تعالى قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني
اله من دونه الآية وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا
مبينا الآية وقالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله تعالى قال
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال وما ارسلنا من رسول الا
بلسان قومه الآية وقال لمحمد وما ارسلناك الا كافة للناس وعن
خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه عن ابي
ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك فقال نعم انا دعوة ابي
ابراهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى و
رأت امي حين حملت بي انه خرج منها نور اضاءت له قصور بصرى
من ارض الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ
لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاءني رجلان عليهما ثياب
بيض وفي حديث آخر ثلاثة رجال بطست من ذهب مملوءة
ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري الى
مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه واستخرجا منه علقة
سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه
قال في حديث آخر ثم تناول احدهما فاذا خاتم في يده من نور
يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه
وامر الآخر يده على مفرق صدري فالتأم وفي رواية ان جبريل

قال طلب وكيع اي ستدبر فيه عيناي تبصران واذناي تسمعان
ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني بهم
فوزنتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال
زنه بالف من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته
بامته كلها لوزنها قال في الحديث الآخر ثم ضموني الى صدورهم
انك لا تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الخبر
من قولهم ما اكرمك على الله ان الله معك وملائكته قال في حديث
ابي ذر فما هو الا ان وليا عني فكانما ارى الامر معاينة وحكى ابو محمد
مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما ان آدم عند معصيته قال
اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى فتقبل توبتي فقال له الله
من اين عرفت محمدا قال رأيت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله
الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت انه
اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله
تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه
وفي رواية الآجري فقال آدم لما خلقتني رفعت رأسي الى عرشك فاذا فيه
مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا
عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي
انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه لما خلقتك قال وكان آدم
يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر وروى عن سريج بن يونس
قال ان لله ملائكة سياحين عبادتهم زيارة كل دار فيها احمد او
محمد اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي
عن ابي الحمراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي
الى السماء اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي
رضي الله عنه وفي التفسير عن ابن عباس في قوله تعالى وكان تحته
كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف

وقبلوا راسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب صح

كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى
الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد
عبدي ورسولي وعن ابن عباس على باب الجنة مكتوب اني انا الله
لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها وذكر انه وجد على
الحجارة القديمة مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله نبي تقي مصلح
وسيد امين وذكر السمنطاري انه شاهد في بعض بلاد خراسان
مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله وذكر
الاخباريون ان في بلاد الهند وردا احمر مكتوب عليه بالابيض
لا اله الا الله محمد رسول الله وروى عن جعفر بن محمد عن ابيه قال
اذا كان يوم القيامة نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة
لكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم وروى ابن القاسم في سماعه
وابن وهب في جامعه عن مالك رحمه الله سمعت اهل مكة يقولون
ما من بيت فيه اسم محمد الا نما ورزقوا ورزق جيرانهم وعنه صلى الله
عليه وسلم ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن
عبد الله بن مسعود ان الله نظر الى قلوب العباد فاختار منها
قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته
وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان
تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الآية
قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني عليكم
تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث فصل
في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية وامامة
الانبياء والعروج به الى سدرة المنتهى وما رأى من آيات
ربه الكبرى ومن خصائصه قصة الاسراء وما انطوت عليه من
درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الا
الاخبار قال الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من

المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الآية وقال والنجم اذا هوى
الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين
في صحة الاسراء به صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القرآن وجاءت
بتفصيله وشرح عجائبه وخواص نبينا صلى الله عليه وسلم فيه احاديث
كثيرة منتشرة ورأينا ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة من غيره
يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر بسماعي
عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا
حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفيان
حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن انس بن مالك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة
ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه
قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط
بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت
فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال
جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح فقيل من انت
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه
ففتح لنا فاذا انا بآدم عليه السلام فرحب لي ودعا لي بخير ثم عرج بنا
الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قال وقد بعث اليه قال قد بعث ففتح لنا فاذا
انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام فرحبا و
دعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا
فاذا انا بيوسف عم فاذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب لي ودعا
لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس عم
فرحب لي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا
الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهرون عليه السلام فرحب

حدثنا مسلم بن حجاج
قال ثنا شيبان بن فروخ
قال صح

فرحب لي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله
فاذا انا بموسى عليه السلام فرحب لي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى
السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم عم مسندا ظهره الى البيت
المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون
اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا
ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد
من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى
ففرض علي خمسين صلاة في يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال
ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك
فسئله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني
اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن
امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا فقال
ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسئله التخفيف قال
فلم ارجع بين يدي ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس
صلوات لكل يوم وليلة لكل صلوة عشر فتلك خمسون صلوة
ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا
ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة
قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى عم فاخبرته فقال ارجع الى ربك
فاسئله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي ابو الفضل رضي
الله عنه جود ثابت هذا الحديث عن انس ما شاء ولم يأت
احد عنه باصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لا
سيما من رواية شريك بن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجيء الملائكة له
وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبي وقبل الوحي
وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة

الاسراء ولا خلاف انها كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها
كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن انس
من رواية حماد بن سلمة ايضا مجيء جبريل الى النبي صلى الله
عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك
القصة منفردة من حديث الاسراء كما رواه الناس فجود في الـ
القصتين وفي ان الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى
كان قصة واحدة فانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج من هناك
فازاح كل اشكال واوهم غيره وروى يونس بن شهاب عن انس
قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم
ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري
ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بنا الى السماء فذكر القصة وروى
قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة وفيها
تقديم وتاخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الانبياء
في السموات وحديث ثابت عن انس اتم اتقن واجود وقد وقعت
في حديث الاسراء زيادات نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها
في حديث بن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح
والاخ الصالح الا آدم وابراهيم فقالا له والابن الصالح وفيه من
طريق بن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف
الاقلام وعن ابن عباس عن انس ثم انطلق بي حتى انتهيت بي الى سدرة
المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هو قال ثم ادخلت الجنة وفي
حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي
ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة
اكثر مما يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة وقد رايتني في جماعة
من الانبياء فحانت الصلوة فاممتهم فقال قائل يا محمد هذا

هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام وفي
حديث ابي هريرة ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط
فرسه الى صخرة التي يربط فيها الانبياء فصلى مع الملائكة فلما
قضيت الصلوة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد
رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه
الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح
الانبياء واثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم و
موسى وعيسى وداود وسليمان عليهم السلام ثم ذكر كلام النبي
صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا فاتح وخاتم وقول ابراهيم بهذا
افضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء الى
سماء نحو ما تقدم وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال
كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة
للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي القرآن فيه الفرقان
تبيان لكل شيء وجعل امتي خير امة اخرجت للناس وجعل
امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون والآخرون و
ورفع لي ذكري
شرح لي صدري ووضع عني وزري وجعلني فاتحا وخاتما فقال
ابراهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى السماء ومن سماء
الى سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود وانتهى بي الى سدرة المنتهى
وهي في السماء السابعة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها
قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية ابي
هريرة من طريق بن انس فقيل لي هذه السدرة المنتهى ينتهي
اليها كل احد من امتك خلا على سبيلك وهي السدرة المنتهى
يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه
وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وهي
شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة

للخلق فغشيها نور وغشيها الملائكة قال فهو قوله اذ يغشى
السدرة ما يغشى فقال تبارك وتعالى له سل فقال انك اتخذت
ابراهيم خليلاً واعطيته ملكاً عظيماً وكلمت موسى تكليماً واعطيت
داود ملكاً عظيماً والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت
سليمان ملكاً عظيماً وسخرت له الجن والانس والشياطين
والرياح واعطيته ملكاً لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت موسى
التورية وعيسى الانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته
وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى
قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التورية محمد حبيب الرحمن وارسلتك
ارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم
الآخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك
عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقاً واخرهم بعثاً واعطيتك
سبعاً من المثاني فلم اعطها نبياً قبلك واعطيتك خواتيم سورة
البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبي قبلك وجعلتك فاتحاً
وخاتماً وفي الرواية الاخرى قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثاً اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك
بالله شيئاً من امته المقحمات وقال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى الآية
رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح وفي حديث شريك انه رأى موسى
في السماء السابعة قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به فوق ذلك
بما لا يعلمه الا الله فقال موسى لم اظن ان يرفع علي احد وقد روي
عن انس انه صلى الله عليه وسلم صلى ببيت المقدس بالانبياء
وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا قاعد ذات
يوم اذ دخل جبريل عم فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل وكري
الطائر فقعد في واحدة وقعدت في الاخرى فسمت حتى سدت
الخافقين ولو شئت لمسست السماء وانا اقلب طرفي ونظرت جبريل

جبريل كانه حلس لاطي فعلمت فضل علمه بالله علي وفتح لي باب السماء
ورأيت النور الاعظم واذا دوني الحجاب فوقه الدر والياقوت
ثم اوحى الله الي ما شاء ان يوحى الي وذكر البزار عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه قال لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاءه
جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه
فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى
الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى
فبينما هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى
عليه وسلم يا جبريل من هذا فقال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق
مكاناً وان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال
الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي
انا الله اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل من
وراء الحجاب صدق عبدي انا الله لا اله الا انا وذكر مثل هذا
في بقية الاذان الا انه لم يذكر جواباً عن قوله حي على الصلوة
حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد فقدمه فام اهل
السماء فيهم آدم ونوح قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين
راويه اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل السموات
والارض قال القاضي رضي الله عنه ما في هذا الحديث من ذكر
الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون و
الباري جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس
ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم بما شاء
كيف شاء ومتى شاء لقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
فقوله في هذا الحديث الحجاب معا واذ خرج ملك من الحجاب يجب
ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه من الملائكة عن الاطلاع
الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته

المحجوبون

وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن الملك الذي
خرج من وراء الحجاب ان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه
تدل على ان الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة
المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها
علمهم واما قوله الذي الرحمن فيحمل على حذف المضاف اي على عرش
الرحمن او امر ما من عظيم آياته او مبادي حقائق معارفه مما هو اعلم به
كما قال تعالى واسئل القرية اي اهلها وقوله فقيل من وراء حجاب
صدق عبدي انا اكبر فظاهره انه سمع في هذا الموطن كلام الله ولكن
من وراء حجاب كما قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته وان صح
القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل انه في غير
هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره فرآه حتى رآه
والله اعلم فصل ثم اختلف السلف والعلماء هل كان الاسراء
بروحه او بجسده على ثلاث مقالات فذهبت طائفة الى انه اسراء
بالروح وانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق ووحي
والى هذا ذهب معاوية وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه و
اليه اشار محمد بن اسحاق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك
الا فتنة للناس فقيل رآها يوم الحديبية وما حكي عن عائشة ما
فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا انا نائم
وقول انس وهو نائم في المسجد وذكر القصة ثم قال في آخرها ف
استيقظت وانا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين
الى انه اسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس وجابر
وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة وابي حبة
البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب
وابن شهاب وابن زيد والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة

وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عائشة وهو قول الطبري وابن
حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهذا قول اكثر المتأخرين من الفقهاء
والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة كان الاسراء
بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السماء بالروح واحتجوا بقوله
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسراء الذي وقع التعجب
فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي محمد صلى الله عليه
وسلم واظهار الكرامة له بالاسراء اليه قال هؤلاء ولو كان الاسراء
بجسده الى زائد على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ في المدح
ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام لا ففي
حديث انس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة
بن اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي
رضي الله عنه والحق من هذا والصحيح ان شاء الله تعالى انه اسراء بالجسد
والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح الاخبار والاعتبار
ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التأويل الا عند الاستحالة و
ليس في الاسراء بجسده وحال اليقظة استحالة اذ لو كان مناما
لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو
كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار و
لا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا
من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان
عن جسمه وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلوته
بالانبياء ببيت المقدس في رواية انس او في السماء على ما روى غيره
وذكر مجيء جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال
ومن معك فيقول محمد ولقائه الانبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم
به وشانه في فرض الصلوة ومراجعته مع موسى عم في ذلك

وفي بعض هذه الاخبار فاخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي الى السماء
الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانه
وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره قال ابن
عباس هي رؤيا عين اراها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام
وعن الحسن فيه بينا انا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني بعقبه فقمت
فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي وذكر ذلك ثلثا فقال في
الثالثة فاخذ بعضدي فجرني الى باب المسجد فاذا بدابة وذكر خبر
البراق وعن ام هانئ قالت ما اسري برسول الله صلى الله عليه
وسلم الا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشاء الاخيرة ونام بيننا
فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى
الصبح وصلينا قال يا ام هانئ لقد صليت معكم العشاء الاخيرة كما رأيت
بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة
معكم الآن كما ترون وهذا بين في انه بجسمه وعن ابي بكر في رواية
شداد بن اوس عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري
به طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك فلم اجدك فاجابه ان
جبريل حمله الى المسجد الاقصى وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد
ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قائم معه آنية ثلثة وذكر الحديث
وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظواهرها وعن ابي ذر
عنه صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل
فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم الى اخر القصة ثم اخذ بيدي فعرج
بي وعن انس اتيت فانطلقوا بي الى ماء زمزم فشرح عن صدري
وعن ابي هريرة عنه عليه السلام لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني
عن مسراي فسألتني عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله
قط فرفعه الله لي انظر اليه ونحوه عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب

الخطاب رضي الله عنه في حديث الاسراء عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال ثم رجعت الى خديجة وما تحولت عن جانبها فصل في
ابطال حجج من قال انها نوم احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا
التي اريناك فسماها رؤيا قلنا قوله سبحان الذي اسرى بعبده
يرده لانه لا يقال في النوم اسرى وقوله فتنة للناس يؤيد انها
رؤيا عين واسراء بشخص اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به احد
لان كل احد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة
في اقطار متباينة على ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الآية
فذهب بعضهم الى انها نزلت في قضية الحديبية وما وقع في نفوس
الناس من ذلك وقيل غير هذا واما قولهم انه قد سماها في
الحديث مناما وقوله في حديث اخر بين النائم واليقظان وقوله
ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان
اول وصول الملك اليه كان وهو نائم واول حمله والاسراء به وهو
نائم وليس في الحديث انه كان نائما في القضية كلها الا ما يدل عليه
ثم استيقظت يعني اصبحت واستيقظ من نوم اخر بعد وصوله
بيته ويدل عليه ان الاسراء لم يكن طول ليلة وانما كان في بعضه و
قد يكون قوله ثم استيقظت وانا في المسجد الحرام لما كان غمره
من عجائب ما طالع من ملكوت السموات والارض وخامر باطنه
من مشاهدة الملأ الاعلى وما رأى من آيات ربه الكبرى فلم يستفق
ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان
يكون نومه وايقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسري بجسده
وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء عليهم السلام حق تنام اعينهم ولا تنام
قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات الى نحو من هذا قال
تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله ولا يصح هذا
ان يكون في وقت صلاة بالانبياء ولعله كانت له في هذه الاسراء

حالات ووجه رابع وهو ان يعبر عنه بالنوم ههنا عن هيئة النائم
من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد عن همام
بينا انا نائم وربما قال مضطجع وقوله في رواية هدبة عنه بينا
انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى
بين النائم واليقظان فيكون سماه النائم غالبا وذهب
بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو
الرب الواقعة في هذا الحديث انما هي من رواية شريك عن انس فهي
منكرة من روايته اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في
صغره صلى الله عليه وسلم وقبل النبوة ولانه قال في الحديث
قبل ان يبعث والاسراء باجماع كان بعد البعث وهذا كله يوهن
ما وقع في رواية انس مع ان انسا قد بين من غير طريق انه انما رواه
عن غيره وانه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن
مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على
الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث واما قول عائشة ما فقدت
جسده فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ زوجته
ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في
الاسراء متى كان فان الاسراء كان في اول الاسلام على قول الز
الزهري ومن وافقه بعد البعث بعام ونصف وكانت عائشة
في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام وقيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة
وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول
ليست من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عائشة دل على انها حدثت
بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول بخلافه مما
وقع نصا في حديث ام هانئ وغيره وايضا فليس حديث عائشة
بالثابت والاحاديث الاخر اثبت لسنا نعني حديث ام هانئ وما ذكرت
فيه خديجة وايضا فقد روي في حديث ما فقدت وما يدخل بها

بها النبي صلى الله عليه وسلم الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي
يدل عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها ان يكون رؤياه لربه
رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فان قيل فقد قال
الله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه القلب وهذا
يدل على انها رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله
قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف الامر للبصر وقال
اهل التفسير في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى اي لم يوهم
القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها فقيل ما انكر قلبه
ما رآه فصل واما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل
فقد اختلف السلف فيها فانكرته عائشة رضي الله عنها حدثنا
ابو الحسن سراج بن عبد الملك بن الحافظ بقراءتي عليه قال حدثني
ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا قال القاضي يونس
بن مغيث حدثنا ابو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن القاسم
بن ثابت عن ابيه وجده قالا حدثنا عبد الله بن علي حدثنا
محمود بن آدم حدثنا وكيع عن ابي خالد عن عامر عن مسروق
انه قال لعائشة يا ام المؤمنين هل رأى محمد ربه فقالت لقد
قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد كذب
من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه
الابصار الآية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عائشة
وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة وانه انما رأى
جبريل واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا
جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس رضي
الله عنه انه رآه بعينه وروى عطاء عنه رآه بقلبه وعن ابي العالية
عنه رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن اسحق ان ابن عمر ارسل الى ابن
عباس يسأله هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه فقال نعم

والاشهر عنه انه رؤية بعينه وروي ذلك عنه من طرق و
قال ان الله اختص موسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية
وحجته قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى افتمارونه على ما يرى
ولقد رآه نزلة اخرى قال الماوردي قيل ان الله قسم كلامه
ورؤيته بين محمد وموسى فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين و
حكى ابو الفتح الرازي وابو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب و
روى عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس
اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا قد رأى ربه مرتين فكبر كعب حتى
جاوبته الجبال وقال ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى ف
كلمه موسى ورآه محمد بقلبه وروى شريك عن ابي ذر في تفسير الآية
قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي عن
محمد بن كعب القرظي وربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه و
سلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي ولم اره بعيني وروى
مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي
وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث وحكى عبد
الرزاق ان الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه وحكاه
ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن
ابن مسعود رضي الله عنه وحكى ابن اسحق ان مروان سأل ابا هريرة
هل رأى محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال
انا اقول بحديث ابن عباس بعينه رآه رآه حتى انقطع نفسه يعني
نفس احمد وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن
القول برؤيته في الدنيا بالابصار وقال سعيد بن جبير لا اقول رآه
ولا لم يره وقد اختلف في تاويل الآية عن ابن عباس وعكرمة
والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن
الحسن وابن مسعود رأى جبريل وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل

حنبل عن ابيه انه قال رآه وعن عطاء في قوله تعالى الم نشرح لك
صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام و
قال ابو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري رضي الله عنه وجماعة من
اصحابه انه رأى الله ببصره وعيني رأسه وقال كل آية اوتيها نبي من
الانبياء عليهم السلام فقد اوتي مثلها نبينا صلى الله عليه وسلم و
خص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض شيوخنا في هذا
وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ان يكون قال القاضي ابو
الفضل رضي الله عنه والحق الذي لا امتراء فيه ان رؤيته تعالى في
الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها
في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز
على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسأل الا جائزا غير مستحيل ولكن
وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه فقال له
الله لن تراني اي لا تطيق رؤيتي ثم ضرب له مثلا مما هو اقوى من
بنية موسى واثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته
في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع
على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة
ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف
التاويلات في الآية واذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الا
الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية
وعدم استحالتها على الجملة وقيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل
لا تدركه الابصار اي لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل
لا تدركه الابصار وانما يدركه المبصرون وكل هذه التاويلات لا
تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن
تراني الآية وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست على
العموم ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو تاويل

وايضاً فليس فيه نص الامتناع وانما جاءت فى حق موسى وحيث
تتطرق التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه
سبيل وقوله تبت اليك اى من سؤالى ما لم تقدره لى وقد قال
ابو بكر الهذلى فى قوله لن ترانى اى ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الىّ
فى الدنيا وانه من نظر الىّ مات وقد رأيت لبعض السلف والـ
المتأخرين ما معناه ان رؤيته تعالى فى الدنيا ممتنعة لضعف
تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة عرضاً للآفات والفناء
فلم يكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان فى الآخرة وركبوا تركيباً آخر
رزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها
على الرؤية وقد رأيت نحو هذا لمالك بن انس رضى الله عنه قال
لم يُرَ فى الدنيا لانه باقٍ ولا يرى الباقى بالفانى فاذا كان فى الآخرة
ورزقوا ابصاراً باقية رأى الباقى بالباقى وهذا كلام حسن مليح و
ليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة
فاذا قوّى الله تعالى من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء
الرؤية لم يمتنع فى حقه وقد تقدم ما ذكر فى قوة بصر موسى ومحمد
صلى الله عليه وسلم ونفوذ ادراكهما بقوة الهية منحاها لادراك
ما ادركاه ورؤية ما رأياه والله اعلم وقد ذكر القاضى ابو بكر فى اثناء
اجوبته عن الآيتين ما معناه ان موسى عم رأى الله فلذلك خرّ صعقا
وان الجبل رأى ربه فصار دكا بادراك خلقه الله تعالى
له واستنبط ذلك من قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر
مكانه فسوف ترانى ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا و
خرّ موسى صعقا وتجليه للجبل هى ظهوره له حتى رآه على هذا
القول وقال جعفر بن محمد شغله بالرؤية بالجبل حتى تجلى ولولا
ذلك لمات صعقا بلا افاقة وقوله وهذا يدل على ان موسى
عم رآه وقد وقع لبعض المفسرين انه رآه وبرؤيته الجبل

لا يستدل من قال برؤية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم له اذ
جعله دليلاً على الجواز ولا مرية فى الجواز اذ ليس فى الآية
نص بالمنع واما وجوبه لنبينا صلى الله عليه وسلم والقول بانه رآه
بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه على آيتى
النجم والتنازع فيهما مأثور والاحتمال فيهما ممكن ولا اثر قاطع
متواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس
خبر عن اعتقاده لم يسنده الى النبى صلى الله عليه وسلم فيجب العمل
باعتقاد مضمنه ومثله حديث ابى ذر فى تفسير الآية وحديث معاذ
يحتمل للتأويل وهو مضطرب الاسناد والمتن وحديث ابى ذر الآخر
مختلف محتمل مشكل فروى نور انى اراه وحكى بعض شيوخنا انه
روى نورانىّ اراه وفى حديثه الآخر سألته فقال رأيت نورا وليس
يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية فان كان الصحيح رأيت نورا
فهو قد اخبر انه لم ير الله وانما رأى نوراً منعه وحجبه عن رؤية الله
تعالى والى هذا يرجع قوله نور انى اراه اى كيف اراه مع حجاب النور
المغشى للبصر وهذا مثل ما فى الحديث الآخر حجابه النور وفى الحديث
الآخر لم اره بعينى ولكن رأيته بقلبى مرتين وتلا ثم دنى فتدلى و
الله قادر على خلق الادراك الذى فى البصر فى القلب وكيف شاء
لا اله غيره فان ورد فى حديث نص بيّن فى الباب اعتقد و
وجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعى يردّه والله
الموفق فصل واما ما ورد فى هذه القصة من مناجاة الله تعالى
وكلامه معه بقوله فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث
فاكثر المفسرين على ان الموحى هو الله الى جبريل وجبريل الى محمد
الا شذوذاً منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال اوحى الله
اليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطى والى هذا ذهب بعض المفسرين
ان محمدا كلمه ربه فى الاسراء وحكى عن الاشعرى وحكوه عن ابن مسعود

وابن عباس في قصة الاسراء عنه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى
دنى فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الاصوات عني فسمعت
كلام ربي وهو يقول ليهدئ روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث
انس في الاسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي
باذنه ما يشاء فقالوا هي ثلاثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى
وبارسال الملائكة كحال جميع الانبياء واكثر احوال نبينا صلى الله
عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة
مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي صلى الله
عليه وسلم دون واسطة وقد ذكر ابو بكر البزار عن علي رضي الله عنه
في حديث الاسراء ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم
لكلام الله من الآية فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لي
من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر
كلمات الاذان مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين
في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي اول فصل من الباب منه وكلام
الله لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن اختصه من انبيائه جائز غير ممتنع
عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فان صح في ذلك خبر اعتمد
عليه وكلامه تعالى لموسى عليه السلام كائن حق مقطوع به نص ذلك
في الكتاب واكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد
في الحديث بانه في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا فوق
هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام فكيف يستحيل في حق
هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء وجعل بعضهم
فوق بعض درجات صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فصل
واما ما ورد في حديث الاسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب من
قوله دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاكثر المفسرين

المفسرين ان الدنو والتدلي منقسم بين محمد وجبريل عليهما السلام
او مختص باحدهما دون الآخر او من السدرة المنتهى قال الرازي فقال
ابن عباس هو محمد دنى فتدلى من ربه وقيل معنى دنى قرب وتدلى
زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد اي قرب حكى مكي والماوردي
عن ابن عباس هو الرب دنى من محمد عم فتدلى اليه اي امره وحكمه
حكى النقاش عن الحسن قال دنى من عبده محمد صلى الله عليه وسلم
فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان يريه من قدرته وعظمته قال
الاقرب والانسب قال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى
الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه
ثم رفع فدنى من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت الاصوات
وسمعت كلام ربي وعن انس في الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة
المنتهى ودنى الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين
او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلاة وذكر حديث
الاسراء ومحمد بن كعب هو محمد دنى من ربه وكان قاب قوسين
قال جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين والدنو
من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفية
عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنى محمد الى ما
اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه
وزال عن قلبه الشك والارتياب قال القاضي ابو الفضل رضي
الله عنه اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله
او الى الله تعالى فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا
عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله
عليه وسلم من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته
واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله

تعالى له مبرة وتأنيس وبسط واكرام وبيناً ذلك فيه ما بيناً قولـه في
قوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال واجمال
وقبول واحسان قال الواسطي من توهم انه بنفسه دنى جعل ثمة
مسافة بل كلما دنى بنفسه من الحق تدلى بعداً يعني عن درك حقيقته
اذ لا دنو للحق ولا بعده وقوله قاب قوسين او ادنى فمن يحتمل احتمالين
احتمالين فمن جعل الضمير عائداً الى الله تعالى لا الى جبريل على هذا كان
عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف
على الحقيقة من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعبارة عن اجابة
الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفي وانافة المنزلة والمرتبة
من الله له وبيناً قول في قوله من تقرب مني شبراً ومن
تقربت منه ذراعاً ومن اتاني يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة
والقبول واتيان الاحسان وتعجيل المأمول فصل في تفضيله يوم
القيمة بخصوص الكرامة حدثنا القاضي ابو علي حدثنا ابو الفضل
وابو الحسين قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا السنجي حدثنا ابن
محبوب حدثنا الترمذي حدثنا الحسين بن يزيد الكوفي حدثنا عبد
السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن انس عن انس بن مالك قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجاً اذا
بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد
بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن
الربيع بن انس في لفظ هذا الحديث انا اول الناس خروجاً اذا بعثوا
وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم
اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم
ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف علي الف خادم كأنهم لؤلؤ
مكنون وعن ابي هريرة واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم على
يمين العرش ليس احد يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد
الخدري

سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد
آدم يوم القيمة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ من
آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض
ولا فخر وعن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم قال انا سيد ولد
آدم يوم القيمة وانا اول من تنشق عنه القبر واول شافع و
اول مشفع وعن ابن عباس انا حامل لواء الحمد يوم القيمة و
انا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة
فيفتح لي فادخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين
والآخرين ولا فخر وعن انس انا اول الناس يشفع في الجنة و
انا اكثر الناس تبعاً وعن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيمة وتدرون لم ذلك
يجمع الله الاولين والآخرين وذكر حديث الشفاعة وعن
ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اطمع ان اكون اعظم
الانبياء اجراً يوم القيمة وفي حديث آخر اما ترضون ان يكون
ابراهيم وعيسى فيكم يوم القيمة ثم قال انهما من امتي يوم القيمة
اما ابراهيم فيقول انت دعوتي وذريتي فاجعلني من امتك
واما عيسى فالانبياء كلهم بنو اخوة بنو علات امهاتهم شتى
وان عيسى اخي ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به وقوله
انا سيد الناس يوم القيمة هو سيدهم في الدنيا والآخرة ويوم
القيمة ولكن اشار صلى الله عليه وسلم لانفراده فيه بالسودد
والشفاعة دون غيره اذ لجاء الناس اليه في ذلك فلم يجدوا
سواه والسيد هو الذي يلجأ الناس اليه في حوائجهم فكان حينئذ
سيداً منفرداً من بين البشر لم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما
قال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك له تعالى في الدنيا
والآخرة لكن في الآخرة انقطعت دعوى المدعي في الدنيا

لذلك وكذلك لجا الى محمد جميع الناس في حوائجهم في الشفاعة
فكان سيدهم في الاخرى دون دعوى وعن انس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتي باب الجنة يوم القيمة فاستفتح
فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد
قبلك وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه ابيض من الورق وريحه
اطيب من المسك كيزانه كنجوم السما من شرب منه لم يظما ابدا
وعن ابي ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان
من الجنة وعن ثوبان مثله وقال احدهما من ذهب والاخر من
ورق وفي رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة والصنعا وقال
انس ايلة والصنعا وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود و
روى حديث الحوض ايضا انس وجابر بن سمرة وابن عمر و
عقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد وابو برزة
الاسلمي وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن
مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد الساعدي و
سهل بن جبلة وابو بكر وعمر بن الخطاب وابن بريدة وابو سعيد
الخدري وعبد الله وابو بكر الصنابحي وابو هريرة والبراء بن
عازب وجندب وعائشة واسما بنتا ابي بكر وابو بكرة و
خولة بنت قيس وغيرهم فصل في تفضيله بالمحبة والخلة
جاءت بذلك الاثار الصحيحة واختص صلى الله عليه وسلم
على السنة المسلمين بحبيب الله حدثنا ابو القاسم بن ابراهيم
الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد قالت حدثنا ابو الهيثم
وحدثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه حدثنا القاضي
ابو الوليد حدثنا عبد الله بن احمد حدثنا ابو الهيثم وحدثنا
ابو عبد الله بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا

حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا ابو عامر حدثنا فليح حدثنا ابو
النضر عن بسر بن سعيد عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه و
سلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر وفي
حديث آخر وان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله
بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس
قال جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينتظرونه فخرج عليهم حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع
حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا
وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى
كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم و
قال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك
وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك و
آدم اصطفاه وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل
لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر
واول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين
ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وفي حديث ابي هريرة
من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اني اتخذتك
خليلا فهو مكتوب في التورية انت محمد حبيب الرحمن قال القاضي ابو
الفضل رضي الله عنه اختلف في تفسير الخلة واصل اشتقاقها
فقيل الخليل المنقطع الى الله الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته
اياه اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا القول غير واحد وقال
بعضهم اصل الخلة الاستصفا وسمي ابراهيم خليل الله لانه يوالي فيه
ويعادي فيه وخلة الله له نصرة وجعله اماما لمن بعده وقيل
الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة وهي الحاجة
فسمي بها ابراهيم لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه ولم

بجمله قبل غيره اذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق للرمي في النار فقال الك حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن الخلة صفاء المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك فقال في كتابه لقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب ان لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلة هنا اقوى من البنوة لان البنوة قد يكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة فاذا التسمية ابراهيم و محمد عليهما السلام بالخلة اما بانقطاعهما الى الله وقصر حوائجهما
ب عليه والانقطاع عمن دونه والاضراب عن الوسائط والاسباب او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطاف عندهما وما خالل بواطنهما من الاسرار الالهية وملكوته ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفائه لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يكن لهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة في الاسلام واختلف العلماء وارباب القلوب ايهما ارفع درجة درجة الخلة او درجة المحبة فجعلها بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم بالخلة ومحمد بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة صلى الله عليه وسلم لفاطمة وابنيها واسامة وغيرهم واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب

الحبيب نبينا صلى الله عليه وسلم ارفع من درجة الخليل ابراهيم عليه السلام واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق فاما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاغراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئته اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله تعالى والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن غير الله وصفاء القلب لله واخلاص الحركات لله تعالى كما قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله شعر قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا فاذا ما نطقت كنت حديثي واذا ما سكت كنت الغليلا فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم بما دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية حكى اهل التفسير ان هذه الآية لما نزلت قالت الكفار انما يريد هذا محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله غيظا لهم ورغما على رغمهم هذه الآية بقوله قل اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه بقوله تعالى فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة اشاره الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منها طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت

بامرهم صح

السموات والارض والحبيب يصل اليه من قوله فكان قاب
قوسين او ادنى وقيل الخليل الذي يكون مغفرته في حد الطمع من قوله
والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك الآية والخليل قال ولا تخزني و
الحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدأ بالبشارة قبل السؤال
والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله
والخليل قال واجعل لي لسان صدق في الآخرين والحبيب قيل له
ورفعنا لك ذكرك اعطي بلا سؤال والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد
الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
وفيما ذكرناه تنبيه على مقاصد اصحاب هذا المقال من تفضيل الـ
المقامات والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى
سبيلا فصل في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود قال الله تعالى
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا حدثنا الشيخ ابو علي الغساني
الجياني فيما كتب به الي بخطه حدثنا سراج بن عبد الله القاضي
حدثنا ابو محمد الاصيلي حدثنا ابو زيد وابو احمد قالا حدثنا محمد
بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل بن ابان حدثنا ابو الاحوص
عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون
يوم القيمة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا
هو يقول لست لها حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه
وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن ابي هريرة رضي الله
عنه قال سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال هي الشفاعة وروى كعب
بن مالك عنه صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس يوم القيمة
فاكون انا وامتي على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي
فاقول ما شاء الله تعالى ان اقول فذلك المقام المحمود وعن ابن

عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى ياخذ بحلقة الجنة فـ
فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود
عنه صلى الله عليه وسلم انه قيامه عن يمين العرش مقاما لا
يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والآخرون ونحوه عن كعب و
الحسن وفي رواية هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لقائم المقام المحمود
قيل ما هو قال ذلك يوم ينزل الله تعالى على كرسيه الحديث وعن ابي
موسى عنه صلى الله عليه وسلم قال خيرت بين ان يدخل نصف
امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها
للمتقين ولكنها للمذنبين والخاطئين وعن ابي هريرة قلت له
يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي لمن
شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن ام حبيبة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما يلقى من
امتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من
الله ما سبق للامم قبلهم فسالته ان يوليني شفاعة يوم القيمة
فيهم ففعل وعن حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد
حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا
لا تكلم نفس الا باذنه فينادي محمد فيقول لبيك وسعديك والخير
في يديك والشر ليس اليك والمهتدي من هديت وعبدك
بين يديك ولك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت
وتعاليت سبحان رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي
ذكره الله تعالى وعن ابن عباس اذا دخل اهل النار النار واهل
الجنة الجنة فتبقى آخر زمرة من الجنة وآخر زمرة من النار فتقول
زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون
فيسمعهم اهل الجنة فيسالون آدم وغيره بعده في الشفاعة

لهم وكل يعتذر فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك
المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين
عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير
سمعت بمقام محمد يعني الذي يبعثه الله فيه قال قلت نعم قال
فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر حديث
الشفاعة في اخراج الجهنميين وعن انس نحوه وقال فهذا المقام المحمود
الذي وعده وعن سلمان ان المقام المحمود هو الشفاعة يوم القيمة
ومثله عن ابي هريرة قال قتادة كان اهل العلم يرون المقام المحمود
شفاعة يوم القيمة وعلى ان المقام المحمود هو مقامه عليه السلام
للشفاعة مذاهب السلف من الصحابة والتابعين وعامة المسلمين
وبذلك جاءت مفسرة في صحيح الاخبار عنه صلى الله عليه وسلم وجاءت
مقالة في مفسرها عن بعض السلف يجب ان لا يثبت اذ لم يعضدها
صحيح اثر ولا اسند بنقل ولو صحت لكان لها تأويل غير مستنكر لكن
فسره النبي صلى الله عليه وسلم في صحاح الائمة فرده فلا يجب ان
يلتفت اليه مع انه لم يأت في كتاب ولا في سنة ولا اتفقت
على المقالة به امة وفي اطلاق ظاهره منكر من القول وشنعة وفي
رواية انس وابي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث
بعض قال صلى الله عليه وسلم يجمع الله الاولين يوم القيمة
فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا ومن طريق
غيره ماج الناس بعضهم في بعض اضطربوا وعن ابي هريرة وتدنو
الشمس من رؤسهم قدر الميل فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون
ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون الى من يشفع لكم فيأتون
آدم فيقولون زاد بعضهم انت آدم ابو البشر خلقك الله بيده
ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملائكته
وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا

مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا
لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة
فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون
نوحا فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله
عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا
الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال في رواية انس ويذكر
خطيئته التي اصاب سؤاله ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة وقال
قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم
فانه خليل الله فيأتون ابراهيم فيقولون انت نبي الله وخليله
من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي
قد غضب غضبا لم يغضب قبله مثله فذكر مثله وذكر ثلاث كلمات
كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله
وفي رواية فانه عبد الله واتاه التورية وكلمه وقربه نجيا قال
فيأتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي اصاب وقتله
النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فيأتون
فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم فانه عبد
غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فاقول انا لها فا
فانطلق فاستأذن على ربي فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت
ساجدا وفي رواية فآتي تحت العرش فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم
بين يديه فاحمده بمحامد لا اقدر عليها الا ان يلهمنيها الله وفي رواية
فيفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد
قبلي وفي رواية ابي هريرة فيقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه وا
شفع تشفع فارفع رأسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقول
ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة

وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر في روح
انس في هذا الفصل وفي رواية وقال مكانه ثم اخر ساجدا فيقال
لي يا محمد ارفع راسك وقل تسمع لك اشفع تشفع وسل تعطه
فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة
من برة او شعيرة من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع
الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه مثقال
حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه
من كان في قلبه ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل ثم ذكر
مثل ما تقدم وذكر فيه ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل
وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع راسك وقل تسمع اشفع
تشفع وسل تعطه فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا
الله قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي
وعظمتي وجبريائي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله و
من رواية قتادة عنه قال فلا ادري في الثالثة ام في الرابعة
قال فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن اي وجب عليه
الخلود وعن ابي بكر وعقبة بن عامر وابي سعيد وحذيفة مثله قال
فياتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيؤذن له وتاتي الامانة والرحمة
فيقومان جنبتي الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة
فياتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق ثم
كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على
الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم جوازا
الحديث وفي رواية ابي هريرة فاكون اول من يجيزه يومئذ
وعن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم يوضع للانبياء منابر
يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي
منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك

بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعو بهم فيحاسبون
فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل بشفاعتي ولا
ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النا حتى ان خازن النار
ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة ومن
طريق زياد النميري عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال انا اول من تنشق الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد
يوم القيمة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيمة وانا اول من
تفتح له الجنة ولا فخر فاتي فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا
فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى فاخر له ساجدا وذكر
نحو ما تقدم ومن رواية انس قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيمة لاكثر مما في الارض من حجر
وشجر فقد اجتمع من اختلاف هذه الآثار ان شفاعته
صلى الله عليه وسلم ومقامه المحمود من اول الشفاعات الى
آخرها من حين يجمع الناس للحشر ويضيق بهم الحناجر ويبلغ
منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب
فيشفع لهم لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحا
سب الناس كما جاء في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة
وهذا الحديث اتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من امته
الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب و
دخل النار منهم حسب ما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن
قال لا اله الا الله وهذا ليس لسواه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث
الصحيح المنتشر لكل نبي دعوة يدعو بها واختبات دعوتي
شفاعة لامتي يوم القيمة قال اهل العلم معناه لكل منهم دعوة
اعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبي
منهم دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد

لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم
اجابة دعوة فيما شاؤه يدعون بها على يقين من الاجابة و
قد قال محمد بن زياد وابو صالح عن ابي هريرة في هذا الحديث
لكل نبي دعوة دعى بها في امته فاستجيب له وانا اريد ان اؤخر دعوتي
شفاعة لامتي يوم القيمة وفي رواية لابي صالح لكل نبي دعوة
دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية ابي
زرعة عن ابي هريرة وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابي هريرة
فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة الا
الاجابة والا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه سئل لامته اشياء من
امور الدين والدنيا اعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه
الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤال والرغبة
جزاه الله احسن ما جزى نبيا عن امته وصلى الله تعالى عليه وسلم
كثيرا فصل في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة و
الكوثر والفضيلة حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي و
الفقيه ابو الوليد قالا حدثنا هشام بن احمد بقراءتي عليهما قالا
حدثنا ابو علي الغساني حدثنا ابو عمر النمري حدثنا ابن عبد
حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر بن التمار حدثنا ابو داود
حدثنا محمد بن سلمة حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة
وسعيد بن ابي ايوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن
جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع النبي صلى الله
عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
ثم صلوا علي فانه من صلى علي مرة واحدة صلى الله
عليه عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا
لا ينبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن
سئل لي الوسيلة حلت له الشفاعة وفي حديث آخر عن ابي

ابي هريرة الوسيلة اعلى درجة في الجنة وعن انس قال رسول
صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه
قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي اعطاك
الله قال ثم ضرب بيده الى طينته فاستخرج مسكا وعن عائشة رضي
وعبد الله بن عمرو مثله قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى
من العسل وابيض من الثلج وفي رواية عنه فاذا هو يجري من غير
ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه امتي وذكر حديث الحوض و
نحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا قال الكوثر الخير الكثير
الذي اعطاه الله اياه وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من
الخير الذي اعطاه وعن حذيفة فيما ذكر صلى الله عليه وسلم
عن ربه واعطاني الكوثر نهر من الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس
في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من
لؤلؤ ترابهن المسك وفيه من القصور ما يصلحهن وفي
رواية اخرى وفيه ما ينبغي له من الازواج والخدم فصل فان قلت
اذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الاثر واجماع الامة كونه اكرم البشر و
افضل الانبياء فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل
كقوله فيما حدثناه الاسدي حدثنا السمرقندي حدثنا الفارسي
حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا ابو مسلم حدثنا ابن مثنى
حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة سمعت ابا العالية
يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من
يونس بن متى وفي غير هذا الطريق عن ابي هريرة قال يعني
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد الحديث وفي
حديث ابي هريرة عنه في اليهودي الذي قال والذي اصطفى
موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار وقال تقول ذلك و

رسول الله بين ظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا
تفضلوا بين الانبياء وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث
وفيه ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى وعن ابي هريرة
رضي الله عنه ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب وعن ابن
مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفي حديثه
الآخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية فقال ذلك ابراهيم فاعلم ان للعلماء
في هذه الاحاديث تاويلات احدها ان نهيه عن التفضيل كان قبل
ان يعلم انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان
من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل منه
لا يقتضي تفضيله هو على الاطلاق وهو انما هو الظاهر كف عن
التفضيل الوجه الثاني انه قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التوا
التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه
الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقص بعضهم
او الغض منه لا سيما في جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله عنه
بما اخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط
من رتبته الرفيعة اذ قال تعالى عنه اذ ابق الى الفلك المشحون
اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم
عنده حطيطته بذلك الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة
والرسالة فان الانبياء فيها على حد واحد اذ هي شيء واحد
لا يتفاضل وانما التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات
والرتب والالطاف واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل
وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولو
عزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومنهم من اوتي الحكم صبيا
واوتي بعضهم الزبر وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع
بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين

النبيين على بعض الآية وقال تعالى تلك فضلنا بعضهم على بعض
الآية قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم في الدنيا وذلك
بثلاثة احوال ان تكون آياته ومعجزاته ابهر واشهر او تكون امته ازكى
واكثر او ان يكون في ذاته افضل واظهر وفضله في ذاته راجع الى
ما خصه الله به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية
او ما شاء الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان يونس
تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة
من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته او قدح في اصطفائه
وحط من رتبته ووهن في عصمته شفقة عليه لحفظه صلى
الله عليه وسلم على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس
وهو ان يكون راجعا الى القائل نفسه اي لا يظن احد وان بلغ
من الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس بن متى
لاجل ما حكى الله عنه فان درجة النبوة افضل واعلى وان تلك الاقدار
لم تحطه عنها حبة خردل ولا ادنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا
بيانا ان شاء الله تعالى فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه
شبهة المعترض فصل في اسمائه صلى الله عليه وسلم وما تضمنته
من فضيلته حدثنا ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه حدثنا
ابو عمر الحافظ حدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد
بن وضاح عن ابيه حدثنا يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن
جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء
انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي
يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وقد سماه الله في كتابه
محمدا واحمد فمن خصائصه تعالى له ان ضمن اسماءه ثناءه فطوى
اثناء ذكره عظيم شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة

احمد ويفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم
اجل من حُمد وافضل من حَمد واكثر الناس حمداً فهو احمد المحمودين
واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد ويشتهر في
تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاماً محموداً كما وعده
يحمده فيه الاولون والآخرون لشفاعته لهم ويفتح عليه من المحامد
كما قال صلى الله عليه وسلم ما لم يعطه غيره وسمى امته في كتب
انبيائه بالحمادين فحقيق ان يسمى محمداً واحمد ثم في هذين الاسمين من
عجائب خصائصه وبدائع آياته فن آخر وهو ان الله جل اسمه
حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه واما احمد الذي اتى في الكتب وبشرت
به الانبياء فمنع الله بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو
قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب وشك وكذلك محمد
ايضاً لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده
صلى الله عليه وسلم وميلاده ان نبياً يبعث اسمه محمد فسمى قوم
قليل من العرب ابناءهم رجاء ان يكون احدهم هو والله اعلم حيث
يجعل رسالته وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري
ومحمد بن براء البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي
ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم ويقال ان اول من سمي بمحمد محمد بن
سفيان بن مجاشع واليمن يقول بل محمد بن اليحمد من الازد
ثم حمى الله كل من تسمى به ان يدعي النبوة او يدعيها
احد له او يظهر عليه سبب يشكك احداً في امره حتى تحققت السمتان
له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما واما قوله انا الماحي الذي
يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث فيكون محو الكفر اما من مكة وبلاد
العرب وما زوي له من الارض ووعد انه يبلغه ملك امته ويكون
المحو عاماً بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله
وقد ورد تفسيره في الحديث انه الذي محيت به سيئات من اتبعه فقيل

قبله من الانبياء وقوله انا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي اي على
زماني وعهدي ليس بعدي نبي كما قال وخاتم النبيين وسمي عاقباً
لانه عقب غيره من الانبياء وفي الصحيح وانا العاقب الذي ليس بعده
نبي وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال
تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً
ومعنى لي خمسة اسماء قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة وعند
اولي العلم من الامم السالفة والله اعلم وقد روي عنه صلى الله
عليه وسلم لي عشرة اسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد
قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي وفي يس يا سيد حكاه
السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره لي عشرة اسماء
فذكر الخمسة التي في الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة ورسول
الراحة ورسول الملاحم وانا المقفي قفيت النبيين وانا قيم والقيم
الجامع الكامل كذا وجدته ولم اروه وارى ان صوابه قثم بالثاء
كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو اشبه بالتفسير وقد وقع ايضاً
في كتب الانبياء قال اللهم ابعث لنا محمداً مقيم السنة بعد الفترة
فقد يكون القيم بمعناه وروى النقاش عنه صلى الله عليه وسلم
لي سبعة اسماء في القرآن محمد واحمد ويس وطه والمزمل والمدثر
وعبد الله وعن جبير بن مطعم هي ستة محمد واحمد وخاتم وحاشر
وعاقب وماحي وفي حديث ابي موسى الاشعري انه كان صلى الله
عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفي والحاشر
ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى المرحمة والراحة وكل
صحيح ان شاء الله تعالى ومعنى المقفي معنى العاقب وقيل المتبع و
انا نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما وصفهم بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤف رحيم وقد

قال في وصف امته انها امة مرحومة وقد قال تعالى فيهم وتواصوا
بالصبر وتواصوا بالمرحمة اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه صلى الله عليه و
سلم ربه رحمة لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما ومستغفرا
لهم وجعل امته مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها صلى الله عليه وسلم
بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده الرحماء وقال الر
الراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيمة ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء
واما نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله
عليه وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة مثل حديث ابي موسى وفيه ونبي
الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه صلى الله
عليه وسلم انه قال اتاني ملك فقال لي انت قثم اي مجتمع قال والقثوم
الجامع للخير وهذا اسم هو في اهل بيته صلى الله عليه وسلم معلوم و
قد جاءت من القابه وسماته صلى الله عليه وسلم وفي القران عدة
كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر
والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرؤف
الرحيم والامين وقدم صدق ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة
الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي الامي و
داعي الله في اوصافه كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في الكتب
المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث رسوله واطلاق الامة جملة شافية
كتسميته بالمصطفى صلى الله عليه وسلم والمجتبى وابي القاسم والحبيب
ورسول رب العالمين والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر
والمهيمن والصادق والمصدق والهادي وسيد ولد ادم وسيد
المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل
الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة
والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء
والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة و

الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة
والنعلين ومن اسمائه في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة و
المقدس وروح الحق وهو معنى البارقليط في الانجيل وقال ثعلب
البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل ومن اسمائه في الكتب
السالفة ماذ ماذ معناه طيب طيب وحمطايا والخاتم والحاتم
حكاه كعب الاحبار قال ثعلب فالخاتم الذي ختم الانبياء والحاتم احسن
الانبياء خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه في
التوراة احيد روى ذلك ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب اي
السيف وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال معه قضيب من حديد
يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذي كان
يمسكه صلى الله عليه وسلم وهو الان عند الخلفاء واما الهراوة
التي وصف بها وهي في اللغة العصا واراها والله اعلم العصا
المذكورة في حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن
واما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب والعمائم
تيجان العرب واوصافه والقابه وسماته في الكتب كثيرة وفيما
ذكرناه منها مقنع ان شاء الله تعالى وكانت كنيته المشهورة
ابا القاسم وروى عن انس انه عليه السلام لما ولد له ابراهيم جاءه
جبريل عم فقال له السلام عليك يا ابا ابراهيم فصل في تشريف
الله تعالى له بما سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته
العلا قال القاضي ابو الفضل وفقه الله ما احرى هذا الفصل بفصول
الباب الاول لانخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها
لكن لم يشرح الله الصدر للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر
لاستخراج جوهره والتقاطه الا عند الخوض في الفصل الذي قبله
فرايت ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله خص كثيرا من انبيائه
بكرامة خلعها عليهم من اسمائه كتسميته اسحق واسمعيل بعليم

وحليم وابراهيم بحليم ونوحا بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم
وقوي ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر واسمعيل بصادق
الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل
محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم بان حلاه منها في كتابه العزيز
وعلى لسان انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر
واحضار الذكر اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من فرغ منها
للتأليف فصلين وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل
الله كما الهم الى ما علم منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهره لنا
الآن ويفتح غلقه فمن اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه
حمد نفسه وحمده عباده ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولا
لاعمال الطاعات وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد
فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبور داود واحمد بمعنى اكبر
من حمد واجل من حمد وقد اشار الى نحو هذا حسان بن ثابت
بقوله وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد ومن
اسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه
في كتابه بذلك فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه
تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره وكذ
كذلك المبين اي البين امره والهيته. بان وابان بمعنى
واحد ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم
سمى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في كتابه فقال حتى جاءهم
الحق ورسول مبين وقال قل اني انا النذير المبين وقال
قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم
قيل محمد وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق
صدقه وامره وهو بالمعنى الاولين والمبين البين امره
ورسالته او المبين عن الله ما بعثه به كما قال تعالى لتبين

لتبين للناس ما نزل اليهم ومن اسمائه النور ومعناه ذو النور اي
خالقه او منور السموات والارض بالانوار او منور قلوب
المؤمنين بالهداية وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
قيل محمد وقيل القرآن وقال فيه وسراجا منيرا سمي به لوضوح امره
وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به ومن
اسمائه تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم
القيمة وسماه شهيدا وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا وقال و
يكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول ومن اسمائه تعالى الكريم
ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث
المروي في اسمائه تعالى الاكرم وسماه تعالى كريما بقوله انه لقول
رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل وقال عليه السلام انا اكرم ولد
آدم ومعاني الاسم صحيحة في حقه صلى الله عليه وسلم ومن
اسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان الذي كل شيء دونه
وقال في النبي صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم و
وقع في اول سفر من التورية عن اسمعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة
فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح
وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشان وقيل المتكبر وسمي النبي صلى الله
عليه وسلم في كتاب داود بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك
فان ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق
النبي صلى الله عليه وسلم اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم او
لقهره اعداءه او لعلو منزلته على البشر وعظيم خطره ونفى عنه تعالى
في القرآن جبرية التكبر التي لا تليق به فقال وما انت عليهم بجبار و
من اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء والعالم بحقيقته
وقيل معناه المخبر وقال تعالى الرحمن فاسئل به خبيرا قال القاضي
القاضي ابو بكر بن العلاء المأمور بالسؤال غير النبي صلى الله

عليه وسلم والمسئول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره
بل السائل النبي عليه السلام والمسئول هو الله والنبي خبير بالجهتين
المذكورين من قبل لانه عالم على غاية من العلم بما علمه الله تعالى من
مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم به ومن
اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح الرزق
والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم
لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله تعالى ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح اي ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ
الفتح والنصرة سمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
بالفاتح في حديث الاسراء الطويل من رواية الربيع بن انس عن
ابي العالية وغيره عن ابي هريرة وفيه من قول الله تعالى وجعلتك
فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه على
ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح
هنا بمعنى الحاكم والفاتح لابواب الرحمة على امته والفاتح لبصائرهم
بمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر للحق او المبتدئ المقدم في
الانبياء والخاتم لهم كما قال صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبياء
في الخلق وآخرهم في البعث ومن اسمائه تعالى في الحديث الشكور
ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين
ووصف بذلك نبيه نوحا عليه السلام فقال انه كان عبدا
شكورا وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه فقال
افلا اكون عبدا شكورا اي معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا
عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك من قوله لئن شكرتم
لازيدنكم ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة
ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم وخصه بمزية منه فقال
وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال

ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن
اسمائه تعالى الاول والآخر ومعناهما السابق للاشياء قبل
وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه انه ليس له اول ولا آخر
وقال صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم
في البعث وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم
وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله
نحن الآخرون السابقون وقوله انا اول من تنشق الارض
عنه واول من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع وهو
خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالى
القوي وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله
بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل
ومن اسمائه تعالى الصادق في الحديث المأثور وورد في الحديث
ايضا اسمه عليه السلام الصادق المصدوق ومن اسمائه تعالى
الولي والمولى ومعناهما الناصر وقد قال تعالى انما وليكم الله
ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم انا ولي كل مؤمن وقال
تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وقال صلى الله عليه وسلم من
كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمائه تعالى العفو
ومعناه الصفوح وقد وصف الله نبيه في القرآن والتورية
وامره بالعفو فقال خذ العفو وامر بالعرف وقال فاعف
عنهم واصفح وقال له جبريل وقد سأله عن قوله خذ العفو قال
ان تعفو عمن ظلمك وقال في التورية والانجيل في الحديث المشهور
في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن
اسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده
وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام

ويهدي من يشا الى صراط مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل
من التقديم وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي
صلى الله عليه وسلم وقال تعالى انك لتهدي الى صراط مستقيم
وقال فيه وداعيا الى الله باذنه فالله تعالى مختص بالمعنى الاول
وقال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من
يشا الى صراط مستقيم وبمعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى ومن
اسمائه تعالى المؤمن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن
في حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق
والمصدق لعباده المؤمنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل
المؤمن عباده في الدنيا من ظلمه والمؤمنين في الآخرة من عذابه
وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت الهمزة ها وقد قيل
ان قولهم في الدعا آمين انه اسم من اسما الله تعالى ومعناه
المؤمن وقيل انه اسم من اسما الله تعالى ومعناه المؤمن وقيل
المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم امين
ومهيمن ومؤمن وقد سماه الله تعالى امينا فقال مطاع ثم امين
وكان صلى الله عليه وسلم يعرف بالامين وشهر به قبل
النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا في قوله حتى
احتوى بيتك المهيمن من خندف عليا تحتها النطق وقيل
المراد يا ايها المهيمن قاله الامام القتيبي والامام ابو القسم القشيري
وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق وقال
انا امنة لاصحابي فهو بمعنى المؤمن ومن اسمائه تعالى القدوس
ومعناه المنزه عن النقايص المطهر عن سمات الحدوث
وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي
المقدس وروح القدس ووقع في كتب الانبيا في اسمائه
صلى الله عليه وسلم المقدس اي المطهر من الذنوب كما

كما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر او الذي
يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال تعالى و
يزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون
مقدسا بمعنى مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف
الدنية ومن اسمائه تعالى العزيز معناه الممتنع الغالب
الذي لا نظير له او المعز لغيره وقال الله تعالى ولله العزة
ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله
تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة
منه ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه
وسماه تعالى مبشرا ونذيرا اي مبشرا لاهل طاعته ونذيرا
لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض
المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من
اسما محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم فصل
قال القاضي ابو الفضل وفقه الله تعالى وها انا اذكر
نكتة اذيل بها هذا الفصل واختم بها هذا القسم وازيح
الاشكال بها فيما تقدم عن ضعيف الوهم سقيم الفهم
تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه
وهو ان يعتقد ان الله جل اسمه في عظمته وكبريائه و
ملكوته وحسنى اسمائه وعلا صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته
ولا يشبه به وان ما جا مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى
المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم
بخلاف صفات المخلوقين فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات
كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك
عن الاغراض والاعراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل
لم يزل بصفاته واسمائه وكفى في ذلك قوله ليس كمثله شي

ولقد در من قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد
اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة عن الصفات
وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله بيانا وهو مقصودنا
فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا
كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت
الذات القديمة ان يكون لها صفة حديثة كما استحال ان يكون
للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة
والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر الامام ابو القاسم القشيري
قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل
التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها
مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب انس
او دفع نقص حصل ولا بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة
ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال آخر
من مشايخنا ما وهمتموه باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو
محدث مثلكم قال الامام ابو المعالي الجويني من اطمأن الى
موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن الى النفي المحض
فهو معطل وان قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته
فهو موحد وما احسن قول ذي النون المصري قال حقيقة
التوحيد ان تعلم ان قدرة الله تعالى في الاشياء بلا علاج وصنعه
لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور
في وهمك فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل
الاخير تفسير لقوله ليس كمثله شيء والثاني تفسير لقوله
لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والثالث تفسير لقوله
انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله
واياك على التوحيد والاثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة

والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته
الباب الرابع فيما اظهره على يديه من المعجزات وشرفه به من
الخصائص والكرامات قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
حسب المتأمل ان يتحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا صلى الله
عليه وسلم ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج الى نصب البراهين عليها
وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل الطاعن اليها ونحن نذكر
شروط المعجزة والتحدي وحده وفساد قول من ابطل
نسخ الشرائع ورده بل الفناه لاهل ملته الملبين لدعوته
المصدقين لنبوته ليكون تأكيدا في محبته لهم ومنماة لاعمالهم
وليزدادوا ايمانا ونيتنا ان نثبت في هذا الباب امهات (مع ايمانهم)
معجزاته ومشاهير اياته لتدل على عظيم قدره عند ربه واتينا
منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع او كاد واضفنا (القطع)
اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة فاذا تأمل المتأمل
المنصف ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره وبراعة علمه و
رجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله ومشاهد
حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته
وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به فقد روينا عن
الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله بن سلام
قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لانظر
اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب
حدثنا القاضي الفقيه الشهيد ابو علي رحمه الله حدثنا ابو الحسين
الصيرفي وابو الفضل بن خيرون عن ابي يعلى البغدادي عن
علي بن السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي حدثنا محمد بن بشار
حدثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى
بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة بن ابي

ادنى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي اتيت
النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رايته قلت
هذا نبي الله وروى مسلم وغيره ان ضمادا لما وفد عليه فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده
الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد علي كلماتك
هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال
جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فاخبر انه رأى
النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه
قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من التمر فاخذه
بخطامه وسار الى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو
ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير رايت وجه رجل
مثل القمر ليلة البدر لا نخيس بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال
انا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم يامركم ان تاكلوا من رسول
هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي حديث الجلندى
ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعوه الى الاسلام والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه
لا يامر بخير الا كان اول آخذ به ولا ينهى عن شيء الا كان اول
تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي
بالعهد وينجز الموعود واشهد انه نبي قال نفطويه في قوله
تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله
تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل
على نبوته وان لم يتل قرآنا كما قال ابن رواحة بيت لو لم
يكن فيه آيات مبينة لكان منظره ينبئك بالخبر وقد قصدنا
ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزات

معجزات القرآن وما فيه من برهان ودلالة فصل اعلم ان
الله تعالى جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده و
العلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء و
دون واسطة لو شاء كما حكى عن سنته في بعض الانبياء
وذكره بعض اهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر ان
يكلمه الله الا وحيا وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة
تبلغهم كلامه ويكون لذلك الواسطة اما من غير البشر
كالملائكة مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا
مانع لهذا دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت
الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم
في جميع ما اتوا به لان المعجزة مع التحدي من النبي قائمة
مقام قول الله تعالى صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه
وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه
خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده مستوفى في مصنفات
ائمتنا رحمهم الله والنبوة في لغة من همز ماخوذة من النبأ
وهو الخبر وقد لا تهمز على هذا التاويل تسهيلا والمعنى ان
الله اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي منبئا
فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا
بما اطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه
من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه ان له رتبة
شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه
مؤتلفان واما الرسول فهو المرسل ولم يات فعول بمعنى مفعل
في اللغة الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسله
اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا
اذا تبع بعضهم بعضا وكانه تكرير التبليغ او الزمت الامة

انبائه واختلف العلماء هل الرسول والنبي بمعنى واحد او بمعنيين
فقيل هما سواء واصله من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله
تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما
معنى مقام الارسال قال ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول
الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي
هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة بمعرفة
ذلك وحوز درجاتها وافترقا في زيادة الرسالة للرسول
وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا وحجتهم في الآية نفسها
التفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما
في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من نبي الى امة او
نبي ليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء
بشرع مبتدأ ومن لم يأت به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ
والانذار والصحيح الذي عليه الجماء الغفير ان كل رسول نبي وليس
كل نبي رسولا واول الرسل آدم عليه السلام واخرهم محمد صلى الله
عليه وسلم وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه ان الانبياء مائة الف واربعة
وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر
اولهم آدم عليه السلام فقد بان لك معنى النبوة والرسالة و
ليستا عند المحققين ذاتا ولا وصف ذات خلافا للكرامية
في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل واما الوحي وهو الاسراع
فلما كان النبي عليه السلام متلقيا ما يأتيه من ربه بعجل سمي وحيا
وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها بالوحي الى النبي عليه السلام
وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ
لسرعة اشارتها ومنه قوله تعالى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا
اي اومى ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا اي السرعة
السرعة وقيل اصل الوحي السر والاخفاء ومنه سمي الالهام

الالهام وحيا ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون
الى اوليائهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله تعالى
واوحينا الى ام موسى اي القى في قلبها وقد قيل ذلك في قوله و
ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه دون
واسطة فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء
معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهو على ضربين
ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه
فعل الله تعالى دل على صدقه كصرفهم عن تمني الموت
وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن على رأي بعضهم ونحوه
وضرب خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله
كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة و
كلام شجرة ونبع الماء من بين الاصابع وانشقاق القمر مما
لا يمكن احدا ان يفعله الا الله تعالى فذلك على يد النبي من
فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه ان يأتي بمثله تعجيز له واعلم
ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم و
دلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو
اكثر الرسل معجزة وابهرهم آية واظهرهم برهانا كما سنبينه و
هي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القرآن
لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي صلى
الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم
واقصر السور انا اعطيناك الكوثر فكل آية او آيات منه بعدد
وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما
انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على
قسمين قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقرآن فلا
مرية ولا خلاف بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم به وظهوره

من قبله ومستند لا له بحجته فان انكر به معاند جاحد فهو كانكار
وجود محمد في الدنيا وانما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في
نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه اعجازه
معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض ائمتنا ويجري هذا
المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه صلى الله عليه وسلم آيات و
خوارق عادات ان لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها
فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر انه
جرت على يديه عجائب وانما خلاف المعاند في كونها من قبل الله
وقد قدمنا كونها من قبل الله تعالى وان ذلك بمثابة قوله
صدقت فقد علم وقوع هذا ايضا من نبينا صلى الله عليه وسلم
ضرورة وجود حاتم وشجاعة عنترة وحلم احنف لاتفاق
الاخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم
هذا وان كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته
القسم الثاني فيما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على
نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد الكثير وشاع الخبر به عند المحد
المحدثين والرواة ونقلة السير والاخبار كنبع الماء من بين
الاصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان
ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى
مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمنا قال
القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا
من هذه الآيات المأثورة عنه عليه السلام معلومة بالقطع
اما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه واخبر عن وجوده ولا
يعدل عن ظاهر الآية الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من
طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت
الى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين بل

بل يرغم بهذا انفه وينبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء
وتكثير الطعام رواها الثقة والعدد الكثير عن الجماء الغفير عن العدد
الكثير من الصحابة ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن
حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك كان في موطن
اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية
وغزوة تبوك وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر و
لم يؤثر عن احد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار
عنهم انهم رووه كما رأوه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق
اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس
هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير
معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشياء رواها
من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا و
وهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطع من
معجزاته كما بيناه وايضا فان امثال الاخبار التي لا اصل لها و
بنيت على باطل لا بد مع مرور الازمان وتداول الناس واهل
البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير
من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارئة واعلام نبينا هذه الا
الواردة من طريق الآحاد لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا و
مع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف
اصلها واجتهاد الملحد على اطفاء نورها الا قوة وقبولا ولا
للطاعن عليها الا حسرة وغليلا وكذلك اخباره عن الغيوب
وانباؤه بما يكون وكان معلوم من آياته على الجملة بالضرورة و
هذا حق لا غطاء عليه وقد قال به من ائمتنا القاضي والاستاذ
ابو بكر وغيرهم رحمهم الله تعالى وما عندي اوجب قول القا
القائل ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد

الا قلة مطالعته للاخبار ورواياتها وشغله بغير ذلك من العلوم
المعارف والا فمن اعتنى بطريق النقل لم يرتب في صحة هذه
القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد ان يحصل
العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند الآخر فان اكثر الناس
يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة ودار
الامامة والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلاً
عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة
وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القرآن في الصلاة
للمنفرد والامام واجزاء النية في اول ليلة من رمضان عما سواه
وان الشافعي يرى تجديد النية على كل ليلة والاقتصار
في المسح على بعض الرأس وان مذهبهما القصاص في القتل
بالمحدد وغيره وايجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في
النكاح وان ابا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل
بمذاهبهم ولا روى اقوالهم لا يعلم هذا من مذاهبهم فضلاً عمن
سواهم وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بياناً
ان شاء الله تعالى فصل في اعجاز القرآن اعلم وفقنا الله و
اياك ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة و
تحصيلها من جهة ضبط انواعها في اربعة وجوه اولها حسن تأليفه
والتئام كلمه وفصاحته مع اقتضاء مبانيه و وجوه ايجازه و
بلاغته الخارقة عادة العرب وذلك انهم كانوا ارباب
هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم بما
لم يختص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت
انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله لهم
ذلك طبعاً وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة
بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديهاً في المقامات

وطالع الاخبار

المقامات وشديدة الخطب ويرتجزون به بين الطعن
والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون
ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال و
يطوقون من اوصافهم اجمل من سمط اللآلي فيخدعون الا
الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن و
يهيجون الدمن ويجرؤن الجبان ويبسطون يد الجعد
البنان ويصيرون الناقص كاملاً ويتركون النبيه خاملاً
منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام
الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو
البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة
والطبع السهل والتصرف في القول القليل والكلفة الكثير
الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة
البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الا
الناهج لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك
قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا كل باب
من ابوابها وعلوا صرحاً لبلوغ اسبابها فقالوا في الخطير و
المهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل
والكثر وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم
بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد احكمت آياته وفصلت كلماته و
بهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول
وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه
وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل ما
البيان جوامعه وبدائعه واعتدل مع ايجازه حسن نظمه
وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم افسح ما كانوا



في هذا الباب مجالاً واشهر في الخطابة رجالاً واكثر في السجع
والشعر ارتجالاً واوسع في اللغة والغريب مقالاً بلغتهم
التي بها يتحاورون ومنازعهم الذي عنها يتفاضلون صارخاً
بهم في كل حين ومقرعاً لهم بضعاً وعشرين عاماً على رؤوس
الملأ اجمعين ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا
من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا
شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا
بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله قل فأتوا بعشر سور مثله
مفتريات وذلك ان المفتري اسهل ووضع الباطل والمختلق
على الاختيار اقرب واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب
ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد وللاول
على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد فلم يزل صلى الله عليه و
سلم يقرعهم اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه
احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت نظامهم ويذم الهتهم واباءهم
ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن
معارضته ومحجمون عن مماثلته مخادعون انفسهم بالتشغيب
والتكذيب والاغتراء بالافتراء وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر
وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين والمباهتة والرضى
بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي
آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء
لقلنا مثل هذا وقد قال تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا
ومن تعاطى ذلك من سخفائهم منهم كمسيلمة عواره لجميعهم سلبهم

سلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف على اهل
الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا من جنس بلاغتهم بل
ولوا عنه مدبرين واتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون
ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية قال والله ان له لحلاوة
وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما هو
ما يقول هذا بشر وذكر ابو عبيد ان اعرابياً سمع رجلاً يقرأ فاصدع
بما تؤمر فسجد فقال سجدت لفصاحته وسمع آخر رجلاً يقرأ فلما
استيأسوا منه خلصوا نجياً فقال اشهد ان مخلوقاً لا يقدر
على مثل هذا الكلام وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان
يوماً نائماً في المسجد فاذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة
الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام
العرب وغيرها وانه سمع رجلاً من اسارى المسلمين يقرأ آية
من كتابكم فتأملها فاذا هو قد جمع فيها ما انزل على عيسى بن
مريم من احوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله
ورسوله ويتقه الآية وحكى الاصمعي انه سمع كلام جارية
فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او بعد هذا فصاحة
بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الآية فما
يجمع في آية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين
فهذا النوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على
التحقيق والصحيح من القولين وكون القرآن من قبل النبي
صلى الله عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه صلى
الله عليه وسلم متحدياً به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان
به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقاً للعادة معلوم
ضرورة للعالمين فصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس

اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف
المقرين باعجازه واذا انت تاملت قوله تعالى ولكم في القصاص
القصاص حيوة وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من
مكان قريب وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله وقيل يا ارض ابلعي
ماءك ويا سماء اقلعي الآية وقوله تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم
من ارسلنا عليه حاصبا الآية واشباهها من الآي بل اكثر الآي
القرآن اذا نظرت حققت ما بينته لك من ايجازه وكثرة معا
معانيها وديباجة عباراتها وحسن تاليف حروفها وتلاؤم كلمها
وانت تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما
زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرة
المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال
واخبار القرون السوالف التي تضعف في عادة الفصحاء عندها
الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتامله من ربط الكلام بعضه ببعض
والتيام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف عم على طولها
ثم اذا ترددت قصصه اختلفت الروايات العبارات عنها
على كثرة ترددها حتى يكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها
تناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من
ترديدها ولا معاداة لمعادها فصل الوجه الثاني في اعجازه صورة
نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام
العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع
آيه وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير
له ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم و
تدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نظم
او نثر او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه

وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاءه ابو جهل
منكرا عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما
يشبه الذي يقول شيئا من هذا وفي خبر الآخر حين جمع قريشا
عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رأيا
لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو
بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون
ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر
قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه
ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا بنفثه ولا
عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا
انا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر فانه يفرق بين
المرء وابنه وبين المرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته
وتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى
في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا الآيات وقال عتبة
بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيئا
الا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولا ما سمعت
مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن
الحارث نحوه وفي حديث اسلام ابي ذر ووصف اخاه انيسا
فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر
شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابي ذر
بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال
يقولون شاعر كاهن ساحر ثم قال لقد سمعت قول الكهنة فما هو
بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان
احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار في
كثيرة صحيحة والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها

او الاسلوب الغريب بذاته لكل واحد منهما نوع اعجاز على
التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد
منهما خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا
ذهب غير واحد من ائمة المحققين وذهب بعض المقتدى
بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب اتى على ذلك
بقول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه و
العلم بهذا كله ضرورة قطعا ومن تفنن في علوم البلاغة
وارهف خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف عليه ما
قلناه وقد اختلفت ائمة اهل السنة في وجه عجزهم عنه
فاكثرهم يقول انه ما جمع في قوة جزالته ونصاعة الفاظه وحسن
نظمه وايجازه وبديع تأليفه واسلوبه لا يصح ان يكون في
مقدور البشر ويقدرهم الله وانه من باب خوارق العادات
الممتنعة عن اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا حية — دنبيح الحمد
وذهب الشيخ ابو الحسن الاشعري الى انه مما يمكن ان يدخل مثله
تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا
ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه
وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة عليهم بما
يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم بان يأتوا بمثله قاطع
وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم
بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر اية واقمع دلالة
وعلى كل حال فما اتوا على ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل
وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف وابائه
الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا
والا فالمعارضة لو كان من قدرهم والشغل بها اهون عليهم
واسرع في النجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم ممن لهم قدرة

قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الانام وما منهم الا من جهد
جهده واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما جلوا
في ذلك خبيئة من نبات شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين
مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد
بل ابلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان النوعان من اعجازه
فصل الوجه الثالث من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار با
المغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي اخبر
كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وقوله
تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على الدين كله
وقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم الاية وقوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح الى آخرها فكان
جميع ذلك كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس
في الاسلام افواجا فما مات صلى الله تعالى عليه وسلم وفي بلاد العرب
كلها موضع لم يدخل الاسلام فيه واستخلف المؤمنين في الارض
ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب
كما قال زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ
ملك امتي ما زوي لي منها وقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
فكان ذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة
والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا قوتهم وكيدهم الى اليوم نيفا
على خمسمائة عام فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة
من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه
قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قاتلوهم
يعذبهم الله بايديكم الاية وقوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله الاية وقوله تعالى لن يضروكم
الا اذى وان يقاتلوكم الاية فكان كل ذلك وما فيه من كشف

اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم
بذلك كقوله تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله
بما نقول وقوله تعالى يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الآية
وقوله تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب الآية وقوله
من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله وطعنا
في الدين وقد قال مبتدئا ما قدره الله وما اعتقده المؤمنون يوم
بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان
غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين
ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اصحابه بان الله
كفاه اياهم وكان المستهزؤن نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه
فهلكوا وقوله تعالى والله يعصمك من الناس فكان ذلك على كثرة
من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة فصل
الوجه الرابع ما انبأ به من اخبار القرون السالفة والامم البائدة
والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ
من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده
النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف
العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا
انه صلى الله عليه وسلم امي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل
بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم و
قد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسئلونه صلى الله عليه وسلم
من هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص
الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب
الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من
الانباء والقصص وبدء الخلق وما في التورية والانجيل والزبور
وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا

لم يقدروا ابهما على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق
آمن بما سبق له من خير ومن شقي معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن
واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على
تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت
عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه السلام وتعنيتهم اياه
عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه
لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي
القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل
على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم
فحرمت عليهم ببغيهم وقوله تعالى ذلك مثلهم في التورية ومثلهم
في الانجيل وغير ذلك من امورهم التي نزل فيها القرآن فاجابهم و
عرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم
صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده وحسده
اياه كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت
في ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه
مخالفة دعي الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له فأتوا بالتورية
فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعي
الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقى على فضيحته
من كتابه يده ولم يؤثر ان واحدا منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا
ابدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم
رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن
كثير الآيتين فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا
نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه
آي وردت بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا
ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الآخرة

عند الله خالصة الآية قال ابو اسحق الزجاج في هذه الآية اعظم
حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي
صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لا يقولها رجل
الا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم
ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا
على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت
لكم بذلك معجزته وبانت حجته وقال ابو محمد الاصيلي من اعجب امره
انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه يقدم
عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم و
كذلك اية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة نجران
وابوا الاسلام انزل الله عليه اية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه من
بعد ما جاءك من العلم الآية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية
وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن
قوما نبي قط فيبقى كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله تعالى وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله الى قوله فان لم
تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون كما كان وهذه
الآية ادخل في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها نوع من التعجيز
ما في التي قبلها فصل ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه
عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة واسماعهم
خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه
ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له
لهذا قال عليه الصلوة والسلام ان القرآن صعب مستصعب
على من كرهه وهو الحكم واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه
مع تلاوته وتوليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه

٧٩

تصديقه به قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال تعالى لو
انزلنا هذا القرآن على جبل الآية ويدل على ان هذا شيء خص به انه يعتري
من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني
انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم
وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من
اسلم لها لاول وهلة وآمن به ومنهم من كفر وفي الصحيح عن جبير فحكي
بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب
بالطور فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شيء ام هم
الخالقون الى قوله المسيطرون كاد قلبي ان يطير للاسلام
وفي رواية وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي وعن عتبة بن
ربيعة انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف
قومه فتلا عليهم حم فصلت الى قوله صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود فامسك عتبة بيده على في النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفي رواية فجعل النبي يقرأ
وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمدا عليهما حتى انتهى
الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة
لا يدري بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه
فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت اذناي
بمثله قط فما دريت ما اقول وقد حكي عن غير واحد ممن رام
معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي ان ابن المقفع
طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا ارض ابلعي
ماءك ويا سماء اقلعي فرجع ومحا ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض
وما هو من كلام البشر وكان افصح اهل وقته وكان يحيى بن حكم
الغزال بليغ الاندلس في زمنه فحكي انه رام شيئا من هذا فنظر سورة

الاخلاص ليجد وعلى مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني
منه خشية ورقة حملتني على التوبة والانابة فصل ومن وجوه
اعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع
تكفل الله بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات الانبياء
انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة
آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم من اول نزوله مدة
خمسمائة عام وخمس وثلثين سنة الى وقتنا هذا حجة قاهرة ومعارضته
ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان
ائمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير و
المعادي للشرع عتيد فما منهم من اتى بشيء يؤثر في معارضته
ولا الف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح
المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح بل المأثور عن كل من
رام ذلك القاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه فصل
وقد عد جماعة من الائمة ومقلدي الامة في اعجازه وجوها
كثيرة منها ان قارئه لا يمله وان سامعه لا يمجه بل الاكباب على
تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا
وغيره من الكلام ولو بولغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع
الترديد ويعادي اذا اعيد وكتابنا هذا يستلذ به في الخلوات
ويؤنس بتلاوته في الازمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها
ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك
اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله
عليه وسلم القرآن بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا
تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل ولا يشبع منه العلماء
ولا تزيغ منه الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته

الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى
الرشد فآمنا به ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم يعهد العرب
عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة لمعرفتها ولا القيام
بها ولا يحيط بها احد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم
فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقلية
والرد على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ
موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد ان ينصبوا ادلة مثلها فلم
يقدروا عليها وذلك كقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقل يحييها الذي انشأها اول
مرة ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم السير و
انباء الامم والمواعظ والحكم واخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب و
الشيم قال عز وجل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء ونزلنا
عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن
امرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر ما كان
قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي
عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل
ومن خاصم به فلج ومن قسم به اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك
به هدي الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله الله
ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم
وحبل الله المتين والشفاء النافع وعصمة لمن تمسك به و
نجاة لمن اتبعه ولا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي
عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه لا يختلف
ولا يتشان فيه نبأ الاولين والآخرين وفي الحديث قال الله
لمحمد صلى الله عليه وسلم اني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها
اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة

[illegible] كل شيء [illegible] قال [illegible] ان الله انزل في هذا القرآن

وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقرآن فانه فهم العقول
ونور الحكمة وقال تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل
اكثر الذي هم فيه يختلفون وقال تعالى هذا بيان للناس الآية وكما
الآية فجمع مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعافا في
الكتب قبله التي الفاظها على الضعف منه مرات ومنها جمعه
فيه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم القرآن وحسن
وصفه وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة امره ونهيه و
وعده ووعيده فالتالي يفهم موضع الحجة والتكليف معا
من كلام واحد وسورة منفردة ومنها ان جعله في حيز المنظوم
الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لان المنظوم اسهل على النفوس
واوعى في القلوب اسمع في الآذان واحلى على الافهام فالناس
اليه اميل والاهواء اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه
وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر وسائر الامم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف
الجماء الغفير على مرور السنين عليهم والقرآن متيسر حفظه للغلمان
في اقرب مدة ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن ائتلاف
انواعها والتئام اقسامها وحسن التخلص من قصة الى اخرى
والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة
الواحدة على امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات
نبوة وتوحيد وترغيب الى غير ذلك من فوائده دون خلل وتفريد
يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته
ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت الفاظه فتأمل اول
ص وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك
القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم
وتعجبهم مما اتى به والخبر عن اجتماع ملائهم على الكفر وما ظهر من

من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوبيخهم ووعيدهم بخزي الله
لهم في الدنيا والآخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله
لهم ووعيد هؤلاء بمثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه و
سلم على اذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر
داود وقصص الانبياء كل هذا في اوجز كلام واحسن نظام
ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة
وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القرآن الى وجوه
كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها اذ اكثر هذا داخل في باب بلاغته
فلا يجب ان يعد فنا منفردا في اعجازه الا في باب تفصيل فنون
البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في تفصيل
خواصه وفضائله لا حقيقة اعجازه وحقيقة الاعجاز
الوجوه الاربعة التي ذكرناها فليعتمد عليها وما بعدها من
خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي وبالله التوفيق منا
فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس قال الله تعالى اقتربت
الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر
اخبر الله تعالى بوقوعه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن
آيته واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه اخبرنا الحسين
بن محمد الحافظ من كتابه اخبرنا سراج بن عبد الله اخبرنا الاصيلي
اخبرنا المروزي اخبرنا الفربري اخبرنا البخاري اخبرنا مسدد اخبرنا
يحيى بن سعيد عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن
ابي معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى
الله عليه وسلم وفي بعض طرق الاعمش بمنى ورواه ايضا عن
ابن مسعود الاسود حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر ورواه ايضا

عنه مسروق وقال انه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم
ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان كان محمد سحر القمر فانه لا يبلغ من
سحره ان يسحر الارض كلها فاسئلوا من يأتيكم من بلد آخر هل
رأوا هذا فسئلوهم فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك وحكى السمرقندي
عن الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل
الآفاق حتى ينظروا ارأوا ذلك ام لا فاخبر اهل الافاق انهم رأوه
منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود
علقمة فهؤلاء الاربعة عن عبد الله وقد روى غير ابن مسعود
كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة
وعلي وجبير بن مطعم فقال علي من رواية ابي حذيفة الارحبي
انشق القمر مرتين ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن
انس سأل اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فاراهم
انشقاق القمر مرتين حتى رأوا حراء بينهما رواه عن انس قتادة
وفي رواية معمر وغيره عن قتادة رضي الله عنه اراهم القمر مرتين
انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه عن
جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه
عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي
واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة والآية مصرحة ولا يلتفت
الى اعتراض مخذول فانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض وهو شيء
ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك
الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم
على الكذب لكثرتهم لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد
واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على
قوم آخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابلتهم

مقابلتهم من اقطار الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او
جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي
بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون
لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية القمر كانت ليلا والعادة
من الناس في الليل الهدو والسكون وايجاف الابواب و
قطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد
ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون كسوف القمر كثيرا في البلاد واكثرهم
لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها
من انوار ونجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء
ولا علم عند احد منها وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن اسماء
بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يوحى اليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي قال لا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد
عليه الشمس قالت اسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد
ما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في
خيبر وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وروى الطحاوي
ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن يكون سبيله العلم
التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة وروى
يونس بن بكير في زيادة المغازي روايته عن ابن اسحق لما اسري
بالنبي صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في
العير قالوا متى تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم
اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس فصل
في نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وتكثيره ببركته و

اما الاحاديث في هذه فكثيرة جداً وروى حديث نبع الماء من بين
اصابعه جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود حدثنا ابو
اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه حدثنا القاضي عيسى بن
سهل حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو عمر الطلمنكي حدثنا ابو عيسى
حدثنا يحيى حدثنا مالك عن اسحق بن عبد الله بن عبد الله بن ابي
طلحة عن انس بن مالك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتي رسول الله
صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في
ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤوا منه قال فرأيت الماء ينبع
من بين اصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم و
رواه ايضاً عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد
يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلاثمائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند
السوق ورواه ايضاً حميد وثابت والحسن عن انس وفي رواية
حميد قلت كم كانوا قال ثمانون ونحوه عن ثابت عنه وعنه ايضا
وهم نحو من سبعين رجلاً واما ابن مسعود ففي الصحيح عنه من رواية
علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء
فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل
ماء فاتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من اصابع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد
عن جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله
عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها واقبل الناس نحوه وقالوا
ليس عندنا ماء الا في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم
يده فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون وفيه
فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة
وروى مثله عن انس وجابر وفيه انه كان في الحديبية وفي رواية

وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم
في ذكر غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة
في عزلاء شجب فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم
بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها
فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده
في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله
فرأيت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة و
استدارت حتى امتلأت وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى
رووا فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يده من الجفنة وهي ملأى وعن الشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض اسفاره باداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها
فسكبها في ركوة ووضع اصبعه وسطها وغمسها في الماء
وجعل الناس يجيئون ويتوضؤون ثم يقومون قال الترمذي
وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في هذه المواطن
الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم
كانوا اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك
ولانهم كانوا لا يسكتون على باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه
ونسبوا حضور الجماء الغفير له ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا
به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له
فصل ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته وابتعاثه
ودعوته ما روى مالك في الموطأ عن معاذ بن جبل في قصة
غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل
الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده

فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن اسحق فانخرق
من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ
ان طالت بك حيوة ان ترى ما ههنا قد ملئ جنانا وفي حديث
البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه اتم في قصة الحديبية وهم اربع
عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك
فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على
جباها قال البراء واتي بدلو منها فبصق فدعى وقال سلمة فاما
دعى واما بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم وركابهم وفي غير
هذين الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية
فاخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروى
الناس حتى ضربوا بعطن وعن ابي قتادة وذكر ان الناس شكوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره
فدعى بالميضاة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله اعلم انفث
فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملئوا كل اناء معهم فخيل الي
انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروي مثله عن
عمران بن حصين وذكر الطبري حديث ابي قتادة على غير ما ذكره
اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم ممدا لاهل مؤتة
عند ما بلغه قتل الامراء فذكر حديثا طويلا فيه معجزات وآيات
للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم يفقدون الماء في غد
وذكر حديث الميضاة قال والقوم زهاء ثلثمائة وفي كتاب مسلم
انه قال لابي قتادة احفظ علي ميضاتك فانه سيكون لها نبأ
وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين اصاب
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش في بعض اسفاره
فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امراة بمكان كذا وكذا
معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها فاتيا بها الى النبي

النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في اناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء
الله ان يقول ثم اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وامر
الناس فملئوا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا الا ملئوه قال عمران
ويخيل الي انهما لم يزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمراة من الازواد
حتى ملئوا ثوبها وقال اذهبي فانا لم ناخذ من مائك شيئا ولكن الله
سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الاكوع قال قال نبي الله صلى
الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة فافرغها
في قدح فتوضانا كلنا ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة وفي حديث
عمر في جيش العسرة وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر
بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب ابو بكر رضي الله عنه الى النبي
صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء
فانسكبت فملئوا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن
شعيب ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه
بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه
وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب والحديث في هذا
الباب كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه فصل
ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا القاضي الشهيد
ابو علي رحمه الله حدثنا العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي
حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا سلمة بن شبيب
حدثنا الحسن بن اعين حدثنا معقل عن ابي الزبير عن جابر ان رجلا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير
فما زال ياكل منه وامراته وضيفه حتى كاله فاتى النبي صلى الله
عليه وسلم فاخبره لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك
حديث ابي طلحة المشهور واطعامه ثمانين او سبعين رجلا
من اقراص من شعير جاء بها انس تحت يده اي تحت ابطه

فأمر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله ان يقول وفي حديث جابر
في اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع
شعير وعناق قال جابر بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وعن ثابت
مثله عن رجل من الانصار وامرأته ولم يسمهما وقال وجيء بمثل الكف
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الاناء ويقول
ما شاء الله فاكل من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلأ
ممن قدم معه لذلك صلى الله عليه وسلم وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان
في الاناء وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك رواه
عن جابر سعيد بن ميناء وايمن وحديث ابي ايوب انه صنع
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر رضي الله عنه من الطعام
زهاء ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من
الانصار فدعاهم فاكلوا حتى شبعوا ثم قال ادع ستين فكان مثل
ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوه وما خرج منهم
احد حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل من طعامي مائة
وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب قال اتي النبي صلى الله
عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل
يقوم قوم ويقعد آخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن
بن ابي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة
وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة
فشوي سواد بطنها ثم قال وايم الله ما من الثلاثين
ومائة الا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها
قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين فحملته
على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي عمرة
الانصاري عن ابيه ومثله لسلمة بن الاكوع وابي هريرة

وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء وايمن صح

هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة اصابت الناس
مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية
الازواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم
الذي اتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته
كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء
الا ملؤوه وبقي منه وعن ابي هريرة قال امرني النبي صلى الله
عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت
بين ايدينا صحفة فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين
وضعت الا ان فيها اثر الاصابع وعن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد
المطلب كانوا اربعين منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون
الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما
هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب
وقال انس ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين ابتنى
بزينب امره ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ
البيت والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا
فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل القوم يقعدون
ويتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم احدا
او اثنين وسبعين وفي رواية اخرى في هذه القصة او مثلها
ان القوم كانوا زهاء ثلاثمائة وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع
فرفعت فلا ادري حين وضعت كان اكثر او حين رفعت وفي
حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي رضي الله عنه ان فاطمة
رضي الله عنها طبخت قدرا لغدائهما ووجهت عليا للنبي صلى الله
عليه وسلم ليتغدى معها فامرها فغرفت منها لجميع نسائه صحفة
صحفة ثم له صلى الله تعالى عليه وسلم ولعلي ثم لها ثم رفعت

القدر وانها لتفيض قالت فاكلنا منها ما شاء الله وامر
عمر بن الخطاب ان يزود اربع مائة راكب من احمس فقال
يا رسول الله ما هي الا اصوع قال اذهب فذهب فزودهم منه
وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين
الاحمسي ومن رواية جرير ومثله رواية النعمان بن مقرن
الخبر بعينه الا انه قال اربعمائة راكب من مزينة ومن ذلك
حديث جابر في دين ابيه بعد موته وقد كان بذل لغرمائه
اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنتين كفاف دينهم
فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره بجدها وجعلها
بيادر في اصولها فمشى فيها ودعا فاوفى منه جابر غرماءه
وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم
قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال ابو هريرة اصاب
الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من
شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فاتني به فادخل يده
فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا
حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا قال
خذ ما جئت به وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على
اكثر مما جئت به فاكلت منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان فانتهب مني فذهب وفي
رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله
وذكر مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر كان بضع
عشرة تمرة ومنه ايضا حديث ابي هريرة حين اصابه الجوع فاستتبعه
النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه وامره
ان يدعو اهل الصفة فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب شربة
اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم ان اسقيهم

يسقيهم فجعلت اعطي الرجل منهم فيشرب حتى يروى ثم ياخذه
الآخر حتى روي جميعهم قال فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح
بقيت انا وانت اقعد فاشرب فقعدت فشربت ثم ما
قال اشرب فما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك
بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة
وفي حديث خالد بن عبد العزى انه اجزر للنبي صلى الله
عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة ولا تبد عياله
عظما عظما وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة
وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا
وافضلوا ذكر خبره ذلك الدولابي ومن حديث الآجري في ا
نكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة رضي الله عنهما ان
النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او
خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال فاتيته بذلك فطعن في راسها
ثم ادخل الناس رفقة رفقة ياكلون منها حتى فرغوا وبقيت
بقيت منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه رضي الله
عنهن وقال كلن واطعمن من غشيكن وفي حديث انس تزوج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض نسائه فصنعت امي
ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى النبي صلى الله عليه و
سلم فقال ضعه وادع فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم
ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلاثمائة حتى
ملأوا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة
عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه
وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي
ارفع فما ادري احين وضعت كان اكثر ام حين رفعت
واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح وقد جمع

على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة
ورواه عنهم اضعافهم من التابعين ثم لا ينعد بعدهم و
اكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهورة لا يمكن
التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكره
فصل في كلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة واجابتها
حدثنا القاضي احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح
فيما اجازنيه عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس
عن ابي القاسم البغوي حدثنا احمد بن عمران الاخنسي حدثنا ابو
حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي
فقال يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي قال هل لك الى خير منك
قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
قال ومن يشهد لك قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ
الوادي فادعها فانها تجيبك قال فدعوتها فاقبلت تخد الارض
حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال
ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة سأل اعرابي النبي صلى الله
عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال
فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها
فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة
حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام
عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت
فدلت عروقها فاستوت فقال الاعرابي ائذن لي ان اسجد
قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها
قال فأذن لي ان اقبل يديك ورجليك فأذن له وفي الصحيح
في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى

الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين
بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما
فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت
معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى
مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتأمتا
وفي رواية اخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول
لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما
ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر
وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا برسول الله صلى الله عليه وسلم
مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على
ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا
يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس
فقال هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات متقاربات
قال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركن ان
تأتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك
فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات
يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما
خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي
بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى
بن سيابة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من
هذين الحديثين وذكر فأمر وديتين فانضمتا وفي رواية اشاءتين وعن
غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود عن النبي صلى
الله عليه وسلم مثله في غزوة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة

ايضاً وذكر اشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر
ان طلحة او سمرة جاءت فطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استأذنت ان تسلم علي وفي
حديث عبد الله بن مسعود آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن
ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث ان الجن
قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا هذه الشجرة
فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث الاول او نحوه
قال القاضي ابو الفضل فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود
ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن
ابي طالب وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة
نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فصارت
في انتشارها من القوة حيث هي وذكر ابن فورك انه صلى الله
عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلاً وهو وسن فاعترضته سدرة
فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين
الى وقتنا هذا وهي هناك معروفة معظمة ومن ذلك حديث
انس ان جبريل عم قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورآه حزيناً أتحب
ان اريك آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي
حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها
وعن علي نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل قال اللهم ارني آية لا ابالي
بمن كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه صلى الله
عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له وذكر ابن
اسحق ان النبي صلى الله عليه وسلم ارى ركانة مثل هذه ال
الآية في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال
ارجعي فرجعت وعن الحسن انه صلى الله عليه وسلم شكى الى

عليه

عليه وسلم اري ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فاتت
حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن انه
صلى الله عليه وسلم شكى الى ربه من قومه وانهم يخوفونه
وسأله آية يعلم بها ان لا مخافة عليه فاوحى الله اليه ان ائت
وادي كذا فيه شجرة فادع غصناً منها يأتك ففعل فجاء
يخط الارض خطاً حتى انتصب بين يديه فجلس ما شاء الله
تعالى ثم قال ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت ان
لا مخافة علي ونحو منه عن عمر وقال فيه ارني آية لا ابالي
من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس انه صلى
الله عليه وسلم قال لاعرابي ارأيت ان دعوت هذا العذق
من هذه النخلة اتشهد اني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل
ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه خرجه الترمذي
وقال هذا حديث حسن صحيح فصل في قصة حنين الجذع و
يعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور
منتشر والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة
بضعة عشر منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن
مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن
سعد وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمة والمطلب بن
ابي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي
وحديث انس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد
مسقوفاً على جذوع نخل وكان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا خطب يقوم الى جذع فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع
صوتاً كصوت العشار وفي رواية انس حتى ارتج المسجد
لخواره وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوه وفي رواية
المطلب وابي حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله

عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي
نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث
المطلب وسهل بن سعد واسحق عن انس وفي بعض الروايات
فدفنت تحت منبره او جعلت في السقف وفي حديث
ابي وكان اذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما هدم
المسجد اخذه ابي فكان عنده الى ان اكلته الارض وعاد رفاتا
وذكر الاسفرايني ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه الى
نفسه فجاء يخرق الارض فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه وفي
حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت
اردك الى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل
خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة
فيأكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له النبي صلى الله عليه
وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني اولياء
الله واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله فقد فعلت ثم
قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن اذا حدث بهذا
بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه
رواه عن جابر جعفر بن عبد الله ويقال عبيد الله بن حفص
وايمن وابو نضرة وابن المسيب وسعيد بن ابي كرب و
كريب وابو صالح ورواه عن انس بن مالك الحسن وثابت
واسحق بن ابي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وابو حية وروى
ابو نضرة وابو الوداك عن ابي سعيد وعمار بن ياسر

بن عمار عن ابن عباس وابو حازم وعباس بن سهل
بن سعد عن سهل بن سعد عن ابيه وكثير بن زيد عن المطلب
وعبد الله بن بريدة عن ابيه والطفيل بن ابي عن ابيه
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله فهذا حديث كما تراه خرجه
اهل الصحة ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين
ضعفهم الى من لم نذكره وبمن دون هذا العدد يقع العلم
لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب فصل
ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد
بن عيسى التميمي حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط
حدثنا المهلب حدثنا ابو القسم حدثنا ابو الحسن
القابسي حدثنا المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري
حدثنا ابو احمد الزبيري حدثنا اسرائيل عن منصور عن
ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا معه صلى الله عليه
وسلم نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود كنا ناكل مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع تسبيح الطعام
وقال انس اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى
فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا
التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن
روى مثله ابو ذر وذكر انهن سبحن في كف عمر وعثمان وقال
علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى بعض
نواحيها فما استقبله شجرة ولا جبل الا قال له السلام عليك
يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه صلى الله عليه وسلم
اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل انه الحجر الاسود وعن
عائشة قال النبي صلى الله عليه وسلم لما استقبلني جبريل

بالرسالة جعلت لا تمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك
يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله قال لم يكن صلى الله
عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي حديث العباس اذ اشتمل
عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر
من النار كستره اياهم بملاءته فامنت اسكفة الباب وحوائط
البيت آمين آمين وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال مرض رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب
فاكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح وعن انس صعد النبي
صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احداً فرجف بهم فقال
اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله عن
ابي هريرة في حراء وزاد معه علي وطلحة والزبير فقال فانما عليك
نبي وصديق وشهيد والخبر في حراء ايضاً عن عثمان وقال ومعه
عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعداً قال
نسيت الاثنين وفي حديث سعيد بن زيد ايضاً مثله وذكر
عشرة وزاد نفسه وقد روي انه حين طلبته قريش قال له
ثبير اهبط يا رسول الله فاني اخاف عليك ان يقتلوك
على ظهري فيعذبني الله وروى ابن عمر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال
يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الجبار انا الكبير المتعال فرجف
المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس قال كان حول
البيت ستون وثلثمائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص
الحجارة في فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام
الفتح جعل يشير بقضيب بيده اليها ولا يمسها ويقول
جاء الحق وزهق الباطل الآية فما اشار الى وجه صنم الا وقع
لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم الا و

خر ساقطاً ومثله في حديث ابن مسعود وقال فجعل
يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن
ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء امره اذ خرج تاجراً مع عمه
وكان الراهب لا يخرج الى احد فخرج يتخللهم حتى اخذ بيد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه
الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش ما علمك
قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر له ساجداً ولا تسجد الجمادات
الا لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل صلى الله عليه وسلم وعليه
غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه الى فيء الشجرة
فلما جلس مال الفيء اليه صلى الله عليه وسلم فصل في
الآيات في ضروب الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك ابو
الحسن الحافظ حدثنا ابي حدثنا القاضي يونس حدثنا ابو
الفضل الصقلي حدثنا قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا
حدثنا ابو العلي احمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل حدثنا
يونس بن عمرو حدثنا مجاهد عن عائشة قالت كان عندنا داجن
فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت
مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم جاء وذهب وروي عن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي وقد صاد
ضباً فقال من هذا قالوا نبي الله فقال واللات والعزى
لا امنت بك او يؤمن بك هذا الضب وطرحه بين يدي
النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعاً لبيك وسعديك
يا زين من وافى القيمة قال من تعبد قال الذي في السماء
عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته

وفي النار عقابه قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم
النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك
فاسلم الاعرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهور عن
ابي سعيد الخدري قال بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة
منها فاخذها الراعي فاقعى الذئب وقال للراعي الا تتقي الله
حلت بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذئب يتكلم
بكلام الانس فقال الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك
قال وما هو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين
يحدث الناس بانباء ما قد سبق فاتى الراعي النبي صلى
الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم
ثم قال صدق والحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروي
حديث الذئب عن ابي هريرة وفي بعض الطرق عن ابي هريرة
فقال الذئب انت اعجب مني واقفا على غنمك وتركت
نبيا لم يبعث نبي قط اعظم منه عنده قدرا وقد فتحت له
ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك
وبينه الا هذا الشعب فتصير من جنود الله قال الراعي من لي
بغنمي قال الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه
ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه
وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك
فانك تجدها بوفرها فوجدها كذلك فذبح للذئب شاة
منها وعن اهبان بن اوس وانه كان صاحب القصة
والمحدث بها والمكلم الذئب وعن سلمة بن الاكوع وانه
كان صاحب هذه القصة ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث
ابي سعيد وقد روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفيان
بن حرب وصفوان بن امية مع ذئب وجداه اخذ ضبيا

ضبياً فدخل الضبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك
فقال الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة
يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان واللات
والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روي مثل
هذا الخبر وانه جرى لابي جهل واصحابه وعن عباس بن مرداس
السلمي لما تعجب من كلام ضمار صنمه وانشاده الشعر الذي
ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فاذا طائر سقط فقال يا عباس
اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت جالس فكان
سبب اسلامه وعن جابر بن عبد الله ان رجلا اتى النبي صلى
الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان
في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله فكيف بالغنم فقال احصب
وجوهها فان الله سيؤدي عنك امانتك وردها الى اهلها
ففعل فسارت كل شاة منها حتى دخلت الى اهلها وعن انس
دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائط انصاري وابو بكر وعمر
ورجل من الانصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال ابو
بكر نحن احق بالسجود لك منها الحديث وعن ابي هريرة رضي
الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا فجاء بعير
فسجد له وذكر مثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن
عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان
لا يدخل احد الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم
دعاه فوضع مشفره في الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال
ما بين السماء والارض شيء لا يعلم اني رسول الله الا عاصي
الجن والانس ومثله عن عبد الله بن ابي اوفى وفي خبر آخر
في حديث الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه

فاخبروه انهم ارادوا ذبحه وفي رواية ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية
انه شكى الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه في شاق العمل من
صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء وكلامها للنبي
صلى الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب
اليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها ونداءهم لها انك لمحمد صلى
الله عليه وسلم وانها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت
ذكره الاسفرائني وروى ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبي
صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروي عن انس
وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة الغار امر الله شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم
فسترته وامر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي حديث آخر ان العنكبوت
نسجت على بابه فلما اتى الطالبون له ورأوا ذلك قالوا لو كان
فيه احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع
كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب الى النبي صلى
الله عليه وسلم بدنات خمس او ست او سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن
اليه بايتهن يبدأ وعن ام سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم
في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله فقال ما حاجتك قالت
صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى
اذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت نعم فاطلقها
فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي فقال يا رسول الله
الك حاجة فقال اطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت
تعدو في الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك
رسول الله ومن هذا الباب ما روي من تسخير الاسد لسفينة
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ

معاذ باليمن فلقي الاسد فعرفه انه مولى رسول الله ومعه
كتابه فتهمهم الاسد وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل
ذلك وفي رواية اخرى عنه ان سفينة تكسرت به فخرج
الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني على الطريق و
اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن شاة لقوم
من بني عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما
وبقي ذلك الاثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن ابراهيم بن
حماد بسنده من كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد
شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه
كان يوجهه الى دار اصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه و
يستدعيهم وان النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في بئر
جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت عند النبي
صلى الله عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه وفي العنز
التي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد
اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلاثمائة فحلبها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع املكها و
ما اراك فربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره
وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي جاء بها هو
الذي ذهب بها وقال لفرسه وقد قام الى الصلوة في بعض
لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلوتنا وجعله قبلته
فما حرك عضوا منه حتى صلى عليه السلام والحديث في هذا الباب
كثير وجئنا منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه في
كتب الائمة فصل في احياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان
والمراضع وشهادتهم له بالنبوة حدثنا ابو الوليد هشام بن

احمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد و
القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا واذنا
قالوا حدثنا ابو علي الحافظ قالوا حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا
ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى حدثنا احمد بن سعيد حدثنا ابن الاعرابي
حدثنا ابو داود حدثنا وهب بن بقية عن خالد الطحان عن
محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة ان يهودية اهدت
للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فاكل رسول
الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم
فانها اخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية
ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذي
صنعت وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها
فقتلت وقد روى هذا الحديث انس وفيه قالت اردت
قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا انقتلها
قال لا وكذلك روي عن ابي هريرة من رواية غير وهب قال
فما عرض لها ورواه ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرتني
هذه الذراع قال ولم يعاقبها وفي رواية الحسن ان فخذها
يكلمني انها مسمومة وفي رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن
قالت اني مسمومة قال ولم يعاقبها وكذلك ذكر الخبر ابن
اسحق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث عن انس انه قال
فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي
حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في
وجعه الذي مات فيه ما زالت اكلة خيبر تعاودني فالآن
قطعت ابهري وحكى ابن اسحق ان المسلمين يرون ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من
النبوة وقال ابن سحنون اجمع اهل الحديث ان رسول الله

الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد
ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن ابي هريرة وانس
وجابر وفي رواية ابن عباس وفي رواية انه دفعها
لاولياء بشر بن البراء فقتلوها وكذلك قد اختلف
في قتله الذي سحره قال الواقدي وعفوه اثبت عندنا
وقد روي انه قتله وروى الحديث البزار عن ابي سعيد فذكر
مثله الا انه قال في آخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله
فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر منا احدا قال القاضي
ابو الفضل وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح
وخرجه الائمة وهو حديث مشهور واختلف ائمة
اهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله
في الشاة الميتة او الحجر او الشجر وحروف واصوات يحدثها
الله تعالى فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن
هيئتها وهو مذهب الشيخ ابي الحسن والقاضي ابي بكر رحمهما الله
وآخرون ذهبوا الى ايجادها اولا ثم الكلام وحكي هذا ايضا عن
شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذ لم يجعل الحيوة شرطا
لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم
الحيوة بمجردها فاما اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من
شرط الحيوة لها اذ لا يوجد الكلام النفسي الا من حي خلافا
للجبائي من بين سائر الفرق في احالة وجود الكلام اللفظي
والحروف والاصوات الا من حي مركب على تركيب من يصح منه
النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك في الحصى والجذع
والذراع وقال ان الله تعالى يخلق فيها حيوة ويخرق لها فما و
سمعا ولسانا وآلة امكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله
والتهمم به اكد من التهمم بنقل تسبيحها او حنينه ولم ينقل احد من اهل

الشير والرواية شيئاً من ذلك فدل على سقوط دعواه
مع انه لا ضرورة اليه في النظر والله الموفق وروي كبع
ذلك رفعه عن فهد بن عطية ان النبي صلى الله عليه
سلم اتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من انا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي عن معرض بن معيقيب
رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عجباً جيء بصبي يوم ولد
فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونه
سم راويه وفيه قال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت
بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان
يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع
وعن الحسن قال اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له
انه طرح بنية له في واد كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها
باسمها يا فلانة اجيبي باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك و
سعديك فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ارددك
عليهما قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيراً لي منهما وعن
انس ان شاباً من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه
وعزيناها فيه فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت
تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تعينني على كل شدة
فلا تحملن علي هذه المصيبة قال فما برحنا الى ان كشف الثوب
عن وجهه فطعم وطعمنا معه وروي عن عبد الله بن عبيد
الانصاري قال كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس
وكان قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه القبر محمد رسول
الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا فاذا
هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير ان زيد بن خارجة خر ميتاً
في بعض ازقة المدينة فرفع وسجي اذ سمعوه بين العشائين

العشائين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا فحسر عن
وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين كان ذلك
في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان
رضي الله عنهم ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله و
بركاته ثم عاد ميتاً كما كان فصل في ابراء المرضى وذوي العاهات
اخبرنا ابو الحسن ابو علي بن مشرف فيما اجازنيه وقرأته على غيره حدثنا
ابو اسحق الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابو الورد عن
البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن اسحق قال حدثنا
ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقصة احد
بطولها قال وقالوا وقال سعد بن ابي وقاص ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لينا ولني السهم لا نصل له فيقول ارم به
وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه
حتى اندقت واصيب يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان
حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكانت احسن عينيه وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن
قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة ورواها ابو سعيد
الخدري عن قتادة وبصق على اثر سهم في وجه ابي قتادة في
يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى النسائي عن
عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله لي ان يكشف
لي عن بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم
قل اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبي محمد صلى الله عليه
سلم نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان يكشف عن بصري
اللهم شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروي
ان ابن ملاعب الاسنة اصابه استسقاء فبعث الى النبي صلى الله
عليه وسلم فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها

رسوله فاخذها مستعجبا يرى انه قد هزئ به فاتاه بها وهو على
شفاء فنشرها فشفاه الله تعالى وذكر العقيلي عن حبيب بن
فريك ويقال ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما
شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم فابصر فرايته
يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين سنة ورمي كلثوم بن
الحصين يوم احد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيه فبرأ وتفل على شجة عبد الله بن انيس فلم تمد وتفل
في عيني علي رضي الله عنه يوم خيبر وكان رمدا فاصبح بارئا ونفث
على ضربة ساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت وفي رجل زيد
بن معاذ حين اصابه السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف
فبرئت وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق اذ انكسرت فبرأ
مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن ابي طالب فجعل يدعو
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه او عافه ثم ضربه
برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد
معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق رسول الله صلى الله عليه
وسلم والصقها فلصقت رواه ابن وهب ومن روايته
ان خبيب بن يساف اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح واتته امرأة من خثعم
معها صبي به بلاء لا يتكلم فاتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم
اعطاها اياه وامرها بسقيه ومسه به فبرأ الغلام وعقل عقلا
يفضل عقول الناس وعن ابن عباس جاءت امرأة بابن
لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو
الاسود وشفي وانكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو
طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرأ لحينه وكانت في

في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان
الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه
حتى رفعها ولم يبق لها اثر وسألته جارية طعاما وهو يأكل فناولها
من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت انما اريد من الذي
في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسأل شيئا فيمنعه فلما استقر
في جوفها القي عليها من الحياء ما لم تكن امرأة في المدينة اشد حياء
فصل في اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم وهذا باب واسع
جدا واجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا
لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في
حذيفة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا
لرجل ادركت الدعوة ولده وولد ولده حدثنا ابو محمد
العتابي بقراءتي عليه حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا
ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا محمد بن
يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبد الله بن ابي
الاسود حدثنا حرمي حدثنا شعبة عن قتادة عن انس قال
قالت امي يا رسول الله خادمك انس ادع الله له قال اللهم
اكثر ماله وولده وبارك له فيما اتيته ومن رواية عكرمة قال
انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد
ولدي ليعادون اليوم على نحو المائة وفي رواية وما اعلم احدا
اصاب من رخاء العيش ما اصبت ولقد دفنت بيدي
هاتين مائة من ولدي لا اقول سقطا ولا ولد ولد ومنه
دعاؤه صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف بالبركة
قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته
ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس
حتى مجلت منه الايدي واخذت كل زوجة ثمانين الفا

وكن اربعًا وقيل مائة الف وقيل بل صولحت احديهن لانه
طلقها في مرضه على نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا
بعد صدقاته الفاشية في حيوته وعوارفه العظيمة اعتق
يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت
عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وباقتابها
واحلاسها ودعى لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة ودعى
لسعد بن ابي وقاص ان يجيب الله دعوته فما دعى على احد
الا استجيب له ودعى بعز الاسلام على عمر وابي جهل فاستجيب
له في عمر قال ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر واصاب
الناس في بعض مغازيه عطش فسئل عمر الدعاء فدعى فجاءت
سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت ودعى في الاستسقاء فسقوا
ثم شكوا اليه المطر فدعى فصحوا وقال لابي قتادة افلح وجهك
اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة
وكانه ابن خمسة عشر سنة وقال للنابغة لا يفضض الله
فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان احسن الناس
ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش عشرين و
مائة سنة وقيل اكثر من ذلك ودعى لابن عباس اللهم
فقهه في الدين وعلمه التاويل فسمي بعد ذلك راوي
الحبر وترجمان القرآن ودعى لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة
يمينه فما اشترى شيئا الا ربح فيه ودعى للمقداد بالبركة وكانت
عنده غرائر من المال ودعى بمثله لعروة بن ابي الجعد فقال
لقد كنت اقوم بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا
وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه و
روي مثل هذا لغرقدة ايضا وندت له ناقة فدعى فجاء
بها اعصار ريح حتى ردها عليه ودعى لام ابي هريرة فاسلمت

فاسلمت ودعى لعلي ان يكفى الحر والقر فكان يلبس في
الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه
حر ولا برد ودعى لفاطمة ابنته ان لا يجيعها قالت فما
جعت بعد قط وسئله الطفيل بن عمرو آية لقومه فقال
اللهم نور له فسطع له نور بين عينيه فقال يا رب اخاف
ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في
الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعى على مضر فقحطوا حتى
استعطفته قريش فدعى لهم فسقوا ودعى على كسرى حين
مزق كتابه ان يمزق الله ملكه فلم يبق له باقية ولا بقيت
لفارس رياسة في اقطار الدنيا ودعى على صبي قطع عليه الصلوة
ان يقطع الله اثره فاقعد وقال لرجل رآه يأكل بشماله كل
بيمينك فقال لا استطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه
قال لعتبة بن ابي جهل اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله
الاسد وقال ان لنا اسد يأكلها فاكله الاسد وحديثه المشهور
من رواية عبد الله بن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا
السلا على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم
قال فقد رأيتهم قتلوا يوم بدر ودعى على الحكم بن ابي العاص
وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم
اذ رآه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان مات ودعى
على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الارض مرات فالقوه
بين صدين ورضموا عليه من الحجارة والصد جانب الوادي
وجحد رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله
عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم على
الرجل فقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت شائلة
برجلها اي رافعة وهذا الباب اكثر من ان يحاط به فصل

في كرامته وبركاته وانقلاب الاعيان له فيما لمسه وباشره
اخبرنا احمد بن محمد حدثنا ابو ذر الهروي اجازة وحدثنا ال
القاضي ابو علي سماعا والقاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
وغيرهما قالوا حدثنا ابو الوليد القاضي حدثنا ابو ذر
حدثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم حدثنا البخاري حدثنا
يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك
ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب النبي صلى الله عليه
وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف او به قطاف وقال
غيره يبطئ فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعد لا يجارى
ونخس جمل جابر وكان قد اعيا فنشط حتى كان لا يملك زمامه
وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعي خفقها بمخفقة معه
وبرك عليها فلم يملك رأسها نشاطا وباع من بطنها باثني
عشر الفا وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة فرده
هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره في
قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر
وفي الصحيح عن اسماء بنت ابي بكر انها اخرجت جبة طيالسة
وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن
نغسلها للمرضى يستشفى بها وحدثنا القاضي ابو علي عن
شيخه ابي القاسم بن المأمون قال كانت عندنا قصعة
من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء
للمرضى يستشفون بها واخذ جهجاه الغفاري القضيب من
يد عثمان ليكسره على ركبته فصاح الناس به فاخذته الاكلة
فقطعها ومات قبل الحول وسكب من فضل وضوئه في
بئر قباء فما نزفت بعد وبزق في بئر كانت في دار انس
فلم يكن في المدينة اعذب منها ومر على ماء فسئل عنه فقيل

له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب
واتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب من المسك واعطى الحسن
والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان
لام مالك عكة تهدي للنبي صلى الله عليه وسلم فيها سمنا
فامرها النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تعصرها ثم دفعها
اليها فاذا هي مملوءة سمنا فياتيها بنوها يسألون الادم
ليس عندهم فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها
حتى عصرتها وكان يتفل في افواه الصبيان المراضيع فيجزيهم
ريقه الى الليل ومن ذلك بركة يده فيما لمسه وغرسه
لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلثمائة ودية يغرسها لهم كلها
تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية من ذهب فقام صلى
الله عليه وسلم فغرسها له بيده الا غرسها غيره فاخذت
كلها الا تلك الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وردها فاخذت وفي كتاب البزار فاطعم النخل من
عامه الا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه مثل بيضة الدجاجة
من ذهب بعد ان ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين
اوقية وبقي عنده مثل ما اعطاهم وفي حديث حنش بن
عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من
سويق شربت اولها وشربت اخرها فما برحت اجد شبعها
اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها اذا ظمئت واعطى
قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة
عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك
عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا
فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء له

العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى يخرج منها
ودفعه لعكاشة جذل حطب فقال اضرب به حين انكسر
سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة ابيض
شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف
الى ان استشهد في قتال اهل الردة وكان هذا السيف يسمى
العون ودفعه لعبد الله بن جحش يوم احد وقد ذهب سيفه
عسيب نخل فرجع في يده سيفا ومنه درور الشياه الحوائل باللبن
الكثير كقصة شاة ام معبد واعنز معاوية بن ثور وشاة
انس وغنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود
وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد ومن ذلك تزويده
اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلوة
نزلوا فحلوا فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد
حماد بن سلمة ومسح على راس عمير بن سعد وبرك فمات وهو
ابن ثمانين فما شاب وروي مثل هذه القصص عن غيره منهم
منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد
طيب يغلب طيب نسائه لان رسول الله صلى الله عليه
مسح بيده على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عائذ بن
عمرو وكان قد جرح يوم حنين ودعا له وكانت له غرة كغرة
الفرس ومسح على راس زيد الجرامي فدعا له فهلك وهو
هو ابن مائة سنة وراسه ابيض وهو موضع كف النبي صلى الله
عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره اسود فكان يدعى الاغر
وروي هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح على وجه آخر
فما زال على وجهه نور ومسح على وجه قتادة بن ملحان فكان
لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع
على راس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى

يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع
على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم و
نضح في وجه زينب ام سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في
وجه امرأة من الجمال ما بها ومسح على راس صبي به عاهة فبرئ
واستوى شعره وروى مثله خبر المهلب بن قبالة وعلى غير واحد
من الصبيان المرضى والمجانين فبرؤا واتاه رجل به ادرة فامره
ان ينضحها بماء عين مج فيها ففعل فبرا وعن طاوس لم يؤت
النبي صلى الله عليه وسلم باحد به مس فصك في صدره
الا ذهب المس والمس الجنون ومج في دلو من بئر ثم صب
فيها ففاح منها ريح المسك واخذ قبضة من تراب يوم
حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصر
فانصرفوا يمسحون القذا عن اعينهم وشكى اليه ابو هريرة النسيان
النسيان فامره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم امره بضمه
ففعل فما نسي شيئا بعد وما يروى عنه في هذا الباب كثير و
ضرب صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر له انه لا
لا يثبت على الخيل فصار من افرس العرب واثبتهم ومسح
راس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان
دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما فصل
ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون والاحاديث
في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة
من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل الينا خبرها
على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع
على الغيب حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري
اجازة وقراءة على غيره قال ابو بكر حدثنا ابو علي التستري
حدثنا ابو عمر الهاشمي حدثنا اللؤلؤي حدثنا ابو داود حدثنا

عثمان بن ابي شيبة حدثنا جرير عن الاعمش عن ابي وائل عن
حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً
فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا
حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء
وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه
الرجل اذا غاب عنه فينساه ثم اذا رآه عرفه ثم قال حذيفة
ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من
معه ثلاث مائة فصاعداً الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه و
قبيلته وقال ابو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه و
سلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علماً وقد
خرج اهل الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه صلى الله عليه وسلم
مما وعدهم به من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس
واليمن والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المرأة من
الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله وان المدينة ستغزى ويفتح
خيبر على يد علي في غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا
ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر و
ما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء وسلوك
سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية
فرقة واحدة وانهم ستكون لهم انماط ويغدو احدهم في
حلة ويروح في اخرى ويوضع بين يديه صحفة وترفع
اخرى وانهم يسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال آخر
الحديث وانتم اليوم خير منكم يومئذ وانهم اذا مشوا
المطيطاء وخدمتهم بنات فارس والروم ورد الله
بأسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك

الترك والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس حتى
لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده
وذكر ان الروم ذات قرون الى آخر الدهر وبذهاب الامثل
فالامثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلوم
وظهور الفتن والهرج وقال ويل للعرب من شر
قد اقترب وانه زويت له الارض فازوي مشارقها
ومغاربها وسيبلغ ملك امته ما زوي له منها فكذلك
كان امتدت في المشارق والمغارب ما بين ارض الهند
الى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه
امة من الامم ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك وقوله
لا تزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة
وذهب ابن المديني الى انهم العرب لانهم المختصون بالسقي
بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب وقد
ورد المغرب كذلك في الحديث بمعناه وفي حديث آخر من رواية
ابي امامة لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين
لعدوهم حتى يأتيهم امر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله واين
هم قال ببيت المقدس واخبر بملك بني امية وولاية معاوية
ووصاه واتخاذ بني امية مال الله دولاً وخروج ولد العباس
بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي و
ما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي وان اشقاها
الذي يخضب هذه من هذه اي لحيته من رأسه وانه قسيم النار
يدخل اولياؤه الجنة واعداؤه النار فكان فيمن عاداه
الخوارج والناصبة وطائفة ممن ينسب اليه من الروافض
كفروه وقال يقتل عثمان وهو يقرأ في المصحف وان الله
عسى ان يلبسه قميصاً وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه

على قوله فسيكفيكهم الله وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا واخبر
بقتل عمر وهو يقتل شهيدا ومحاربة الزبير لعلي ونباح كلاب
الحوأب على بعض الازواج وانه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو
بعد ما كادت فنبحت عائشة عند خروجها الى البصرة وان
عمارا يقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب معاوية وقال
لعبد الله بن الزبير ويل لك من الناس وويل للناس منك
وقال في قزمان وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار
فقتل نفسه وقال في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة
آخركم موتا في النار وكان بعضهم يسأل عن بعض فكان سمرة
آخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى في النار فاحترق وقال في
الخلافة في قريش ولن يزال هذا الامر في قريش ما اقاموا الدين
وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما الحجاج والمختار
وان مسيلمة يعقره الله وان فاطمة اول اهله لحوقا به وانذر
بالردة وبان الخلافة بعده تكون ثلاثين سنة ثم تكون
ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي رضي الله عنهما وقال
ان هذا الامر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون
ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا في الامة و
اخبر بشان اويس القرني وبامراء يؤخرون الصلوة عن
وقتها وسيكون في امته ثلاثون كذابا آخرهم الدجال الكذاب
كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك ان يكثر فيكم
العجم يأكلون فيئكم ويضربون رقابكم لا تقوم الساعة حتى
يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم
الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم
يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون و
ينذرون ولا يوفون وقال لا يأتي زمان الا والذي بعده

وقال في حنظلة الغسيل لما قتلوا
زوجته عنه فاني رأيت الملائكة
تغسله فسألوها فقالت انه خرج
جنبا واعجله الحال عن الغسل قال
ابو سعيد وجدنا رأسه يقطر ماء صح

شر منه وقال هلاك امتي على ايدي اغيلمة من قريش
قال ابو هريرة قال راويه لو شئت سميتهم لكم انهم بنو فلان
وبنو فلان واخبر بظهور القدرية والرافضة وسب آخر هذه
الامة اولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل
امرهم حتى يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وانهم سيلقون بعده
اثرة واخبر بشان الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم وان
سيماهم التحليق ويرى رعاء الغنم على رؤس الناس والعراة
الحفاة يتبارون في البنيان وان تلد الامة ربتها وان
قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا وانه هو يغزوهم واخبر بالموتان
الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من
سكنى البصرة وانهم يغزون في البحر كالملوك على الاسرة
وان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس
وهاجت ريح في غزاته فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا
الى المدينة وجدوا ذلك وقال القوم من جلسائه ضرس احدكم
في النار اعظم من احد قال ابو هريرة رضي الله عنه فذهب
القوم يعني ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة
واعلم بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله
وبالذي غل الشملة وحيث ناقته حين ضلت وكيف تعلقت
بالشجرة بخطامها وبشان كتاب حاطب الى اهل
مكة وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على
قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير الى النبي صلى الله
عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الامر والسر اسلم واخبر بالمال الذي تركه عمه العباس عند
ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم واعلم
انه سيقتل ابي بن خلف وفي عتبة بن ابي لهب انه يأكله

كلب الله وعين مصارع اهل بدر وكان كما قال وقال ان ابني
هذا سيد وسيصلح الله تعالى به بين فئتين ولسعد لعلك تخلف
حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك آخرون واخبر بقتل مؤته يوم
قتلوا وبينهم مسيرة شهر او ازيد وبموت النجاشي يوم مات و
هو بارضه واخبر فيروز اذ ورد عليه رسولا من كسرى بموت
كسرى ذلك اليوم فلما تحقق فيروز القصة اسلم واخبر ابا ذر
بتطريده كما كان ووجده في المسجد نائما فقال كيف بك اذا
اخرجت منه قال اسكن المسجد الحرام قال فاذا اخرجت منه
الحديث وبعيشه وحده وموته وحده واخبر ان اسرع
ازواجه به لحوقا اطولهن يدا فكانت لطول يدها بالصدقة واخبر
بقتل الحسين بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وقال
في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده
في الجهاد وقال في الذين كانوا معه على حراء اثبت فانما عليك
نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير
وطعن سعد وقال لسراقة كيف بك اذا لبست سواري
كسرى فلما اتي بها لعمر البسها اياه وقال الحمد لله الذي سلبها
كسرى والبسها سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل
وقطربل والصراة تجبى اليها خزائن الارض يخسف
بها يعني بغداد وقال سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد
هو شر هذه الامة من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة
حتى يقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال لعمر في سهيل بن عمرو
وعسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة
مقام ابي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب
بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم وقال لخالد حين وجهه
لاكيدر انك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الامور كلها في

في حيوته وبعد موته كما قال صلى الله عليه وسلم الى ما اخبر به
جلسائه من اسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من اسرار المنافقين
وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى ان كان بعضهم ليقول
لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة
البطحاء واعلامه بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم و
كونه في مشط ومشاقة في جف طلع نخلة ذكر وانه القي في بئر
ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة واعلامه قريشا
باكل الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا
بها رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم لله تعالى فوجد كما قال
ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الاسرا
ونعته اياه نعت من عرفه واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه
وانذارهم لوقت وصولها فكان كل كما قال الى ما اخبر به من
الحوادث التي تكون ولم تات بعد ومنها ما ظهرت مقدماتها
كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج
الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ومن اشراط الساعة وايات
حلولها وذكر النشر والحشر واخبار الابرار والفجار والجنة والنار
وعرصات القيمة وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا جامعا
يشتمل على اجزاء وحده مفردا وفيما اشرنا اليه من نكت الا
الاحاديث التي ذكرناها كفاية واكثرها في الصحيح وعند الائمة
فصل في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من اذاه
قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم
ربك فانك باعيننا وقال اليس الله بكاف عبده قيل بكاف
محمدا اعداءه المشركين وقيل غيره وقال انا كفيناك المستهزئين
المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الاية اخبرنا
القاضي الشهيد ابو علي الصدفي بقراءتي عليه والفقيه الحافظ

ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري قال اخبرنا ابو الحسين
المصيرفي حدثنا ابو يعلى البغدادي حدثنا ابو علي السنجي
حدثنا ابو العباس المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ
حدثنا عبد بن حميد حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا الحارث
بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة
رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى
نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم راسه من القبة فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا
عني فقد عصمني ربي عز وجل روي ان النبي صلى الله عليه و
سلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتى
اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله فارعدت
يد الاعرابي وسقط سيفه وضرب راسه الشجرة حتى سال دماغه
فنزلت الآية وقد رويت هذه القصة وان غورث بن الحارث
صاحب هذه القصة ان النبي صلى الله عليه وسلم عفى عنه
فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل
هذه الحكاية انها جرت له يوم بدر وقد انفرد عليه السلام من
اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله
قد روي انه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي امر مع رجل
اسمه دعثور بن الحارث وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه
الذين اغروه وكان سيدهم واشجعهم قالوا له اين ما كنت تقول
وقد امكنك فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في
صدري فوقعت لظهري وسقط السيف فعرفت انه ملك
واسلمت وقيل فيه نزلت يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم الآية
وفي رواية الخطابي ان غورث بن الحارث المحاربي اراد ان يفتك

يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو قائم على
راسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب على
وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة وجع
الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكر ان فيه نزلت يا ايها الذين
آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم الآية وقيل كان النبي صلى الله
عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية استلقى ثم
قال من شاء فليخذلني وذكر عبد الرحمن بن حميد قال كانت
حمالة الحطب تضع العضاه وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكانما يطؤها كثيبا اهيل وذكر ابن اسحق انها لما بلغها
نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من
الذم اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في
المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت
عليهما لم تر الا ابا بكر فاخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله
عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه
يهجوني والله لو وجدته لضربته بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن
ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا
رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ظننا انه ما بقي من تهامة
احد فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلوته و
رجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رأيناه جاءت
الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر قال تواعدت
انا وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجئنا الى منزله فسمعنا له فافتتح وقرأ الحاقة ما
الحاقة وما ادراك ما الحاقة الى قوله فهل ترى لهم من باقية
فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال انج وفرا هاربين فكانت
من مقدمات اسلام عمر ومنه العبرة المشهورة والكفاية عن

الناقة عند ما اخافته قريش واجتمعت على قتله وبيتوه فخرج
عليهم من بيته فقام على رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم
وذر التراب على رؤسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم
في الغار بما هيأ الله له من الايات ومن العنكبوت الذي
نسج عليه حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار
ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما ارى انه قبل ان يولد محمد و
وقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه احد لما
كانت هناك الحمام وقصته عليه السلام مع سراقة بن مالك بن
جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعائل
فانذر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه
النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها و
استقسم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة
النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت
وقال للنبي اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية
الى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان
فناداهم بالامان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم امانا
كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار وامره النبي صلى الله
عليه وسلم ان لا يترك يلحق بهم فانصرف يقول كفيتم ما ههنا
وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع
في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ان
راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد ليعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب
على قلبه فما يدري ما يصنع وانسي ما خرج اليه حتى رجع الى موضعه
وجاءه فيما ذكر ابن اسحق وغيره ابو جهل بصخرة وهو ساجد و
قريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه
الى عنقه ورجع القهقرى الى خلفه ثم سئله ان يدعو له ففعل

ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك
وحلف لئن رآه ليدمغنه فسئلوه عن شانه فذكر انه عرض
لي دونه فحل ما رأيت مثله قط هم بي ان يأكلني فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك جبريل لو دنا لاخذه وذكر
السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله
عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى
الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه
وذكر ان في هاتين القصتين نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا
الآيتين ومن ذلك ما روى ابن اسحق في قصته اذ خرج
الى بني قريظة في اصحابه صلى الله عليه وسلم فجلس الى
جدار بعض آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح
عليه رحى فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف الى
المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم الآية نزل في هذه
القصة وحكى السمرقندي انه خرج الى بني النضير يستعين
في عقل الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن امية فقال له حيي
اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا
فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر حيي
معهم على قتله عليه السلام واعلم جبريل النبي صلى الله عليه و
سلم بذلك فقام كانه يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكر اهل
التفسير ومعنى الحديث عن ابي هريرة ان ابا جهل وعد قريشا
لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته فلما صلى النبي صلى الله
اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا
بيديه فسئل فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق
مملوء نارا كدت اهوي فيه وابصرت هولا عظيما وخفق

اجنحته قد ملأت الافق فقال النبي صلى الله عليه و
سلم تلك الملائكة لو دنى لاختطفته عضواً عضواً ثم
انزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان
ليطغى الى اخر السورة ويروى ان رجلا يعرف بشيبة
بن عثمان الحجبي ادركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل
اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثأري من محمد فلما اختلط
الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما
دنوت منه ارتفع الي شواظ من نار اسرع من البرق
فوليت هاربا واحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني
فوضع يده على صدري وهو ابغض الخلق الي فما رفعها الا
وهو احب الخلق الي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت امامه
اضرب بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت ابي تلك الساعة لاوقعت
به دونه وعن فضالة بن عمير اردت قتل النبي صلى الله
عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت
منه قال افضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به
نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على
صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا
احب الي منه ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد
بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان
عامر قال له انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه انت فلم يره
فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت ان اضربه
الا وجدتك بيني وبينه افاضربك ومن عصمته له تعالى
ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه لقريش و
اخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى
حتى بلغ امره ومن ذلك نصره بالرعب امامه مسيرة شهر

شهر كما قال صلى الله عليه وسلم فصل في معجزاته الباهرة
ما جمعه الله من المعارف والعلم وخصه به من الاطلاع
على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته بامور شرائعه
وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح امته وما كان
في الامم قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة والقرون
الماضية من لدن آدم الى زمانه وحفظ شرائعهم وكتبهم
ووعي سيرهم وسرد انبائهم وايام الله فيهم وصفات
اعيانهم واختلاف آرائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم
حكمائهم ومحاجة كل امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة
من الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت
علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتواء
على لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب
فصاحتها والحفظ لايامها وامثالها وحكمها ومعاني
اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الامثال
الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين
المشكل الى تمهيد قواعد الشرع التي لا تناقض فيه ولا تخا ذل
ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد
الآداب وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل
سليم شيئا الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر من
الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه صوبه واستحسنه دون طلب
اقامة برهان عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من
الخبائث وصان به انفسهم واموالهم واعراضهم من المعاقبات
والحدود عاجلا والتخويف بالنار آجلا مما لا يعلم فلا يقوم
به ولا ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب
ومثافنة بعض هذا الى احتوائه على ضروب العلوم و

فنون المعارف وكالطب والعبارة والحساب والنسب
والفرائض وغير ذلك من العلم مما اتخذ اهل هذه المعارف
كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة واصولاً في علمهم كقوله
صلى الله عليه وسلم الرؤيا لاول عابر وهي على رجل طائر
وقوله الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه
ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله اذا تقارب الزمان لم تكد
رؤيا المؤمن تكذب وقوله اصل كل داء البردة وما روي
عنه صلى الله عليه وسلم في حديث ابي هريرة من قوله المعدة
حوض البدن والعروق اليها واردة وان كان حديثاً
لا نصححه لضعفه وكونه موضوعاً تكلم عليه الدارقطني وقوله
خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي وخير
الحجامة يوم سبعة عشر وتسعة عشر واحدى وعشرين وفي
العود الهندي سبعة اشفية وقوله ما ملأ ابن آدم
وعاء شراً من بطن الى قوله فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث
للشراب وثلث للنفس وقوله وقد سئل عن سبأ
ارجل هو ام امرأة ام ارض فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم
ستة وتشاءم اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه في
نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها
بالنسب الى سؤاله عما اختلفوا فيه ومن ذلك قوله حمير
رأس العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والازد كاهلها
وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها وقوله ان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق السموات والارض وقوله في الحوض زواياه
سواء وقوله في حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك مائة
وخمسون على اللسان والف وخمسمائة على الميزان وقوله وهو
بموضع نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب

المغرب قبلة وقوله لعيينة او الاقرع انا افرس بالخيل منك وقوله
لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للممل هذا مع انه صلى الله
عليه وسلم لا يكتب لكنه اوتي علم كل شيء حتى قد وردت
آثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لا تمد بسم
الله الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس و
قوله في الحديث الآخر الذي يروى عن معاوية انه كان يكتب
بين يديه صلى الله عليه وسلم الق الدواة وحرف القلم و
اقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن
وجود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية انه صلى الله عليه وسلم
كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة واما
علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها
فامر مشهور وقد نبهنا على بعضه اول الكتاب وكذلك حفظه لكثير
من لغات الامم كقوله في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية
وقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث ابي هريرة
اشكنب درد ام اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم
بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف
على الكتب ومثافنة اهلها عمره وهو صلى الله عليه وسلم رجل
كما قال الله تعالى امي لم يكتب ولم يقرأ ولا عرف بصحبة من هذه
صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه
الامور ولا عرف هو قبل بشيء منها قال الله تعالى وما كنت
تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية انما كانت غاية
معارف العرب النسب واخبار اوائلها والبيان والشعر
وانما حصل لهم ذلك بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال
بطلبه ومباحثة اهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى
الله عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد

الكفرة حيلة في دفع نصصناه الا قولهم اساطير الاولين وانما
يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله لسان الذي يلحدون اليه
اعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان
فان الذي نسبوا تعليمه اليه اما سلمان او العبد الرومي
وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن وظهور
ما لا يعد من الآيات واما الرومي فكان اسلم وكان يقرأ
على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل
بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة
وكلاهما اعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن وقد
عجزوا عن معارضة ما اتى به والاتيان بمثله بل عن فهم وصفه
وصورة تأليفه ونظمه فكيف باعجمي الكن نعم وقد كان سلمان او
بلعام الرومي او يعيش او جبر او يسار على اختلافهم في اسمه بين
اظهرهم يكلمونه مدى اعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء
من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف
واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو حينئذ على
كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده ان يجلس الى
هذا فيأخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه ايضا ما يحتج
به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من اخبار
كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت
اختلافاته الى بلاد اهل الكتاب فيقال انه استمد منهم بل لم
يزل بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة ابنائهم
ثم لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة او سفرتين لم يطل فيهما مكثه
مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة
قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة
مقامه بمكة من تعليم واختلاف الى حبر او قس او منجم او كاهن

كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجيء ما اتى به في معجز القرآن
قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا لكل امر فصل
ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته وباهر آياته
انباؤه مع الملائكة والجن وامداد الله له بالملائكة وطاعة
الجن له ورؤية كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا
عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين الآية و
قال اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا
وقال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من
الملائكة مردفين وقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون
القرآن الآية حدثنا سفيان بن العاصي الفقيه سماعا عليه
حدثنا ابو الليث السمرقندي حدثنا عبد الغافر الفارسي
حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا ابي حدثنا شعبة عن سليمان الشيباني
سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد رأى من آيات ربه
الكبرى قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح والخبر في
محادثته مع جبريل واسرافيل وغيرهما من الملائكة وما
شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور
وقد رآهم بحضرته جماعة من اصحابه من غير رواية في مواطن
مختلفة ورأى اصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله
عن الاسلام والايمان ورأى ابن عباس واسامة وغيرهما
عنده جبريل في صورة دحية ورأى سعيد على يمينه ويساره
جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب بيض و
مثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم بدر
وبعضهم رأى تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون الضارب
ورأى ابو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل
البلق بين السماء والارض ما يقوم لها شيء وقد كانت

الملائكة تصافح عمران بن حصين وارى النبي صلى الله
عليه وسلم حمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه وارى عبد
الله بن مسعود الجن ليلة وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط
وذكر ابن سعد ان مصعب بن عمير لما قتل يوم اخذ الراية
ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول
له تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم انه
ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين ان عمر بن الخطاب رضي
الله عنه قال بينا نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه
وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه
وسلم فرد عليه السلام وقال صلى الله عليه وسلم نغمة الجن من انت
فقال انا هامة بن الهيم بن لاقيس بن ابليس فذكر انه لقي
نوحا ومن بعده في حديث طويل وان النبي صلى الله
عليه وسلم علمه سورة من القرآن وذكر الواقدي قتل
خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها
عريانة فجزلها بسيفه واعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال
فقال له تلك العزى وقال صلى الله عليه وسلم ان شيطانا
تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فاخذته
فاردت ان اربطه في سارية من سواري المسجد حتى تنظروا
اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا
لا ينبغي لاحد من بعدي الآية فرده الله خاسئا وهذا باب
واسع جدا فصل ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته صلى
الله عليه وسلم ما ترادفت فيه الاخبار عن الرهبان والاحبار و
علماء اهل الكتاب من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته و
ذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد في ذلك من اشعار المو
حدين المتقدمين من شعر تبع والاوس بن حارثة

احد صح

حارثة وكعب بن لوي وسفيا بن المجاشع وقس بن ساعدة
وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به من
امره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري
وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته و
خبره وما الفي من ذلك في التوراة والانجيل مما قد جمعه العلماء
وبينوه ونقله عنها ثقات من اسلم من علماء يهود ومنهم مثل
ابن سلام وبني سعية وابن يامين ومخيريق وكعب واشباههم
ممن اسلم من علماء يهود وبحيراء ونصطلون ونسطورا
الحبشة وصاحب بصرى وضغاطر واسقف الشام و
الجارود وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة واساقف
نجران وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى وقد اعترف
بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصارى ورؤساهم و
مقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن
اخطب واخوه وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم من
علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاوة
والاخبار في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع اسماع يهود والنصارى
بما ذكر انه في كتبهم من صفته وصفة اصحابه صلى الله عليه وسلم
ورضي الله عنهم اجمعين واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك
صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم السنتهم ببيان
امره ودعوتهم المباهلة على الكاذب فما منهم الا من نفر عن
معارضته وابداء ما الزمهم من كتبهم اظهاره ولو وجد واخلاف
قوله لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس في الدما
والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فاتوا
بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى ما انذر به الكهان
مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر

وافعى نجران وجذل بن الجذل الكندي وابن خلصة الدوسي
وسعد بن بنت كريز وفاطمة بنت النعمان وما لا يبلغه كثرة
الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته وحلول وقت رسالته
وسمع من هواتف الجان وسن ذبائح النصب واجواف
الصور وما وجد من اسما النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة
له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم ما اكثره مشهور
واسلام من اسلم بسبب ذلك مشهور معلوم مذكور عن نقلتها
فصل ومن ذلك ما ظهر من الايات عند مولده وما حكته امه
آمنة ومن حضره من العجايب وكونه رافعا راسه عندما
وضعته شاخصا ببصره الى السما وما رأته من النور الذي
خرج معه عند ولادته وما رأته اذ ذاك ام عثمان بن ابي
العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر
الا النور وقول الشفا ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط
صلى الله عليه وسلم على يدي واستهل سمعت قائلا يقول
رحمك الله واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت
الى قصور الروم حتى تعرفت به حليمة وزوجها ظئراه من بركته
ودرور لبنها ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه
وحسن نشأته وما جرى من العجايب ليلة مولده من الآيات
ارتجاج ايوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية
وخمود نار فارس وكان لها الف عام لم تخمد وانه كان
اذا اكل مع عمه ابي طالب وآله وهو صغير شبعوا ورووا فاذا
غاب فاكلوا في غيبته لم يشبعوا وكان سائر ولد ابي طالب
يصبحون شعثا ويصبح صلى الله عليه وسلم كحيلا دهينا قالت
ام ايمن حاضنته ما رأيته صلى الله عليه وسلم شكى جوعا ولا
عطشا صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السما بالشهب الثوا

بالشهب الثواقب وقطع رصد الشياطين ومنعهم من استراق
السمع وما نشأ عليه من بغض الاصنام والعفة عن امور
الجاهلية وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر
المشهور عند بناء الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل
عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى رد ازاره عليه فقال
له عمه ما بالك فقال اني نهيت عن التعري ومن ذلك اظلال
الله له في الغمام في سفره وفي رواية ان خديجة ونساها
رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها
انه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره وقد روي ان حليمة رأت
غمامة تظله وهو عندها وروي ذلك عن خالد عن اخيه
من الرضاعة ومن ذلك انه نزل في بعض اسفاره قبل
مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها وايتعت
هي فاشرقت وتدلت عليه اغصانها بمحضر من رآه و
وميل فيء الشجرة اليه في الخبر الآخر حتى اظلته وما ذكر من انه
كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب
كان لا يقع على ثيابه ولا جسده ومن ذلك تحبيب الخلوة
اليه حتى اوحي اليه ثم اعلامه بموته ودنو اجله وان قبره
في المدينة وفي بيته وان بين بيته ومنبره روضة من رياض
الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة
من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده و
على ما رويناه في بعضها واستئذان ملك الموت عليه و
لم يستأذن على غيره قبله ونداهم الذي سمعوه ان لا تنزعوا
عنه القميص عند غسله وما روي من تعزية الخضر والملائكة
اهل بيته عند موته الى ما ظهر على اصحابه من كراماته وبركته
في حياته ومماته كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته

فصل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله قد اتينا في هذا الباب
على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة
في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا
واقتصرنا من الاحاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصد
من كثير الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا من
غريبه مما ذكره مشاهير الائمة وحذفنا الاسناد في جمهورها
طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصي ان يكون
ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا صلى
الله عليه وسلم اظهر من معجزات الرسل بوجهين احدهما كثرتها
وانه لم يؤت نبي معجزة الا وعند نبينا مثلها او ما هو ابلغ
منها وقد نبه الناس على ذلك فان اردته فتامل فصول
هذا الباب ومعجزات من تقدم من الانبياء تقف على ذلك
ان شاء الله تعالى واما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله معجز واقل
ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين سورة انا اعطيناك
او آية في قدرها وذهب بعضهم الى ان كل آية منه كيف كانت
معجزة وذهب آخرون الى ان جملة منتظمة منه معجزة وان
كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرنا اولا لقوله تعالى
فاتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما يقتضي هذا من
نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا ففي القرآن من
الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف على عدد
بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك عشر كلمات فتجزأ القرآن
على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة آلاف جزء
كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه كما تقدم بوجهين
طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد
معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه

وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في
السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن اشياء من الغيب
كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه
الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق
القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه
ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة عنه صلى الله
عليه وسلم في هذا الباب وعما دل على امره مما اشرنا الى
جملة يبلغ نحوا من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله
عليه وسلم فان معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل زما
نهم وبحسب الفن الذي قد سمى فيه قرنه فلما كان زمن
موسى عليه السلام غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى عليه السلام بمعجزة
تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم
ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك زمن عيسى
اغنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم امر لا يقدرون
عليه واتاهم ما لم يحتسبوه من احياء الموتى وابراء الاكمه و
الابرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات
الانبياء ثم ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة
معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة والشعر و
الخبر والكهانة فانزل عليه القرآن الخارق لهذه الاربعة
فصول من الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارجة عن
نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب الذي
لم يهتدوا الى المنظوم على طريقه ولا علموا في اساليب
الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث
والاسرار والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف
المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان اعدى العدو فا



فابطل الكهانة تصدق مرة وتكذب عشرة ثم اجتثها من
من اصلها برجم الشهب رصد النجوم وجاء من الاخبار عن
القرون السالفة وانباء الانبياء والامم البائدة والحوا
الحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه
على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجزة فيها ثم بقيت هذه
المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التي ذكرنا
في معجزات القرآن ثابتة الى يوم القيمة بينة الحجة لكل امة
تاتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتامل وجوه
اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر
عصر ولا زمان الا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر
فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة
زيادة في اليقين والنفس اشد طمانينة الى
عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عندها
حقا وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت
بعدم ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد و
تنقطع واياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار صلى الله
عليه وسلم بقوله فيما حدثنا القاضي الشهيد ابو علي حدثنا
القاضي ابو الوليد حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو اسحق
وابو الهيثم قالوا حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا
عبد العزيز بن عبد الله حدثنا الليث عن سعيد عن ابيه
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من
نبي من الانبياء الا وقد اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر
وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله الي فارجو اني اكثر
اكثرهم تابعا يوم القيمة هذا معنى الحديث عند بعضهم و
هو الظاهر والصحيح ان شاء الله تعالى وذهب غير واحد من

من العلماء في تاويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم الى معنى اخر من ظهورها بكونها وحيا
وكلاما لا يمكن التخييل عليه ولا التحيل الى التشبيه فيه فان
غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها باشياء
طمعوا في التخييل على الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم
وشبيه هذا مما يخيله الساحر او يتحيل فيه والقرآن كلام ليس
للتحيل ولا للسحر ولا للحيلة في التخييل فيه عمل فكان من
هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم
لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من
الحيل والتمويه والتاويل الاول اخلص وارضى وفي هذا
التاويل الثاني مما يغمض الجفن عليه ويغضى ووجه ثالث على
مذهب من قال بالصرفة وان المعارضة كانت في مقدور
البشر فصرفوا عنها او على احد مذهبي اهل السنة من ان الاتيان
بمثله من جنس مقدور البشر ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون
بعد لان الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليها وبين المذهبين
فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الاتيان بما في
مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والاجلال والسباء و
الاذلال وتغير الحال وسلب النفوس والاموال وال
التقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد ابين اية
للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته وانهم
منعوا من شيء هو من جنس مقدورهم والى هذا ذهب
الامام ابو المعالي الجويني وغيره قال وهذا عندنا ابلغ
في خرق العادة بالافعال البديعة في انفسها كقلب
العصا حية ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر بدارا ان
ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة في

ذلك الفن وفضل علم الى ان يرد ذلك صحيح النظر واما التحدي
للخلائق المئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا
بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة
ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال
نبي آيتي ان يمنع الله القيام عن الناس مع قدرتهم عليه
وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك وعجزهم الله عن القيام
لكان ذلك من ابهر آية واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد
غاب عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات
الانبياء حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة افهام العرب
وذكاء البابها ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة فيه
بوفور فطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من
القبط وبني اسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذا السبيل بل
كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون
انه ربهم وجوز عليهم السامري ان ذلك في العجل فعبدوه
بعد ايمانهم وعبدوا المسيح مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه
وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءهم من الآيات الظاهرة
البينة للابصار بقدر غلظ افهامهم مما لا يشكون فيه ومع هذا
فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن
والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير والعرب
على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع وانما كانت تتقرب
بالاصنام الى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من قبل
الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء لبه ولما
جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم
لاول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا به كل يوم ايمانا ورفضوا
الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم واموالهم وقتلوا آباءهم

آبائهم وابنائهم في نصرته والى في سعي هذا بما يلوح له رونق
ويعجب منه زبرج لو احتيج اليه وحقق لكنا قدمنا من
بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغني
عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها القسم الثاني
فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في اربعة ابواب على
ما ذكرناه في اول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه
في سنته وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم
الصلاة عليه والتسليم وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم
الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع
سنته اذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته
وجب الايمان به وتصديقه فيما اتى به قال الله تعالى فآمنوا
بالله ورسوله والنور الذي انزلنا وقال انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وقال فآمنوا
بالله ورسوله النبي الامي الآيات فالايمان بالنبي محمد صلى الله
عليه وسلم واجب متعين ولا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام
الا معه وقال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا
اعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا ابو محمد الخشني الفقيه بقراءتي
عليه حدثنا الامام ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي
حدثنا ابن عمرويه الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا
ابو الحسين حدثنا امية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع
حدثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه
عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت
ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا
بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم و

اموالهم الا بحقها وحسابهم على الله قال القاضي ابو الفضل و
الايمان به صلى الله عليه وسلم تصديق نبوته ورسالة الله له
وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق الق
القلب بذلك شهادة اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع
التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان
تم الايمان به والتصديق له كما ورد في هذا الحديث نفسه من
رواية عبد الله بن عمر امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا في
حديث جبريل اذ قال اخبرني عن الاسلام فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر ا
اركان الاسلام ثم سأله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله و
ملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر ان الايمان به محتاج الى
العقد بالجنان والاسلام به مضطر الى النطق باللسان وهذه
الحالة المحمودة التامة واما الحالة المذمومة فالشهادة بالل
باللسان دون تصديق القلب هذا هو النفاق قال الله
تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله و
الله انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي يعلم
كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا
يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا
بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم
في الآخرة حكمه اذ لم يكن معهم ايمان ولحقوا بالكافرين في
الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام باظهار
شهادة اللسان في احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين
الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام
اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك وقال
هلا شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد ما جعل
في حديث جبريل الشهادة من الاسلام والتصديق من
الايمان وبقيت حالتان اخريان بين هذين احدهما ان يصدق
بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت للشهادة بلسانه فاختلف
فيه فشرط بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به
وراه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله عليه السلام يخرج
من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر سوى
ما في القلب هو مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك
غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه الثانية ان يصدق بقلبه
ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة
ولا استشهد في عمره ولا مرة واحدة فهذا اختلف فيه ايضا
فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة الا
الاعمال فهو عاص بتركها غير مخلد في النار وقيل ليس بمؤمن
حتى يقارن عقده شهادة اللسان اذ الشهادة انشا
انشاء عقد والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم
التصديق مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح وهذا نبذ يفضي
الى متسع من الكلام في الاسلام والايمان وابوابهما وفي
الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق
لا يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه من عمل او قد يعرض
فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وعزم و
تصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب
وفي بسط هذا خروج عن غرض هذا التأليف وفيما ذكرنا غنية
فيما قصدناه ان شاء الله تعالى فصل واما وجوب طاعته
فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته

لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا
الله ورسوله وقال قل اطيعوا الله والرسول وقال واطيعوا
الله والرسول لعلكم ترحمون وقال وان تطيعوه تهتدوا وقال
وقال ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقال وما آتيكم الرسول
فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين الآية وقال
وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله فجعل تعالى طاعة
رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب
واوعد على مخالفته بسوء العقاب واوجب امتثال امره
واجتناب نهيه قال المفسرون والائمة طاعة الرسول في
التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا ما ارسل الله من
رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليه وقالوا من يطع
الرسول في سنته يطع الله في فرائضه وسئل سهل
بن عبد الله عن شرائع الاسلام فقال وما آتيكم الرسول
فخذوه وقال السمرقندي يقال اطيعوا الله في فرائضه
والرسول في سنته وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول
فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية
والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا ابو محمد بن عتاب
بقرائتي عليه حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن بن علي
بن علي بن محمد بن خلف حدثنا محمد بن احمد حدثنا محمد بن
يوسف حدثنا البخاري حدثنا عبدان حدثنا عبد الله
حدثنا يونس عن الزهري اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن
انه سمع ابا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله عليه و
سلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد
عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري

اميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله
عز وجل امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعة له
وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب
وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال عليه السلام
اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فأتوا منه ما استطعتم
وفي حديث ابي هريرة عنه عليه السلام كل امتي يدخلون
الجنة الا من ابى قالوا ومن يأبى قال من اطاعني دخل الجنة
ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث الآخر الصحيح عنه عليه السلام
مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم
اني رأيت الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجاء
فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم
فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش
فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت
به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق وفي
الآخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث
داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المأدبة و
من لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة
فالدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم فمن اطاع
محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد
فرق بين الناس ومعنى قوله فرق الناس اي فارق
بين المؤمن والكافر فمن آمن به فهو مؤمن ومن كفر
به فهو كافر الى هنا فصل واما وجوب اتباعه صلى
الله عليه وسلم وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقد
قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني

نذير بمعنى منذر يعني مخبر

مأدبة ضيافت

طريقت

يحبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال فآمنوا بالله ورسوله
النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم
تهتدون وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا
تسليما اي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم
اذا انقاد وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
لمن كان يرجو الله واليوم الآخر الآية قال محمد بن علي
الترمذي الاسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته
وترك مخالفته في قول او فعل وقال غير واحد من المفسرين
بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل في
قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم بمتابعة السنة فامرهم
الله تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه لان الله سبحانه
ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الآية
الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه وآثروه على اهوائهم وما
تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم
بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي عن الحسن ان اقواما
قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله تعالى قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية وروي ان الآية نزلت
في كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله
واحباؤه ونحن اشد حبا لله فانزل الله تعالى الآية وقال
الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته
فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما
ورضاه بما امرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته
ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة

بحر كامل عروض اولى سندن ضرب ثالثندر

طاعة كما قال القائل شعر تعصي الاله وانت تظهر حبه
هذا لعمري في القياس بديع لو كان حبك صادقا لاطعته
ان المحب لمن يحب مطيع ويقال محبة العبد لله تعظيمه له
وهيبته منه ومحبة الله له رحمته وارادته الجميل له وتكون بمعنى
مدحه وثنائه عليه قال القشيري فاذا كان بمعنى الرحمة والا
الارادة والمدح كان من صفات الذات وسيأتي بعد في
ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى حدثنا ابو اسحق ابراهيم
بن جعفر الفقيه قال حدثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل و
حدثنا ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه بقراءتي عليه قالا
حدثنا حاتم بن محمد قال حدثنا ابو حفص الجهني حدثنا ابو بكر
الآجري حدثنا ابراهيم بن موسى الجوزي حدثنا داود بن رشيد
حدثنا ابو الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد
بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي وحجر الكلاعي عن
العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى
الله قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين
عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل
محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار زاد
في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث
ابي رافع عنه عليه السلام لا الفين احدكم متكئا على اريكته
يأتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري
ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عائشة صنع
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه فتنزه عنه
قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال
ما بال اقوام يتنزهون عن الشيء الذي اصنعه فوالله اني
لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وروي عنه عليه السلام

السلام انه قال القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو
الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء يوم القيمة مع
القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثي فقد خسر
الدنيا والآخرة امرت امتي ان يأخذوا بقولي ويطيعوا
امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن
قال الله تعالى وما آتيكم الرسول فخذوه الآية وقال عليه السلام
من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني
وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر
الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله بن عمرو
بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة او سنة
قائمة او فريضة عادلة وعن الحسن بن ابي الحسن قال
صلى الله عليه وسلم عمل قليل في سنة خير من عمل كثير
في بدعة وقال عليه السلام ان الله يدخل العبد الجنة
بالسنة يتمسك بها وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد امتي له اجر مائة شهيد
وقال عم ان بني اسرائيل افترقوا على اثنين وسبعين
ملة وان امتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في
النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي انا
عليه اليوم واصحابي وعن انس قال عم ومن احيى سنتي
فقد احياني ومن احياني كان معي في الجنة وعن عمرو بن
عوف المزني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال
بن الحارث من احيى سنة من سنتي قد اميتت بعدي

بعدي قال فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان
ينقص من اجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضى
الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص
ذلك من اوزار الناس شيئا فصل واما ورد عن السلف
والائمة من اتباع السنة والاقتداء بها لهديه كثيرة حدثنا
الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن بن ابي تليد الفقيه
سماعا عليه قال حدثنا ابو عمر الحافظ ثنا سعيد بن نصر ثنا
قاسم بن اصبغ ووهب بن مسرة قالا ثنا محمد بن وضاح
ثنا يحيى بن يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل
خالد بن اسيد انه سأل عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد
الرحمن انا نجد صلوة الخوف وصلوة الحضر في القرآن
ولا نجد صلوة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله بعث
الينا محمدا ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما رأيناه يفعل قال
عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم و
ولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله و
استعمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد
تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها من اقتدى
بها فهو مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع
غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم
وساءت مصيرا وقال الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في
سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا
عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة
وكتب عمر بن الخطاب الى عماله بتعليم الفرائض والسنة
واللحن اي اللغة وقال ان ناسا يجادلونكم يعني بالقرآن
فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله

عثمان

وفي خبره حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال اصنع كما
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي رضي
الله عنه حين قرن فقال له ترى اني انهى الناس عنه وتفعله
فقال لم اكن ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول
احد من الناس وعنه ايضا الا اني لست بنبي ولا يوحى
الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت وكان
ابن مسعود يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة
وقال ابن عمر صلاة السفر ركعتان من خالف السنة
كفر وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على
الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه ففاضت
عيناه من خشية الله تعالى فيعذبه الله ابدا وما على الارض
من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده
من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي
كذلك اذا اصابتها ريح شديدة فتحاتت عنها ورقها الا
حط الله عنه خطاياه كما تحاتت عن الشجرة ورقها فان اقتصادا
اقتصادا في سبيل الله وسنته خير من اجتهاد في خلاف سبيل
وسنته وموافقة بدعة وانظروا ان يكون عملكم ان كان
اجتهادا او اقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء وسنتهم
وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر يخبره بحال بلده
وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة او يحملهم على البينة
وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وما جرت
عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن
عطاء في قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله
والرسول اي الى كتاب الله والى سنة رسوله وقال الشافعي
ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اتباعها

ابن خطاب

اتباعها وقال عمر رضي الله عنه وقد نظر الى الحجر الاسود انك
حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله وروي عبد الله بن عمر
يدير ناقته في مكان فسئل عنه فقال لا ادري الا اني رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال ابو عثمان
الجنيدي من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن
امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل التستري
اصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء برسول الله صلى الله عليه و
سلم في الاخلاق والافعال والاكل من الحلال واخلاص
النية في جميع الاعمال وجاء في تفسير قوله والعمل الصالح يرفعه
انه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي عن احمد بن حنبل قال
كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر و
لم اتجرد فرأيت تلك الليلة قائلا يقول يا احمد ابشر فان
الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى
بك قلت من انت قال جبريل فصل ومخالفة امره وتبديل
سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب قال الله
تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم
عذاب اليم وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين
له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الآية حدثنا ابو
محمد عبد الله بن ابي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي
عليهما قالا ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي
ثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ ثنا احمد بن ابي سليمان ثنا
سحنون بن سعيد ثنا ابن القاسم ثنا مالك عن العلاء بن
عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى

ضلال وبدعة صح

عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث في صفة امته وفيه
فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فاناديهم
الا هلم الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول
فسحقا فسحقا فسحقا وروى انس عنه صلى الله
عليه وسلم من رغب عن سنتي فليس مني وقال من ادخل في
امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وروى ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكئا على اريكته
ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري
ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي حديث المقدام الا وان
ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله وقال عليه السلام وجيء بكتاب
في كتف كفى بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم
الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا
عليك الكتاب يتلى عليهم الآية وقال عليه السلام هلك
المتنطعون وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لست
تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا
عملت به اني اخشى ان تركت شيئا من امره ان ازيغ العلم

الباب الثاني في لزوم محبته صلى الله عليه وسلم قال الله
تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم و
عشيرتكم واموال اقترفتموها الآية فكفى بهذا حضا وتنبيها
ودلالة وحجة على الزام محبته ووجوب فرضها وعظم
خطرها واستحقاقه لها عليه السلام اذ قرع الله تعالى
من كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله
واوعدهم بقوله فتربصوا حتى ياتي الله بامره ثم فسقهم
الآية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا ابو علي الغساني
الحافظ فيما اجازنيه وهو مما قرأته على غير واحد قال حدثنا

حدثنا سراج بن عبد الله القاضي ثنا ابو محمد الاصيلي
ثنا المروزي ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا محمد
بن اسماعيل ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا ابن علية عن عبد
العزيز بن صهيب عن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من
ولده ووالده والناس اجمعين وعن ابي هريرة ما
نحوه وعن انس عنه عم ثلاث من كن فيه وجد بها
حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه
مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان
يعود الى الكفر كما يكره ان يقذف في النار وعن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه
لانت احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين
جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم
حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك
الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر قال سهل من لم ير ولاية
الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الاحوال ويرى نفسه في
ملكه لا يذوق حلاوة سنته لان النبي صلى الله عليه و
سلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث
فصل في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم حدثنا ابو محمد
بن عتاب بقراءتي عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا
ابو الحسن علي بن خلف ثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد بن
يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبدان ثنا ابي ثنا شعبة
عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن انس ان رجلا
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول

الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كثرة صلوة
ولا صوم ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله قال انت
مع من احببت وعن صفوان بن قدامة قال هاجرت الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ناولني يدك ابايعك فناولني يده
فبايعته فقلت يا رسول الله اني احبك قال المرء مع من
احب وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس وعن ابي ذر بمعناه
وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ
بيد الحسن والحسين فقال من احبني واحب هذين واباهما
وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة وروي ان رجلا اتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب
الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء فانظر
اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت
الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى
ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
اولئك رفيقا فدعا به فقرأها عليه وفي حديث اخر كان رجل
عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال
ما بالك فقال بابي انت وامي اتمتع بالنظر اليك فاذا كان
يوم القيمة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الاية وفي حديث
انس انه صلى الله عليه وسلم قال من احبني كان معي في
الجنة فصل فيما روي عن السلف والائمة من محبتهم للنبي
صلى الله عليه وسلم وشوقهم حدثنا القاضي الشهيد ثنا
العذري ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا
قتيبة ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه عن

عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
اشد امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو
رآني باهله وماله ومثله عن ابي ذر وقد تقدم حديث عمر
وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من نفسي وما تقدم
عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان احد احب الي
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن
معدان قالت ما كان خالد ياوي الى فراش الا وهو يذكر
من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه
من المهاجرين والانصار ويسميهم ويقول هم اصلي وفصلي
واليهم يحن قلبي طال اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه
النوم وروي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله
عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام ابي طالب كان اقر
لعيني من اسلامه يعني اباه ابا قحافة وذلك ان اسلام ابي
طالب كان اقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب قال للعباس
ان تسلم كان احب الي من ان يسلم الخطاب لان ذلك احب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن اسحق ان امرأة
من الانصار قتل اباها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت ارونيه
حتى انظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل
علي بن ابي طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كان والله احب الينا من اموالنا
واولادنا وآبائنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ
وعن زيد بن اسلم خرج عمر ليلة يحرس الناس فرأى مصباحا
في بيت فاذا عجوز تنفش صوفا وتقول على محمد صلوة

الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار قد كنت قواما بكا بالاسحار
يا ليت شعري والمنايا اطوار هل تجمعني وحبيبي الدار يعني
النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول
وروي ان عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر احب
الناس اليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت رجله
ولما احتضر بلال نادت امرأته واحزناه فقال واطرباه غدا
القى الاحبة محمدا وحزبه ويروى ان امرأة قالت لعائشة
اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته لها
فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم
ليقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب انشدك بالله يا زيد
اتحب ان محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وانك
في اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الآن في مكانه الذي هو
فيه تصيبه شوكة واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رأيت
من الناس احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا صلى الله
عليه وسلم وعن ابن عباس كانت المرأة اذا اتت النبي صلى الله
عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة
بأرض عن ارض وما خرجت الا حبا لله ورسوله ووقف
ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله
ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله فصل في علامة
محبته صلى الله عليه وسلم اعلم ان من احب شيئا آثره وآثر
موافقته والا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق
في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك
عليه واولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع اقواله
وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه والتأدب
بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله

119

قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله و
ايثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته
قال الله تعالى والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم
يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة
مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
واسخاط العباد في رضى الله تعالى حدثنا القاضي ابو علي
الحافظ ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون
قالا ثنا ابو يعلى البغدادي ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن
محبوب ثنا ابو عيسى ثنا مسلم بن حاتم ثنا محمد بن عبد
الله الانصاري عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد بن
المسيب قال قال انس بن مالك قال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس في
قلبك غش لاحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك
من سنتي ومن احيا سنتي فقد احبني كان معي في الجنة فمن
اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن
ومن خالفها في بعض الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج
عن اسمها ودليله قوله صلى الله عليه وسلم للذي حده
في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله
عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامات
محبة النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيئا
اكثر ذكره ومنها كثرة ذكر شوقه الى لقائه فكل حبيب يحب
لقاء حبيبه وفي حديث الاشعريين عند قدومهم الى المدينة
انهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الاحبة محمدا وصحبه وتقدم
قول بلال ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة
خالد بن سعدان ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له و

منه وسنده ما قاله عمار حين قتل

توقيره عند ذكره واظهار الخشوع والانكسار مع سماع
اسمه قال اسحق التجيبي كان اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرت جلودهم و
بكوا وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة
له وشوقاً اليه ومنهم من يفعله تهيباً وتوقيراً ومنها محبة
لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه من
آل بيته وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة من
عاداهم والبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئاً احب
من يحبه قد قال صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين
اللهم اني احبهما فاحبهما وفي رواية في الحسن اللهم اني
احبه فاحب من يحبه وقال من احبهما فقد احبني ومن
احبني فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن
ابغضني فقد ابغض الله وقال الله الله في اصحابي
لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن آذاهم
فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله
يوشك ان يأخذه وقال عليه السلام في فاطمة رضي الله
عنها انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها وقال لعائشة رضي
الله عنها في اسامة بن زيد احبيه فاني احبه وقال آية
الايمان حب الانصار وآية النفاق بغضهم وفي حديث
ابن عمر رضي الله عنه من احب العرب فبحبي احبهم ومن
ابغضهم فببغضي ابغضهم فبالحقيقة من احب شيئاً احب
كل شيء يحبه هذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات
النفس وقد قال انس حين رأى النبي صلى الله عليه و
سلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت احب الدباء
من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن

ابن جعفر الواسطي سألوها ان تصنع لهم طعاماً مما كان
يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس
النعال السبتية ويصبغ بالصفرة اذ رأى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يفعل نحوه ومنها بغض من ابغض الله و
رسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته و
ابتدع في دينه واستثقال كل امر يخالف شريعته قال الله
تعالى لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون
من حاد الله ورسوله وهؤلاء اصحابه صلى الله عليه و
سلم قد قتلوا احباءهم وقاتلوا اباءهم وابناءهم في مرضاته
وقال له عبد الله بن عبد الله بن ابي لو شئت لاتيتك
برأسه يعني اباه ومنها ان يحب القرآن الذي اتى به صلى
الله عليه وسلم وهدى واهتدى وتخلق به حتى قالت عائشة
كان خلقه القرآن وحبه للقرآن تلاوته وتفهمه والعمل
ويحب سنته ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله
علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب القرآن حب
النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله
عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة
بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر منها الا زاداً
وبلغة الى الآخرة وقال ابن مسعود لا يسأل احد عن
نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله
ورسوله ومن علامات حبه للنبي صلى الله عليه وسلم
شفقته على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع
المضار عنهم كما كان صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤفاً
رحيماً ومن علامات تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وايثاره
الفقر واتصافه وقد قال صلى الله عليه وسلم لابي سعيد

الخدري رضي الله عنه ان الفقر الى من يحبني اسرع من السيل
من اعلى الوادي والجبل الى اسفله وفي حديث عبد الله
بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول
الله اني احبك فقال انظر ما تقول قال والله اني احبك
قال انظر ما تقول قال والله اني احبك ثلاث مرات قال
ان كنت تحبني فاعدّ للفقر تجفافا ثم ذكر مثل حديث ابي سعيد
بمعناه فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم
وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله تعالى ومحبة
النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك و
ليست ترجع في الحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف
احوال فقال سفيان ان المحبة اتباع الرسول صلى الله عليه و
سلم كانه التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فا
تبعوني الآية وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته
والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال
بعضهم المحبة دوام ذكر المحبوب وقال آخر ايثار المحبوب و
قال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وقال بعضهم المحبة
مواطأة القلب لمراد الرب فيحب ما احب ويكره ما يكره
وقال آخر المحبة ميل القلب الى موافق له واكثر العبارات
المتقدمة اشارة الى ثمرة المحبة دون حقيقتها وحقيقة
المحبة الميل الى ما يوافق الانسان ويكون موافقته اما
لاستلذاذه بادراكه كحب الصورة الجميلة والاصوات
الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها مما
كل طبع سليم مائل لها لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه
بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كمحبة الصالحين
والعلماء واهل المعارف المأثور عنهم السير الجميلة والافعال

الافعال الحسنة فان طبع الانسان مائل الى الشغف بامثال
هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع في امة آخرين
ما يؤدي الى الجلاء عن الاوطان وهتك الحرم واخترام النفوس
او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه
عليه فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها فاذا تقرر
لك هذا نظرت الى هذه الاسباب كلها في حقه عليه السلام
فعلمت انه عم جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة
اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد
قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة
واما احسانه وانعامه على امته فكذلك قد مر منه في اوصاف
الله تعالى له من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته
عليهم واستنقاذهم به من النار وانه بالمؤمنين رؤوف رحيم
رحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسرا
جا ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة و
يهديهم الى صراط مستقيم فاي احسان اجل قدرا واعظم
خطرا من احسانه الى جميع المؤمنين واي افضال اعم
منفعة واكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين اذ
كان ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم
الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم
والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد
فقد استبان لك انه عليه السلام مستوجب للمحبة الحقيقية
شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار وعادة وجبلة بما ذكرناه
آنفا لافاضته الاحسان وعمومه الاجمال فاذا كان الانسان
يحب من منحه في دنياه مرة او مرتين معروفا او استنقذه
من هلكة او مضرة مدة التأذي بها قليل منقطع فمن منحه

اى صيانة وحماه

بالاجيد من النعيم ووقاه بالابقى من عذاب الجحيم اولى بالحب
واذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما يؤثر من
قوام طريقته او قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم
شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال احق بالحب
واولى بالميل وقد قال علي رضي الله عنه في صفته عليه السلام
من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا عن بعض
الصحابة انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله
عليه وسلم فصل في وجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا
نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم
قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا مخلصين مسلمين
في السر والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد بقراءتي عليه قال
حدثنا حسين بن محمد ثنا يوسف بن عبد الله ثنا ابن عبد
المؤمن ثنا ابن ابي بكر التمار ثنا ابو داود ثنا احمد بن
يونس ثنا زهير ثنا سهيل بن ابي صالح عن عطاء بن يزيد عن
تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا
لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله وائمة المسلمين
وعامتهم قال ائمتنا رحمهم الله النصيحة لله ولرسوله ولائمة
المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام ابو سليمان البستي
النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس
يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة
الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه
وقال ابو بكر بن اسحق الخفاف النصح فعل الشيء الذي
به الصلاح والملاءمة مأخوذ من النصاح وهو الخيط الذي

الذي يخاط به الثوب وقال ابو اسحق الزجاج نحوه فنصيحة
الله صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله و
تنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من مساخطه
والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل
فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه
والتفقه فيه والذب عنه من تأويل الغالين وطعن الملحدين
والنصيحة لرسول الله التصديق بنبوته وبذل الطاعة
له فيما امر به ونهى عنه قاله ابو سليمان وقال ابو بكر ومؤازرته و
نصرته وحمايته حيا وميتا واحياء سنته بالطلب والذب
عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وادابه الجميلة وقال
ابو ابراهيم اسحق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم
التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض
عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله واليها والى العمل
بها وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد
النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر الآجري
وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد
مماته ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعا
داة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس
والاموال دونه كما قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه الآية وقال وينصرون الله ورسوله الآية واما
نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال و
شدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته
ومحبة آل بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته
وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على امته
والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وآدابه والصبر على

ذلك فعلى ما ذكرناه تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة
من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام ابو القاسم القشيري
ان عمرو بن الليث احد ملوك خرسان ومشاهير الثوار المعروف
بالصفار رأى في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي
فقيل له بماذا قال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت
على جنودي فاعجبتني كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك
وغفر لي واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعاونتهم
فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم
على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين وترك
الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح
لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في امر دينهم
ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم
ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب
المنافع اليهم الباب الثالث في تعظيم امره ووجوب توقيره
وبره صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يا ايها النبي انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله
وتعزروه وتوقروه وقال تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ويا ايها الذين امنوا
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الثلاث الايات
وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
فاوجب الله تعالى تعزيره وتوقيره والزم اكرامه وتعظيمه
وقال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد وتعزروه
تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه وقال الطبري
تعينونه وقرئ وتعززوه بزائين من العز ونهى عن

عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب بسبقه
بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب
قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا
قال فانصتوا له واستمعوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء
امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال
او غيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به والى هذا يرجع
قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ثم
وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله
سميع عليم قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم وقال
السلمي اتقوا الله في اهمال حقه وتضييع حرمته انه سميع لقولكم
عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته وعن
الجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل
كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال ابو محمد مكي اي لا تسبقوه
بالكلام ولا تغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء
بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما
يحب ان ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا كقوله تعالى
في الاية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا على احد التاويلين وقال غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين
ثم خوفهم الله بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه
قيل نزلت الاية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي صلى
الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى
بالجهل ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الاية
الاولى في محاورة كانت بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما بين
يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى
ارتفعت اصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن

بثماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني
تميم وكان في اذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه
الآية اقام في منزله وخشي ان يكون حبط عمله ثم اتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت ان اكون هلكت
نهانا الله ان نجهر بالقول وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبي
صلى الله عليه وسلم يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل
شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي ان ابا بكر رضي الله
عنه لما نزلت هذه الآية قال والله يا رسول الله لا اكلمك
بعدها الا كاخي السرار وان عمر كان اذا حدثه حدثه كاخي
السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه
الآية حتى يستفهمه فانزل الله تعالى فيهم ان الذين يغضون
اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت ان الذين ينا
دونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون في
وفد بني تميم نادوه باسمه وروى صفوان بن عسال
قال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي
بصوت له جهوري يا محمد يا محمد فقلنا له اغضض
من صوتك فانك قد نهيت عن رفع الصوت وقال
الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا قال بعض
المفسرين هي لغة كانت في الانصار نهوا عن قولها تعظيما
للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لان معناها ارعنا
نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كانهم لا يرعونه الا
برعايته لهم بل حقه صلى الله عليه وسلم ان يرعى على كل
حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله
عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة

للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظة و
قيل غير هذا فصل في عادة الصحابة في تعظيمه عليه السلام
وتوقيره واجلاله حدثنا القاضي ابو علي الصدفي وابو
بحر الاسدي بسماعي عليهما في آخرين قالوا ثنا احمد بن
عمر ثنا احمد بن الحسين ثنا محمد بن عيسى ثنا ابراهيم بن سفيان
ثنا مسلم ثنا محمد بن المثنى وابو معن الرقاشي واسحق
بن منصور قالوا ثنا الضحاك بن مخلد ثنا حيوة بن شريح
حدثني يزيد بن ابي حبيب عن ابن شماسة المهري قال
حضرنا عمرو بن العاص فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو
قال وما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املأ عيني منه
اجلالا له ولو سئلت ان اصفه ما اطقت لاني لم اكن املأ
عيني منه وروى الترمذي عن انس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار و
هم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم بصره اليه
الا ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان
اليه ويتبسم اليهما وقد روى اسامة بن شريك قال اتيت
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله كانما
على رؤسهم الطير وفي حديث صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه
كانما على رؤسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته
قريش عام القضية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورأى من تعظيم اصحابه له ما رأى وانه لا يتوضأ الا ابتدروا
وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا
ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم و
اجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم

امرهم ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما
يحدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يا معشر
قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي
في ملكه واني والله ما رأيت ملكا قط مثل محمد في اصحابه
وفي رواية اخرى ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم
محمدا اصحابه وقد رأيت قوما لا يسلمونه ابدا وعن انس
لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه
واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد
رجل ومن هذا لما اذنت قريش لعثمان في الطواف
بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم في
القضية ابى وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث طلحة ان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله
عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله
فاعرض عنه اذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وفي حديث قيلة فلما رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء
ارعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي
حديث المغيرة كان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب
لقد كنت اريد ان اسأل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الامر فأؤخره سنين من هيبته فصل واعلم
ان حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره
وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره
عليه السلام وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه و

الفرق بالفتحتين شدة خوف

سيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته
قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن اذا ذكره او ذكر عنده
ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ
من هيبته واجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان
بين يديه ويتأدب بما ادبنا الله به قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح
وائمتنا الماضين رضي الله عنهم حدثنا القاضي ابو عبد
الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري وابو القاسم احمد
بن بقي الحاكم وغير واحد فيما اجازونيه قالوا ثنا ابو
ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث ثنا ابو الحسن بن
علي بن فهر ثنا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج ثنا ابو الحسن
عبد الله بن المنتاب ثنا يعقوب بن اسحق بن ابي اسرائيل
ثنا ابن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا امير المؤمنين
لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل ادب
قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الآية
ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول
الله الآية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء
الحجرات الآية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها
ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك
عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السلام الى الله
عز وجل يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله
تعالى قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤوك
فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا

رحمهما وقال مالك وقد سئل عن ايوب السختياني ما حدثتكم
عن احد الا وايوب افضل منه وقال وحج حجتين فكنت
ارمقه ولا اسمع منه غير انه اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
بكى حتى ارحمه فلما رأيت منه ما رأيت واجلاله النبي صلى الله
عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان مالك
رحمه الله اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني
حتى يصعب على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو
رأيتم ما رأيت لما انكرتم علي ما ترون لقد كنت ارى محمد بن
المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث ابدا
الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد وكان كثير
الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم
اصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه
الا على ثلاث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرأ القرآن
ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين يخشون
الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي
صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه كانه نزف منه الدم
وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولقد كنت اتي عامر بن عبد الله بن الزبير فاذا ذكر
عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع
ولقد رأيت الزهري وكان من اهنأ الناس واقربهم
فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك
ولا عرفته ولقد كنت اتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين
المجتهدين فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا
يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروي عن قتادة

قتادة انه كان اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل ولما كثر
على مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال
قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي الآية وحرمته حيا وميتا سواء وكان ابن
سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله
عليه وسلم خشع وكان عبد الرحمن بن مهدي اذا قرئ
حديث النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالسكوت وقال
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ويتأول انه يجب له
من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله
صلى الله عليه وسلم فصل في سيرة السلف في تعظيم
رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته
حدثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو الفضل بن خيرون
ثنا ابو بكر بن البرقاني وغيره ثنا ابو الحسن الدارقطني
ثنا علي بن مبشر ثنا احمد بن سنان القطان ثنا يزيد
بن هرون ثنا المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن
ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث يوما فجرى
على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه
كرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا
ان شاء الله او فوق ذا او ما دون ذا او قريب من ذا
وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه
وانتفخت اوداجه وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم
الانصاري قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم
وهو يحدث فجازه وقال اني لم اجد موضعا اجلس فيه
فكرهت ان اخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

وانا قائم وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فسأله
عن حديث وهو مضطجع فجلس فحدثه فقال
له الرجل وددت انك لم تتعن فقال اني كرهت ان احدثك
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع وروي
عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكرت عنده
حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب كان
مالك بن انس لا يحدث بحديث رسول الله عليه وسلم وهو على
وضوء اجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال
مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس اذا حدث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ولبس ثيابه ثم
يحدث قال مصعب فسئل عن ذلك فقال انه حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف كان اذا اتى الناس
مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون (الاستفهام مقدر)
الحديث او المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا
الحديث دخل مغتسله فاغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا
ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة (او)
فيخرج ويجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود
حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن ابي اويس فقيل
لمالك في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة متمكنا
قال وكان يكره ان يحدث في الطريق او هو قائم او يستعجل
قال احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم و
قال ضرار بن مرة كانوا يكرهون ان يحدثوا على غير وضوء

(سليمان بن مهران)

وضوء ونحوه عن قتادة وكان الاعمش اذا احب ان
يحدث وهو على غير وضوء تيمم كان قتادة لا يحدث الا
على طهارة ولا يقرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم الا
على وضوء وقال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك و
هو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه
ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه و
سلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له يا
ابا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبا قال نعم لدغتني عقرب
ست عشرة مرة وانا صابر في جميع ذلك انما صبرت لذلك
اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مهدي
مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسألته عن حديث
فانتهرني وقال لي كنت في عيني اجل من ان تسأل حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي وسأله جرير
بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فامر بحبسه فقيل له
انه قاض فقال القاضي احق من أدب وذكر ان هشام بن
الغازي سأل مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين
سوطا ثم اشفق له فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت
لو زادني سياطا ويزيدني حديثا قال عبد الله بن صالح
كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران
وكان قتادة يستحب ان لا يقرأ احاديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة
وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء
تيمم فصل ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر
آله وذريته وامهات المؤمنين ازواجه كما حض عليه السلام
وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم قال الله تعالى انما يريد الله

ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية وقال تعالى وازواجه
امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو محمد بن احمد بن العدل من كتابه وكتبت
من اصله ثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني قال حدثتني ام القاسم
ابنة الشيخ ابي بكر الخفاف قالت حدثني ابي ثنا حاتم هو ابن
عقيل ثنا يحيى هو ابن اسمعيل ثنا يحيى هو ابن الحماني ثنا وكيع
عن ابيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد
بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم
الله في اهل بيتي ثلاثا قلنا لزيد من اهل بيته قال آل علي وآل
جعفر وآل عقيل وآل عباس وقال صلى الله عليه وسلم
اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا ابدا كتاب الله
وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال صلى
الله عليه وسلم معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جوا
جواز على الصراط والولاية لآل محمد امان من العذاب قال
بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله
عليه وسلم واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم
بسببه وعن عمر بن ابي سلمة قال لما نزلت انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت الآية وذلك في بيت ام سلمة دعا
فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم
قال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا وعن سعد بن ابي وقاص قال لما نزلت آية المباهلة
دعى النبي صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة
وقال اللهم هؤلاء اهل بيتي وقال النبي صلى الله عليه و
سلم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من
والاه وعاد من عاداه وقال لعلي لا يحبك الا مؤمن
ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس والذي نفسي

نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ورسوله
ومن اذى عمي فقد اذاني وانما عم الرجل صنو ابيه وقال للعباس
اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءة وقال هذا عمي
وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم
بملاءتي فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين
وكان يأخذ بيد اسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم اني
احبهما فاحبهما وقال ابو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا في اهل
بيته وقال ايضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم احب الي من ان اصل من قرابتي وقال
صلى الله عليه وسلم احب الله من احب حسنا وحسينا
وقال من احبني واحب هذين واشار الى حسن وحسين
واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة وقال صلى الله
عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله وقال قدموا قريشا
ولا تقدموها وقال عم لام سلمة لا تؤذيني في عائشة وعن
عقبة بن الحارث رأيت ابا بكر رضي الله وجعل الحسن
على عنقه وهو يقول بابي شبيه ليس شبيها بعلي وعلي يضحك
وروى عن عبد الله بن حسن بن حسين قال اتيت عمر بن
عبد العزيز في حاجة فقال لي اذا كان لك حاجة فارسل الي
او اكتب فاني استحيي من الله ان اراك على بابي وعن الشعبي
قال صلى زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قربت له بغلته
ليركبها ثم جاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه
يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا امرنا
ان نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا
ان نفعل باهل بيت نبينا ورأى ابن عمر محمد بن اسامة بن
زيد فقال ليت هذا عبدي فقيل له هو محمد بن اسامة

فطأطأ ابن عمر رأسه ونقر بيده الى الارض وقال لو رآه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه وقال الاوزاعي دخلت
بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها تمسك بيدها فقام
فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل يدها بين يديه وما
ترك لها حاجة الا قضاها لها ولما فرض عمر بن الخطاب لابنه
عبد الله في ثلاثة آلاف ولاسامة بن زيد ثلاثة آلاف
وخمسمائة قال عبد الله لابيه لم فضلته علي فوالله ما سبقني
الى مشهد فقال له لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ابيك وكان اسامة احب اليه منك فآثرت
حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية
ان كابس بن ربيعة كان يشبه برسول الله صلى الله
فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل
بين عينيه واقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله
وروي ان مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال
وحمل الى بيته مغشيا عليه دخل عليه الناس فافاق فقال اشهدكم
اني جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك فقال
خفت ان اموت فالقى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيي
منه ان يدخل بعض آله النار بسببي وقيل ان المنصور اقاده
من جعفر فقال له اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن
جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي في
حاجة لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولان اخر من السماء الى الارض احب الي من
ان اقدمه عليهما وقيل لابن العباس ماتت فلانة لبعض ازواج

ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد في هذه
الساعة فقال اليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
رأيتم آية فاسجدوا فاي آية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى
الله عليه وسلم وكان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما يزوران ام ايمن مولاة
النبي صلى الله عليه وسلم ويقولان كان النبي صلى الله عليه و
سلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية على النبي صلى الله عليه و
سلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفدت على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فصنعا بها مثل
ذلك فصل ومن توقيره وبره عليه السلام توقير اصحابه وبرهم
ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم
والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب عن
اخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين
القادحة في احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك فيما
كان بينهم من الفتن احسن التأويلات ويخرج لهم اصوب
المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليه
امر بل يذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك
كما قال اذا ذكر اصحابي فامسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله والذين
معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى آخر السورة وقال تعالى والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار الآية وقال لقد رضي الله عن
المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه الآية حدثنا القاضي ابو علي ثنا ابو
الحسين وابو الفضل قالا ثنا ابو يعلى ثنا ابو علي السنجي ثنا
محمد بن محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسن بن الصباح ثنا سفيان
بن عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش
عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا با

بالذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال اصحابي كالنجوم بايهم
اقتديتم اهتديتم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل اصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به
وقال صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا
بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن
اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله
يوشك ان ياخذه وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي
فلو انفق احدهم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه و
قال من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا
وقال في حديث جابر ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين سوى
النبيين والمرسلين واختار لي منهم اربعة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي
فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير وقال من احب عمر فقد
احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني قال مالك بن انس وغيره من
ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق ونزع باية
الحشر والذين جاؤا من بعدهم الاية وقال من غاظه اصحاب
محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن
المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم وقال ايوب السختياني من احب ابا بكر
فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان
فقد استضاء بنور الله ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى
ومن احسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ
من النفاق ومن انتقص منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف
الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا
ويكون قلبه لهم سليما وفي حديث خالد بن سعيد ان النبي صلى

صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا
له ذلك ايها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان و
عن طلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابي عبيدة
بن الجراح فاعرفوا لهم ذلك يا ايها الناس ان الله قد غفر
لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري
واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في
القيمة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران اين عمر بن عبد العزيز
من معاوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم احد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه
على وحي الله واتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل
فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله وقال
عليه السلام في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم و
قال احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من حفظني فيهم
حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه (اعرض الله عنه)
ومن تخلى الله منه يوشك ان ياخذه وعنه عليه السلام من حفظني
في اصحابي كنت له حافظا يوم القيمة وقال من حفظني في اصحابي
ورد على الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد على الحوض ولم يرني
الا من بعيد وقال مالك رحمه الله هذا النبي صلى الله عليه و
سلم مؤدب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين
يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع (جنة البقيع)
لهم وبذلك امره الله وامر النبي بحبهم وموالاتهم ومعاداة من
عاداهم وروي عن كعب ليس احد من اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم الا له شفاعة يوم القيمة وطلب من المغيرة بن
نوفل ان يشفع له يوم القيمة قال سهل بن عبد الله التستري
لم يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم من لم يوقر اصحابه ولم

يعز او أمره فضل ومن اعظامه واكباره اعظام جميع اسبابه
واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه
صلى الله عليه وسلم او عرف به وروي عن صفية بنت
نجدة قالت كان لابي محذورة قصة في مقدم رأسه اذا
قعد وارسلها اصابت الارض فقيل له الا تحلقها فقال لم
اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيده وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من
شعره عليه السلام فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها
شدة حتى انكر عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما
تضمنته من شعره صلى الله عليه وسلم لئلا اسلب بركتها
وتقع في ايدي المشركين وروئي ابن عمر واضعا يده على
مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على
وجهه من غير الرواية ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب
دابة وكان يقول استحيي من الله ان اطأ تربة فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وروي عنه انه وهب
للشافعي كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي امسك منها
دابة فاجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي
عن احمد بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة انه قال
ما مسست القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان النبي
صلى الله عليه وسلم اخذ القوس بيده وقد افتى مالك فيمن
قال تربة المدينة ردية يضرب ثلاثين درة وامر بحبسه وكان
له قدر وقال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها النبي
صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة وفي الصحيح انه قال
في المدينة من احدث فيها حدثا او اوى محدثا فعليه لعنة

فرض

الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا
ولا عدلا وحكي ان جهجاه الغفاري اخذ قضيب النبي
صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله
ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته الاكلة في ركبته
فقطعها ومات قبل الحول وقال عم من حلف على منبري
كاذبا فليتبوأ مقعده من النار وحدثت ان ابا الفضل
الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل و
مشى باكيا منشدا ولما راينا رسم من لم يدع لنا فؤادا
لعرفان الرسوم ولا لبا ونزلنا عن الاكوار نمشي كرامة
لمن بان عنه ان نلم به ركبا وحكي عن بعض المريدين انه
اشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم انشأ يقول
متمثلا رفع الحجاب لنا فلاح لناظر قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا فظهورهن على الرحال حرام قربننا
من خير من وطئ الثرى فلها علينا حرمة وذمام وحكي عن
بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد
الآبق يأتي الى باب مولاه راكبا لو قدرت ان امشي
على راسي ما مشيت على قدمي قال القاضي ابو الفضل رحمه
الله وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل
وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها
بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد رسول
سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر
مدارس آيات الله ومساجده وصلوات ومشاهد
الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك
الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ
خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها و

مأخذ

القضيب عصا النبي صلى الله عليه وسلم

مواطن طويت فيها مهبط الرسالة واول ارض مس جلد
المصطفى ترابها ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل
ربوعها وجدرانها وانشد يا دار خير المرسلين ومن به هدي
الانام وخص بالايات عندي لاجلك لوعة وصبابة وتشوق
متوقد الجمرات وعلي عهد ان ملأت محاجري من تلكم الجدرات
والعرصات لاعفرن مصون شيبي بينها من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والاعادي زرتها ابدا ولو سحبا
على الوجنات لكن سأهدي من حفيل تحيتي لقطين تلك الدار والحجرات
ازكى من المسك المفتق نفحة تغشاه بالاصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات ونوامي التسليم والبركات. الباب

الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته
قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية قال
ابن عباس معناه ان الله وملائكته يباركون على النبي وقيل ان
الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له قال المبرد واصل الصلوة
الترحم فهي من الله رحمة رقة واستدعا للرحمة من الله وقد ورد
في الحديث صفة صلوة الملائكة على من جلس ينتظر الصلوة
اللهم اغفر له اللهم فهذا دعا وقال ابو بكر القشيري الصلوة
من الله لمن دون النبي رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم
تشريف وزيادة تكرمة وقال ابو العالية صلوة الله ثناؤه
عليه عند الملائكة وصلوة الملائكة الدعا قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في
حديث تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة ولفظ البركة
فدل انهما بمعنيين واما التسليم الذي امر الله به تعالى عباده فقال
ابو بكر بن بكير نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم
فامر الله اصحابه ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عنده

عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي صلى الله
عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام عليه
ثلاثة وجوه احدها السلامة لك ومعك ويكون السلام مصدرا
كاللذاذ واللذاذة الثاني اي السلام على حفظك ورعايتك متول
له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله تعالى الثالث ان السلام
بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما فصل اعلم ان الصلوة على النبي صلى الله
عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لامر الله تعالى
بالصلوة عليه وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب واجمعوا
عليه وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الاية عنده على الندب وادعى
فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه يسقط به الحرج
وماثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا
ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعائر
اهله قال القاضي ابو الحسن القصار المشهور عن اصحابنا ان
ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه ان يأتي بها
مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي ابو بكر بن بكير
افترض الله تعالى على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا
تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر
المرء منها ولا يغفل عنها وقال القاضي ابو محمد بن نصر الصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة قال القاضي ابو
عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل
العلم ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة
بعقد الايمان لا تتعين في الصلوة وان من صلى عليه مرة
واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب الشافعي

غير محدود نسخ

الفرض منها الذي امر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم هو
في الصلوة وقالوا اما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما
في الصلوة فحكى الامامان ابو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما
اجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الائمة على ان
الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة
وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى الله
عليه وسلم من بعد التشهد الاخير قبل السلام فصلوته
فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم تجزئه ولا سلف له في
هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسئلة عليه
لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم
الطبري والقشيري وغير واحد وقال ابو بكر بن المنذر
يستحب ان لا يصلي احد صلوة الا صلى فيها على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فان ترك ذلك فصلاته مجزئة في
مذهب مالك واهل المدينة وسفيان الثوري واهل الكوفة
من اصحاب الرأي وغيرهم وهو قول جل اهل العلم وحكى عن
مالك وسفيان انها في التشهد الاخير مستحبة وان تاركها
في التشهد مسيء وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلوة
الاعادة واوجب اسحق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان
وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن محمد بن المواز ان الصلوة على النبي صلى الله
عليه وسلم فريضة قال ابو محمد يريد ليست من فرائض الصلوة
وقال محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب
ان محمد بن المواز يراها فريضة في الصلوة كقول الشافعي
رحمه الله وحكى ابو يعلى العبدي المالكي عن المذهب فيها ثلاثة
اقوال في الصلوة الوجوب والسنة والندب وقد خالف
الخطابي من اصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسئلة فقال

قال الخطابي ليست بواجبة في الصلوة وهو قول جماعة
الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على
انها ليست من فروض الصلوة عمل السلف الصالح قبل
الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه هذه المسئلة
جدا وهذا التشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي
علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلوة على النبي صلى
الله عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى
الله عليه وسلم كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي
سعيد الخدري وابي موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير لم
يذكروا فيه صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال
ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا
التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن ابي سعيد
الخدري وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما
يعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه ايضا عمر بن الخطاب في
الحديث لا صلوة لمن لم يصل علي قال ابن القصار معناه
كاملة او لمن لم يصل علي مرة في عمره وضعف اهل الحديث
كلهم وفي حديث ابي جعفر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله
عليه وسلم من صلى صلوة لم يصل فيها علي ولا على اهل بيتي لم
تقبل منه وقد روي موقوفا من قبل ابن مسعود وقال
الدارقطني الصواب انه قول ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين
لو صليت صلوة لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم
ولا على اهل بيته لرأيت انها لا تتم فصل في المواطن التي تستحب
فيها الصلوة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب
من ذلك تشهد الصلوة كما قدمناه وذلك بعد
التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضي ابو علي رحمه الله بقراءتي

عليه قال ثنا الامام ابو القاسم البلجي قال ثنا الفاسي عن ابي
القاسم الخزاعي عن ابي سعيد بن كليب عن الهيثم ثنا عن ابي عيسى
الحافظ ثنا محمود بن غيلان ثنا عبد الله بن يزيد المقري ثنا
حيوة بن شريح حدثني ابو هاني الخولاني ان عمرو بن مالك
الجنبي اخبره انه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي صلى
الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلوته فلم يصل على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال عم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى
احدكم فليبدأ بتحميد الله والثنا عليه ثم ليصل على النبي صلى الله
عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شا ويروى من غير هذا السند بتحميد الله
وهو الاصح وعن عمر بن الخطاب رضي الله قال الدعا والصلوة
معلق بين السما والارض ولا يصعد الى الله تعالى منه شي حتى
يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه مثل هذا عن عايشة رضي الله
عنها وقال وعلى آل محمد وروي ان الدعا محجوب حتى يصلي
الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود اذا اراد
احدكم ان يسئل الله شيئا فليبدأ بمدحه والثنا عليه بما هو اهله ثم
يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليسئل فانه اجدر ان
ينجح وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع
متاعه فان احتاج الى شراب شربه او الوضوء توضأ والا اهرقه
ولكن اجعلوني في اول الدعا واوسطه وآخره وقال ابن عطا
للدعا اركان واجنحة واسباب واوقات فان وافق اركانه
قوي وان وافق اجنحته طار في السما وان وافق مواقيته فاز
وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة
والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الاسباب واجنحته

اجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلوة على محمد
صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعا بين الصلوتين على
لا يرد وفي حديث آخر كل دعا محجوب دون السما فاذا جاءت
الصلوة على صعد الدعا وفي دعا ابن عباس الذي رواه عنه
حنش فقال في آخره واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلوة على النبي
صلى الله عليه وسلم فتقول اللهم اني اسئلك ان تصلي على محمد
عبدك ونبيك ورسولك افضل ما صليت على احد من خلقك
اجمعين آمين ومن مواطن الصلوة عليه عند ذكره وسماع اسمه
او كتابة او عند الاذان وقد قال صلى الله عليه وسلم رغم انف
رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ذكره ابن حبيب وكره النبي صلى الله
عليه وسلم عند الذبح وكره ابن سحنون الصلوة عليه عند التعجب
وقال ايضا لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب
قال اصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة
والعطاس فلا يقال فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال
بعد ذكر الله صلى الله عليه وسلم ولو قال بعد ذكر الله صلى الله
على محمد لم تكن تسمية له مع الله وقاله اشهب قال ولا ينبغي ان تجعل
الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروي
عن اوس بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الاكثار
من الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة ومن
مواطن الصلوة والسلام عليه دخول المسجد قال ابو اسحق
بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى
الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى
آله ويسلم عليه تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب
رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك
فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا

فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت احد فقل السلام
على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته قال ابن عباس المراد
بالبيوت هنا المساجد وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد
فقل السلام على رسول الله واذا لم يكن في البيت احد فقل
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة اذا دخلت
المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل المسجد
واذا خرج ولم يذكر الصلوة واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي بكر
عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث آخر
القسم والاختلاف في الفاظه ومن مواطن الصلوة عليه
ايضا الصلوة على الجنائز وذكر عن ابي امامة من انها من
السنة ومن مواطن الصلوة التي مضى عليه عمل الامة و
لم تنكرها الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله في
الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر
الاول واحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في
اقطار الارض ومنهم من يختم به ايضا الكتب وقال صلى الله
عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له
ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام على النبي صلى الله
عليه وسلم تشهد الصلوة حدثنا ابو القاسم خلف بن
ابراهيم المقري الخطيب رحمه الله وغيره قالوا حدثتني كريمة
بنت احمد قالت ثنا ابو الهيثم ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن
اسماعيل ثنا ابو نعيم ثنا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد

امام بخاری

١٣٥

عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا
صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات — صلوة
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل
عبد صالح في السماء والارض هذا احد مواطن التسليم عليه — والملائكة
بسنته اول التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان
يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم واستحب مالك
في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام قال محمد بن مسلمة
اراد ما جاء عن عائشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب اهل
العلم ان ينوي الانسان عند سلامه كل عبد صالح في السماء
والارض من الملائكة وبني آدم والجن فقال مالك في المجموعة
واحب للمأموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبي
ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليكم فصل في كيفية الصلوة على النبي صلى الله
عليه وسلم والتسليم حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه
بقراءتي عليه ثنا القاضي ابو الاصبغ ثنا ابو عبد الله بن عتاب
ثنا ابو بكر بن واقد وغيره ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا
يحيى ثنا مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن
سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي انهم قالوا
يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على
محمد وازواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم وبارك على
محمد وازواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد
مجيد وفي رواية مالك عن ابي مسعود الانصاري قال

قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل ابراهيم وبارك
على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين انك حميد
مجيد والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة اللهم صل
على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما
باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن عقبة ابن عمرو وفي حديثه
اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري
اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه وحدثنا
القاضي ابو عبد الله التميمي سماعا وابو علي الحسن بن طريف
النحوي بقراءتي عليه قالا ثنا ابو عبد الله بن سعدون الفقيه
قال ثنا ابو بكر المطوعي قال ثنا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن
ابي دارم الحافظ عن علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن
عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين
عن ابيه علي عن ابيه علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال عدهن
في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن في يدي
جبريل وقال هكذا نزلت من عند رب العزة اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد
مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى
آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد و
على آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم
وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
انك حميد مجيد وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل
البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات المؤمنين
وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وفي

رواية زيد بن خارجة الانصاري سألت النبي صلى الله
عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا علي واجتهدوا
في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت
على ابراهيم انك حميد مجيد وعن سلامة الكندي قال كان
علي يعلمنا الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
داحي المدحوات وباري المسموكات اجعل شرائف
صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك
ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن
الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك
بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا
لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس آلاء الله
تصل باهله اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات
الفتن والاثم وابهج موضحات الاعلام ونائرات
الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المامون وخازن
علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة و
رسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه
مضاعفات الخير من فضلك مهنئات له غير مكدرات
من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم
اعل على بناء الناس بناءه واكرم مثواه لديك ونزله و
اتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة
ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان
عظيم وعنه ايضا في الصلوة على النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية لبيك
اللهم ربي وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة
المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين

وما سنح لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله
خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب
العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير
وعليه السلام وعن عبد الله بن مسعود اللهم اجعل صلوة
صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام
المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير و
رسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون
والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على
ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد وكان حسن البصري يقول
من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى
فليقل اللهم صل على محمد وعلى اله وعلى اصحابه واولاده وازواجه
وذريته واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه ومحبيه
وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن طاوس
عن ابن عباس انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى
وارفع درجته العليا وآته سؤله في الاخرة والاولى مسولي
كما آتيت ابراهيم وموسى وعن وهيب بن الورد انه كان
يقول في دعائه اللهم اعط محمدا افضل ما سألك لنفسه و
اعط محمدا افضل ما سألك له احد من خلقك واعط محمدا افضل
ما انت مسؤول له الى يوم القيمة وعن ابن مسعود رضي الله عنه
انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا
الصلوة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا
اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام
المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد
الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون
والاخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على

١٣٧

على آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى
آل محمد كما باركت على ال ابراهيم انك حميد مجيد وما يؤثر
في الصلوة وتكثير الثنا على اهل البيت وغيرهم كثير وقوله
والسلام كما قد علمتم في التشهد من قوله السلام عليك هو ما علم في التشهد
ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين وفي تشهد علي رضي الله عنه السلام
على نبي الله السلام على انبياء الله ورسله السلام على رسول
الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين
والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد اللهم غفر لمحمد وتقبل
شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا
وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته جاء في هذا الحديث عن
علي الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم بالغفران وفي حديث
الصلوة عليه ايضا قبل الدعاء له بالرحمة ولم يأت في غيره
من الاحاديث المرفوعة المعروفة وقد ذهب ابو عمر بن
عبد البر وغيره الى انه لا يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة
وانما يدعى له بالصلوة والبركة التي تختص له ويدعى لغيره
بالرحمة والمغفرة وقد ذكر ابو محمد بن ابي زيد في الصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما رحمت
على ابراهيم وال ابراهيم ولم يأت بذلك في حديث صحيح وحجته
قوله عليه السلام في السلام السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته فصل في فضيلة الصلوة على النبي صلى الله
عليه وسلم والتسليم عليه والدعاء له حدثنا احمد بن محمد الشيخ
الصالح من كتابه ثنا القاضي يونس بن مغيث ثنا
ابو بكر بن معاوية ثنا النسائي ثنا سويد بن نصر انا عبد الله

عن حيوة بن شريح قال اخبرني كعب بن علقمة انه سمع عبد
الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن
فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي مرة
صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في
الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو
فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وروى انس بن
مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي
صلاة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات
ورفع له عشر درجات وفي رواية كتب له عشر حسنات
وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام ناداني
فقال من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه
عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه صلى الله
عليه وسلم لقيت جبريل فقال لي ابشر ان الله يقول من سلم
عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه
من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان وعبيد الله
بن ابي طلحة وعن زيد بن الحباب سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب
عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود رضي
الله عنه اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم علي صلوة وعن
ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم من صلى علي
في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب
وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
من صلى علي صلوة صلت عليه الملائكة ما صلى علي
فليقلل من ذلك عبد او ليكثر وعن ابي بن كعب كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام
فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها
الرادفة جاء الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله
اني اكثر الصلوة عليك فكم اجعل لك من صلوتي قال
ما شئت قال الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير قال
الثلث قال ما شئت فان زدت فهو خير لك قال الثلثين
قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله فاجعل
صلوتي كلها لك قال اذا تكفى ويغفر ذنبك وعن ابي طلحة
دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت من بشره
وطلاقته ما لم اره قط فسألته فقال وما يمنعني وقد خرج
جبريل انفا فاتاني ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني
اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك
الا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا وعن جابر بن عبد الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع
النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة
القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة
وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة
يوم القيمة وعن سعد بن ابي وقاص من قال حين يسمع
المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد صلى
الله عليه وسلم رسولا وبالاسلام دينا غفر له وروى ابن
وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا
فكانما اعتق رقبة وفي بعض الاثار ليردن علي اقوام ما اعرفهم
الا بكثرة صلوتهم علي وفي اخر ان انجاكم يوم القيمة
من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلوة وعن ابي

بكر الصديق رضي الله عنه الصلوة على النبي صلى الله
عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه
افضل من عتق الرقاب فصل في ذم من لم يصل على النبي
صلى الله عليه وسلم واثمه حدثنا القاضي ابو علي رحمه الله
ثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا ثنا
ابو يعلى ثنا السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى ثنا
احمد بن ابراهيم الدورقي ثنا ربعي بن ابراهيم عن عبد الرحمن
بن اسحق عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده
فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل ان
يغفر له ورغم انف رجل ادرك ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة قال
عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفي حديث اخر ان النبي صلى
الله عليه وسلم صعد المنبر فقال امين ثم صعد فقال امين ثم
صعد فقال امين فسأله معاذ عن ذلك فقال ان جبريل عليه السلام
اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات
فدخل النار فابعده الله قل امين فقلت امين وقال ومن
ادرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك
ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال البخيل كل البخيل
الذي ذكرت عنده فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد عن ابيه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده
فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ذكرت فاخطئ في طريق الجنة وعن
علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي

١٣٩

علي وعن ابي هريرة قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ايما
قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا اسم الله ويصلوا
على النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة ان شاء
عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابي هريرة من نسي الصلوة
علي نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه صلى الله عليه وسلم
من الجفاء ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر عنه
صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا عنه عن
غير صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن انتن
من ريح الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله
عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من
الثواب وحكى ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم قال اذا
صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس
اجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس فصل في تخصيصه عليه السلام
بتبليغ صلاة من صلى عليه او سلم من الانام حدثنا القاضي
ابو عبد الله التميمي ثنا الحسين بن محمد ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابن
عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا ابن داود ثنا ابن عوف ثنا
المقرئ ثنا حيوة عن ابن صخر عن حميد بن زياد عن يزيد بن
عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد
الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن ابي شيبة
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا
بلغته وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان لله ملائكة سياحين
في الارض يبلغوني عن امتي السلام فاردوا عليهم و

ابن مسعود الخ

نحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر رضي الله عنهما اكثروا من السلام
على نبيكم كل جمعة فانه يؤتى به منكم كل جمعة وفي رواية فان
احدا لا يصلي علي الا عرضت صلوته علي حين يفرغ
منها وعن الحسن عنه عليه السلام حيثما كنتم فصلوا علي فان
صلوتكم تبلغني وعن ابن عباس ليس احد من امة محمد
يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم ان العبد اذا
صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن
بن علي اذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه
وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا
بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم
فان صلوتكم تبلغني حيث كنتم وفي حديث اوس اكثروا
علي من الصلوة يوم الجمعة فان صلوتكم معروضة
علي وعن سليمان بن سحيم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم
في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون
عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا علي من الصلوة
في الليلة الزهراء واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم وان
الارض لا تأكل اجساد الانبياء وما من مسلم يصلي علي الا حملها
ملك حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا
يقول كذا وكذا فصل في الاختلاف في الصلوة على
غير النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام
قال الفقيه القاضي ابو الفضل رحمه الله عامة اهل العلم متفقون
على جواز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي
عن ابن عباس رضي الله عنهما لا تجوز الصلوة على غير النبي صلى
الله عليه وسلم وروي عنه لا تنبغي الصلوة على احد الا النبيين

النبيين وقال سفيان يكره ان يصلى الا على نبي ووجدت
بخط بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد من
الانبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم وهذا غير معروف من مذهبه
وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى بن اسحق اكره الصلوة على غير الانبياء
ولا ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به وقال يحيى بن يحيى لست آخذ
بقوله ولا بأس بالصلوة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج
بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله عليه و
سلم الصلوة عليه وفيه وعلى ازواجه وعلى آله وقد وجدت
معلقا عن ابي عمران الفارسي وروي عن ابن عباس كراهة
الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم قال وبه نقول لم
يكن يستعمل فيما مضى وقد روى عبد الرزاق عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على انبياء الله ورسله
فان الله بعثهم كما بعثني قالوا والاسانيد عن ابن عباس لينة
والصلوة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الا
الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال تعالى هو الذي
يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور الآية وقال
خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم وصل عليهم الآية
وقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال النبي صلى
الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم
بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان وفي حديث الصلوة اللهم
صل على محمد وعلى ازواجه وذريته وفي آخر وعلى آل محمد قيل
اتباعه وقيل امته وقيل آل بيته وقيل الاتباع هم الرهط
والرهط العشيرة وقيل آل الرجل ولده وقيل اهله الذين
حرم عليهم الصدقة وقيل قومه وفي رواية انس سئل النبي
صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال كل تقي ويجيء على مذهب

اي يجوز

ان صلوتك سكن لهم

الرهط
قبيلة عشيرة قبيلة قريب

الحسن ان المراد بآل محمد محمد نفسه فانه كان يقول في صلا
صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك
وبركاتك على آل محمد يريد به نفسه لانه كان لا يخل بالفرض و
يأتي بالنفل لان الفرض الذي امر الله به هو الصلوة على
محمد نفسه وهذا مثل قوله عليه السلام لقد اوتي مزمارا من مزا
مير آل داود يريد من مزامير داود وفي حديث ابي حميد الساعدي
في الصلوة اللهم صل على آل محمد وازواجه وذريته
وفي حديث ابن عمر انه كان يصلي على النبي صلى الله
عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك في الموطأ من رواية
يحيى بن يحيى الاندلسي والصحيح من رواية غيره ويدعو لابي
بكر وعمر وروى ابن وهب بن مالك كنا ندعو لاصحابنا
بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم
ابرار الذين يقومون بالليل ويصومون بالنهار قال الفقيه
القاضي ابو الفضل رحمه الله والذي ذهب اليه المحققون
واميل اليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله وروي عن
ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين انه
لا يصلى على غير الانبياء عند ذكرهم بل هو شيء يختص به
الانبياء توقيرا لهم وتعزيزا كما يخص الله تعالى عند ذكره
بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك
يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء
بالصلوة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما امر الله به بقوله
صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الائمة وغيرهم
بالغفران والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان وقال تعالى والذين اتبعوهم باحسان
رضي الله عنهم ورضوا عنه وايضا فهو امر لم يكن معروفا في الصدر

الصدر الاول كما قال ابو عمران وانما احدثته الرافضة والشيعة
في بعض الائمة فشاركوهم في الذكر لهم بالصلوة وساووهم
بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وايضا فان التشبه باهل
البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر
الصلوة على الآل والازواج مع النبي صلى الله عليه وسلم
بحكم التبع والاضافة اليه لا على التخصيص قالوا وصلاة النبي صلى
الله عليه وسلم على من صلى عليه تجري مجرى الدعاء والمواجهة ليس
فيها معنى التعظيم والتوقير وقد قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك يجب ان يكون الدعاء له
مخالفا لدعاء الناس بعضهم بعضا وهو اختيار الامام ابي المظفر
الاسفرائني من شيوخنا والحافظ ابي عمر بن عبد البر فصل في حكم
زيارة قبره صلى الله عليه وسلم وفضيلة من زاره وسلم عليه
من المسلمين وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره صلى الله عليه
وسلم سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها
روي عن ابن عمر رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار
قبري وجبت له شفاعتي حدثنا القاضي ابو علي قال ثنا ابو الفضل
بن خيرون ثنا الحسين بن جعفر ثنا ابو الحسن علي بن عمر الدار
قطني ثنا القاضي المحاملي ثنا محمد بن عبد الرزاق ثنا موسى بن هلال
عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر وقد ذكره الى هنا الليث
في اكثر النسخ وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له
شفيعا يوم القيمة وفي حديث آخر من زارني بعد موتي فكانما
زارني في حياتي وكره مالك رحمه الله ان يقال زرنا قبر النبي صلى
الله عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما جاء كنت
نهيتكم لما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله زوارات القبور

لا يخل

مزمارا / مزامير

داود

وروى ابن وهب عن انس ابن مالك كان يقول

وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا
هجرا وقوله من زار قبري فاطلق اسم الزيارة وقيل ان ذلك لما قيل
ان للزائر فضلا على المزور وهذا ليس بشيء اذ ليس كل زائر بهذه
الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث اهل الجنة لزيارتهم ربهم
عز وجل ولم يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى وقال ابو عمران وانما
كره مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى الله
عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض وكره
تسوية النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ
واحب ان يخص بان يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم وايضا
فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد الرحال الى
قبره صلى الله عليه وسلم يريد بالوجوب هنا وجوب ندب
وترغيب وتأكيد والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك له لاضافته
الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد
بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد
فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك
قطعا للذريعة وحسما للباب والله اعلم قال اسحق بن ابراهيم
ومما لم يزل من شان من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلوة
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته
ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود
الذي كان يستند اليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه ومن
عمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار بذلك
كله وقال ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول
بلغنا ان من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلى
هذه الآية ان الله وملائكته يصلون على النبي ثم قال صلى الله
عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله

عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن ابي
سعيد المهري قال قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال
لي اليك حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله
عليه وسلم فاقرأه مني السلام قال غيره وكان يبرد اليه البريد من
الشام قال بعضهم رأيت انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله
عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة
فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف قال مالك في رواية
ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف
ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده
وقال في المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله
عليه وسلم ويدعو ولكن يسلم ويمضي قال ابن ابي مليكة من احب
ان يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي
في القبلة عند القبر على رأسه وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر
رأيته مائة مرة او اكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على النبي
السلام على ابي بكر السلام على ابي حفص ثم ينصرف ورؤي ابن عمر واضعا
يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على
وجهه وعن ابن قسيط والعتبي كان اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم اذا خلا المسجد جسوا رمانة المنبر التي تلي القبر
بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون وفي الموطأ من رواية
يحيى بن يحيى الليثي انه يقف عند قبر النبي صلى الله عليه
فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر وعند
مالك في رواية ابن وهب يقول السلام عليك ايها النبي و
رحمة الله وبركاته وقال في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر رضي
الله عنهما قال القاضي ابو الوليد الباجي رحمه الله وعندي
انه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلوة ولابي

بكر وعمر كما في حديث ابن عمر من الخلاف قال ابن حبيب ويقول
اذا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله و
سلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام علينا من ربنا
وصلى الله على محمد وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي
ابواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم
اقصد الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين
قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيهما وتسأله تمام ما خرجت
اليه والعون اليه وان كانت ركعتاك في غير الروضة اجزأ
اجزأتاك وفي الروضة افضل وقد قال صلى الله عليه وسلم
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة
من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي
عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعو لهما واكثر
من الصلوة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل و
النهار ولا تدع ان تأتي مسجد قبا وقبور الشهداء قال
مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم اذا
دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد واذا خرج
جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا و
روى ابن وهب عن فاطمة رضي الله عنها بنت النبي صلى الله
عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد
فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي
وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرجت فصل على النبي صلى الله
عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك
وفي رواية اخرى فليسلم مكان فليصل وفي رواية اخرى فليسلم
مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم اني اسئلك من فضلك
وفي اخرى اللهم احفظني من الشيطان الرجيم وعن محمد بن سيرين

سيرين كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله
وملائكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون
اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة رضي الله عنها ايضا كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم صل على محمد و
سلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله
وسمى وصلى الله على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر مثله
وفي رواية بسم الله والصلوة والسلام على رسول الله و
عن غيرها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال
اللهم افتح لي ابواب رحمتك ويسر لي ابواب رزقك وعن ابي
هريرة اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله
عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي ابواب رحمتك وقال مالك في
المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج من اهل المدينة
الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء وقال فيه ايضا لا بأس
لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي صلى الله
عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر قيل له فان ناسا
من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون
ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او في الايام
المرة او المرتين او اكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة
فقال لم يبلغني هذا عن واحد من اهل الفقه ببلدنا وتركه
واسع ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن
اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا
لمن جاء من سفر او اراده وقال ابن القاسم ورأيت اهل المدينة
اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا قال وذلك رأيي
قال الباجي ففرق بين اهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا

لذلك واهل المدينة مقيمون فيها ولم يقصد ولا من اجل
القبر والتسليم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم لا تجعل
قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور
انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب احمد
بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه
ولا يقف عنده طويلا وفي العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام
في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واحب مواضع التنفل
فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق واما
في الفريضة فالتقدم الى الصفوف والتنفل فيه للغرباء احب
الي من التنفل في البيوت فصل في ما يلزم من دخل مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما ذكرناه
وفضله وفضل الصلوة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره
ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد اسس
على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه وروي ان النبي
صلى الله عليه وسلم سئل اي مسجد هو قال مسجدي هذا
وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن
انس وغيرهم رضي الله عنهم وعن ابن عباس انه مسجد قباء
حدثنا هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه قال ثنا الحسين بن
محمد الحافظ قال ثنا ابو عمر النمري ثنا ابو محمد بن عبد المؤمن
ثنا ابو بكر بن داسة ثنا ابو داود ثنا مسدد ثنا سفيان عن
الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد
مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد تقدمت
الآثار في الصلوة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم
عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان

ابن المسيب من التابعين رحمهم الله

ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ
بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان
الرجيم وقال مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه
صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت فقال رجل
من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين لادبتك ان
مسجدنا هذا لا يرفع فيه الاصوات قال محمد بن مسلمة لا ينبغي
لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الاذى
وان ينزه عما يكره قال القاضي ابو الفضل رحمه الله حكى ذلك كله
القاضي اسماعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صلى الله
عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون ان حكم سائر المساجد هذا
الحكم قال القاضي اسمعيل قال محمد يعني ابن مسلمة ويكره في مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم
صلوتهم وليس مما يختص به المساجد رفع الصوت بالتلبية
في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجدنا وقال ابو هريرة
عنه عليه السلام صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة
فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة
بين مكة والمدينة فذهب مالك في رواية اشهب عنه وقاله
ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث ان
الصلوة في مسجد الرسول افضل من الصلوة في سائر
المساجد بالف صلوة الا المسجد الحرام فان الصلوة
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من الصلوة
فيه بدون الالف واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه صلوة في المسجد الحرام خير من مائة صلوة فيما سواه
فتأتي فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بتسعمائة

ويكره رفع الصوت

وعلى غيره بالمف وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما
قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب و مالك واكثر المدنيين و
ذهب اهل مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من
اصحاب مالك وحكاه الساجي عن الشافعي وحملوا الاستثناء
في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلوة في المسجد الحرام
افضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله
عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة وفيه صلاة في المسجد الحرام
افضل من الصلوة في مسجدي هذا بمائة صلوة وروي
قتادة مثله فيأتي فضل الصلوة في المسجد الحرام على
الصلوة في سائر المساجد بمائة الف ولا خلاف ان
موضع قبره افضل بقاع الارض قال القاضي ابو الوليد
الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مسجد مكة لسائر
المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي
الى ان هذا التفضيل انما هو في صلوة الفرض وذهب مطرف
من اصحابنا الى ان ذلك في النافلة ايضا قال وجمعة خير
من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق
في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال ع م
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن ابي
هريرة وابي سعيد وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث آخر
منبري على ترعة من ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان
احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه
روي ما يبينه ما بين حجرتي ومنبري والثاني ان البيت هنا القبر
وهو قول زيد بن اسلم في هذا الحديث كما روي ما بين قبري
ومنبري قال الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني
الروايات ولم يكن بينهما خلاف لان قبره في حجرته وهو في

في بيته وقوله وحوضي ومنبري على حوضي قيل يحتمل انه
منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو اظهر والثاني ان يكون له
هناك منبر والثالث ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة
الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجي
وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما انه
موجب لذلك وان الدعاء والصلوة فيه يستحق ذلك
من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثاني
ان تلك البقعة ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها قاله
الداودي وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لأوائها
وشدتها احد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيمة
وقال ع م فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا
يعلمون وقال انما المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها
وقال لا يخرج احد من المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا
منه وروي عنه عليه الصلوة والسلام من مات في احد
الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله يوم القيمة لا حساب عليه
ولا عذاب وفي طريق آخر بعث من الآمنين يوم القيمة
وعن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم من استطاع ان يموت
بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها وقال تعالى
ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا الى قوله
آمنا من النار وقيل كان يأمن من الطلب من احدث حدثا
ولجأ اليه في الجاهلية وهذا مثل قوله تعالى واذ جعلنا
البيت مثابة للناس وامنا على قول بعضهم وحكي ان قوما
اتوا سعدون الخولاني بالمنستير فاعلموه ان كتامة قتلوا
رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه شيئا وبقي

كتابة اسم قبيلة

مثابة مكانا

المنستير بلدة في سواحل البحر

ابيض البدن فقال العلوج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت محمدا
ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية داين ربه فيناديه
ملك من عند الله من كان داين عند الله فليقم ومن حج ثلاث
حجج حرم الله شعره وبشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك ما اعظمك واعظم حرمتك و
في الحديث عنه عليه السلام ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود
الا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه عليه السلام من
صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
وحشر يوم القيمة من الآمنين قال الفقيه القاضي ابو الفضل
قرأت على القاضي الحافظ ابي علي رحمه الله قلت حدثكم ابو
العباس العذري قال ثنا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروي
ثنا الحسن بن رشيق سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن ابن رشاد
سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدي قال سمعت ابن
عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما دعى احد بشيء في هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس وانا فما
دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لي وقال عمرو بن دينار وانا
فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن
عباس الا استجيب لي وقال سفيان وانا فما دعوت الله بشيء
في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو بن دينار الا استجيب لي
وقال الحميدي وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من سفيان الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس وانا
فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من
الحميدي الا استجيب لي وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس

١٢٦

ادريس الا استجيب لي قال ابو اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق
قال فيه شيئا وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لي من امر الدنيا وانا
ارجو ان يستجاب لي من امر الآخرة قال العذري وانا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب لي
قال ابو علي وانا فقد دعوت الله فيه باشياء كثيرة استجيب لي
بعضها وارجو من سعة فضله ان يستجيب في بقيتها قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله قد ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا
الفصل وان لم يكن من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله
حرصا على تمام الفائدة والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

القسم الثالث فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل
في حقه ويجوز عليه وما يمتنع او يصح من الاحوال البشرية
ان يضاف اليه قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل افائن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الآية
وقال تعالى ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله
الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام الآية وقال وما
ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام و
يمشون في الاسواق وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي
الآية فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام
من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس
مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون اي ما كان
الا في صورة البشر الذي يمكنكم مخاطبته اذ لا تطيقون
مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته
وقال قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين

جاء وسبق

اي يظهروا
اي الكون

لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً اى لا يمكن فى سنة الله
ارسال الملك الا لمن هو من جنسه او من خصه الله تعالى و
اصطفاه وقواه على مقاومته كالانبياء والرسل فالانبياء
والرسل وسائط بين الله تعالى وبين خلقه يبلغونهم اوامره
ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره
وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم و
اجسادهم وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئ عليها
ما يطرئ على البشر من الامراض والاسقام والموت و
الفناء ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم متصفة
باعلى من اوصاف البشر متعلقة بالملاء الاعلى متشبهة
بصفات الملائكة سليمة من التغير والآفات لا يلحقها
غالباً عجز البشرية ولا ضعف الانسانية اذ لو كانت
بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن
الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومجالستهم كما لا يطيقه
غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم وظواهرهم متسمة
بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشرية لما اطاق
من ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم فى قوله عز وجل لجعلناه
من جهة الاجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الارواح
البواطن مع الملائكة كما قال عم لو كنت متخذا من امتى خليلاً
لاتخذت ابا بكر لا اتخذت ابا بكر خليلاً ولكن اخوة الاسلام
لكن اخوة صاحبكم خليل الرحمن وكما قال عم تنام عيناى
ولا ينام قلبى وقال عم انى لست كهيئتكم انى اظل يطعمنى
ربى ويسقينى فبواطنهم منزهة عن الآفات مطهرة عن
من النقائص والاعتلالات وهذه جملة لن يكتفى بمضمونها
كل ذى همة بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل الى ما نأتى

به بعد هذا فى البابين بعون الله وهو حسبى ونعم الوكيل
الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية والكلام فى عصمة
نبينا عليه السلام وسائر الانبياء صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين قال القاضى ابو الفضل رحمه الله اعلم ان الطوارى
من التغيرات والآفات على احاد البشر لا يخلو ان تطرئ
على جسمه او حواسه بغير قصد واختيار كالامراض والاسقام
او تطرئ بقصد واختيار وكله فى الحقيقة عمل وفعل لكن
جرى رسم المشايخ بتفصيله الى ثلاثة انواع عقد بالقلب و
قول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرئ عليهم الآفات
والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار فى هذه الوجوه كلها
والنبى صلى الله عليه وسلم وان كان من البشر ويجوز على
جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين القاطعة
وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من
الآفات التى تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه
ان شاء الله تعالى فيما نأتى به بعد من التفاصيل فصل
فى حكم عقد قلب النبى صلى الله عليه وسلم من وقت
نبوته اعلم منحنا الله واياكم توفيقه ان ما تعلق منه بطريق
التوحيد والعلم بالله وصفاته والايمان به وبما اوحى
اليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء
من الجهل بشئ من ذلك او الشك او الريب فيه و
العصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع
اجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة ان يكون
فى عقود الانبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول ابراهيم عم
قال بلى ولكن ليطمئن قلبى اذ لم يشك ابراهيم فى اخبار الله
له باحياء الموتى ولكن اراد طمانينة القلب وترك المنازعة

وعلى غاية الانتفاء

اى ترك منازعة القلب

لمشاهدة الاحياء فحصل له العلم الاول بوقوعه واراد العلم
الثاني بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام
انما اراد اختبار منزلته عند ربه وعلم اجابة دعوته بسؤال
ذلك من ربه ويكون قوله تعالى اولم تؤمن اولم تصدق
بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك الوجه الثالث انه
سئل ربه زيادة يقين وقوة طمأنينة وان لم يكن في
الاول شك اذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل
في قوتها وضعفها وطريان الشكوك على الضروريات
ممتنع ويجوز في النظريات فاراد الانتقال من النظر او
الخبر الى المشاهدة والترقي من علم اليقين الى عين اليقين
فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله لو
كشف غطاء العيان لم يزدد بنور اليقين تمكنا في حاله الوجه
الرابع انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب
ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم
هو سؤال على طريق الادب المراد اقدرني على احياء الموتى
وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الامنية الوجه السادس انه
اري من نفسه الشك وما شك ولكن ليجاوب فيزداد قربه
وقول نبينا صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم
نفي لان يكون ابراهيم شك وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن
هذا بابراهيم اي نحن موقنون بالبعث واحياء الموتى
فلو شك ابراهيم لكنا اولى به منه اما على طريق الادب او
ان يريد امته الذين يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع
والاشفاق ان حمل قصة ابراهيم على اختبار حاله او زيادة
يقينه فان قلت فما معنى قوله عز وجل فان كنت في شك
مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك

قبلك الآيتين فاحذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك
ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس رضي الله عنهما
او غيره من اثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما
اوحى الله اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل
قد قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يشك النبي صلى الله
عليه وسلم ولم يسئل ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكى قتادة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسئل وعامة
المفسرين على هذا واختلفوا في معنى الآية فقيل المراد قل يا محمد
للشاك ان كنت في شك الآية قالوا وفي السورة نفسها
ما دل على هذا التأويل قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم
في شك من ديني الآية وقيل المراد بالخطاب العرب
وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى لئن اشركت
ليحبطن عملك الآية الخطاب له والمراد غيره ومثله قوله
تعالى فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير قال
بكر بن العلاء الا تراه سبحانه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا
بآيات الله وهو صلى الله عليه وسلم كان المكذب فيما يدعو
اليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل على ان المراد
بالخطاب غيره ومثل هذه الآية قوله تعالى الرحمن فاسئل به
خبيرا المأمور هنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسئل النبي
صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسئول لا المستخبر السائل
وقيل ان هذا الشك الذي امر غير النبي صلى الله عليه وسلم
بسؤال الذين يقرؤن الكتاب عنه انما هو فيما قصه الله من
اخبار الامم لا فيما دعى اليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا
قوله تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الآية
المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه

وسلم قاله القتيبي وقيل معناه سلنا ومن ارسلنا قبلك
فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتدأ اجعلنا من دون
الرحمن آلهة يعبدون الآية على طريق الانكار اى ما جعلنا
حكاه مكي وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم ان يسئل الانبياء
ليلة الاسراء عن ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى
السؤال فروي انه قال لا اسئل قد اكتفيت قاله ابن زيد و
قيل سئل امم من ارسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى
قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي
قبله اعلامه صلى الله عليه وسلم بما بعثت به الرسل وانه تعالى
لم يأذن في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم
في قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى
والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك فلا تكونن
من الممترين اى في علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك و
ليس المراد به شكه فيما ذكر في اول الآية قد يكون ايضا على
مثل ما تقدم اى قل لمن امترى بالحد في ذلك فلا تكونن من
الممترين بدليل قوله اول الآية افغير الله ابتغي حكما وهو الذي
انزل اليكم الكتاب مفصلا وان النبي صلى الله عليه وسلم
يخاطب به غيره وقيل هو تقرير كقوله تعالى أأنت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد علم الله
انه لم يقل وقيل معناه ما كنت في شك فاسئل تزدد طمأنينة
وعلما الى علمك ويقينك وقيل ان كنت تشك فيما
شرفناك وفضلناك به فاسئلهم عن صفتك في الكتب
ونشر فضائلك وحكي عن ابي عبيدة ان المراد ان كنت في شك
من غيرك فيما انزلناه فان قيل فما معنى قوله تعالى حتى
اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف

التخفيف فالمعنى في ذلك ما قالته عائشة رضي الله عنها
معاذ الله ان تظن ذلك بربها وانما معنى ذلك ان
الرسل لما استيأسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم
كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل ان الضمير في ظنوا
عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل وهو
قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا
المعنى قرئ مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشتغل بالك من
شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء
عليهم السلام وكذلك ما ورد في حديث السيرة ومبدأ
الوحي من قوله لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه
الشك فيما آتاه الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي ان
لا تحتمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحي فينخلع قلبه او تزهق
نفسه هذا على ما ورد في الصحيح انه قاله بعد لقائه الملك
او يكون ذلك قبل لقائه الملك واعلام الله تعالى له
بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجائب وسلم عليه الحجر و
الشجر وبداية المنامات والتباشير كما روي في بعض طرق
هذا الحديث ان ذلك كان اولا في المنام ثم اري في اليقظة
مثل ذلك تأنيسا له صلى الله عليه وسلم لئلا يفجأه الامر
مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لاول حالة بنية البشرية
وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها اول ما بدئ به رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب اليه
الخلاء وقالت الى ان جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث وعن
ابن عباس رضي الله عنهما مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة
خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين
ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحق

بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء
فقال فجاءني وانا نائم فقال اقرأ فقلت ما اقرأ وذكر نحو حديث
عائشة في غطه له واقرائه له اقرأ باسم ربك السورة قال ثم
فانصرف عني وهببت من نومي كانما صورت في قلبي ولم
يكن ابغض الي من شاعر او مجنون ثم قلت لا تحدث عني
قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسي منه
فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا ينادي من
السماء يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت راسي فاذا
جبريل في صورة رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا ان قوله
لما قال وقصده ما قصده انما كان قبل لقاء جبريل وقبل اعلام
الله له بالنبوة واظهاره واصطفائه له بالرسالة ومثله
حديث عمرو بن شرحبيل انه صلى الله عليه وسلم قال لخديجة
اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله
ان يكون هذا لامر ومن رواية حماد بن سلمة ان النبي صلى الله
عليه وسلم لخديجة اني لاسمع صوتا وارى ضوءا واخشى ان يكون
بي جنون وعلى هذا يتأول لو صح قوله في بعض هذه الاحاديث
ان الابعد شاعرا او مجنون والفاظا يفهم منها معاني الشك
في تصحيح ما راه وانه كان كله في ابتداء امره وقبل لقاء الملك له
واعلام الله انه رسول الله فكيف وبعض هذه الالفاظ لا يصح
طرقها واما بعد اعلام الله له ولقاءه الملك فلا يصح فيه ريب
ولا يجوز عليه شك فيما القي اليه وقد روى ابن اسحق عن شيوخه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة من العين
قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه القرآن اصابه نحو ما كان يصيبه
فقالت له خديجة رضي الله عنها اوجه اليك من يرقيك قال
اما الان فلا وحديث خديجة واختبارها امر جبريل بكشف راسها

رأسها الحديث انما ذلك في حق خديجة ليتحقق صحة نبوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذي ياتيه ملك وزوال
الشك عنها لا انها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه
وسلم وليختبر ذلك من حاله بل قد ورد في حديث عبد الله بن
محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عائشة رضي الله
عنها ان ورقة امر خديجة ان تختبر الامر بذلك وفي حديث
اسمعيل بن ابي حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك
قال نعم فلما جاء جبريل اخبرها فقالت له اجلس الى شقي وذكر
الحديث الى آخره وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك
يا ابن عم فاثبت وابشر وآمنت به فهذا يدل على انها
مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبي صلى
الله وقول معمر في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله عليه
وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من شواهق
الجبال لا يقدح في هذا الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده
ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا ان النبي صلى الله عليه
وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا الا من جهة النبي صلى الله
عليه وسلم مع انه قد يحمل على انه كان اول الامر كما ذكرناه
او انه فعل ذلك لما احرجه من تكذيب من بلغه كما قال تعالى
فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث
اسفا ويصحح معنى هذا التأويل حديث رواه شريك عن
عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله ان المشركين
لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شأن النبي صلى الله
عليه وسلم واتفق رأيهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك
عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبريل فقال يا ايها المزمل

بارز نوش : انقطاع الوحي

يا أيها المدثر او خاف أن الفترة لأمر أو لسبب منه فخشي أن
ان تكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه لم يرد بعد شرع
بالنهي عن ذلك فيعترض به وبحو هذا فرار يونس عم خشية
تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب قول الله تعالى
في يونس فظن أن لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه
قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه في خروجه
وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر
عليه ما اصابه وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد وقيل نؤاخذه
بغضبه وذهابه وقال ابن زيد معناه أفظن أن لن نقدر
عليه على الاستفهام ولن يليق ان يظن بنبي ان يجهل صفة من
صفات ربه وكذلك قوله تعالى اذ ذهب مغاضبا الصحيح
مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك
وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة
الله كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء عليهم الصلوة والسلام
وقيل مستحييا من قومه أن يسموه بالكذب او يقتلوه كما
ورد في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه
الى امر امره الله به على لسان نبي آخر فقال له يونس غيري اقوى عليه
مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان ارسال يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه
الحوت واستدل من الآية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم
وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او
يزيدون ويستدل ايضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت
ذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون
هذه القصة اذا قبل نبوته عليه السلام فان قيل فما معنى قوله
عليه السلام انه ليغان على قلبي فأستغفر الله في كل يوم مائة

١٠١

مرة وفي طريق اخرى في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع
ببالك ان يكون في هذا الغين وسوسة او ريبا وقع في قلبه
صلى الله عليه وسلم بل اصل الغين في هذا ما يتغشى القلب
ويغطيه قاله ابو عبيدة واصله من غين السماء وهو اطباق
الغيم عليها وقال غيره الغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه
كل التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء
الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة
مائة مرة او اكثر من سبعين في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه
الذي ذكرناه وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد للاستغفار
لا للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات
نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله
عليه وسلم دفع اليه من مقاسات البشر وسياسة الامة ومعاناة
الاهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه من
اعباء الرسالة وحمل الامانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة
خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله
مكانة واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند
خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه
هنالك ارفع حاليه رأى عليه السلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا
من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا
اولى وجوه الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا اليه فيه مال كثير
من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه
وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترات والغفلات
والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي وذهبت طائفة من
ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله
عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز عليه في حال سهو او
فترة ومال الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من

امر الله عليه السلام وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد
يكون الغين هنا على قلبه السكينة التي تغشاه لقوله تعالى
فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره صلى الله عليه وسلم
عندها اظهارا للعبودية والافتقار وقال ابن عطا استغفاره
وفعله هذا تعريف للامة يحملهم على الاستغفار قال غيره ويستشعرون
الحذر ولا يركنون الى الامن وقد يحتمل ان تكون هذه الاغانة
حالة خشية واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله و
ملازمة للعبودية كما قال عم في ملازمة العبادة افلا اكون عبدا
شكورا وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روي في بعض طرق
هذا الحديث عنه عليه السلام انه ليغان على قلبي في اليوم اكثر من
سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد
صلى الله عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن
من الجاهلين وقوله لنوح عليه السلام فلا تسئلن ما ليس لك به
علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فاعلم انه لا يلتفت
الى قول من قال في اية نبينا عليه السلام لا تكونن ممن يجهل ان الله
لو شاء لجمعهم على الهدى وفي اية نوح عم لا تكونن ممن يجهل ان
وعد الله حق لقوله وان وعدك الحق اذ فيها اثبات الجهل بصفة
من صفات الله وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود وعظهم
ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين كما قال تعالى اني اعظك
وليس في اية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن
الكون عليها فكيف وآية نوح قبلها فلا تسئلن ما ليس لك به
علم اني اعظك فحمل ما بعدها على ما قبلها اولى لان مثل هذا قد
يحتاج الى اذن من ربه وقد يجوز اباحة السؤال فيه ابتداء
فنهاه الله تعالى ان يسئله عما طوى عنه علمه واكنه في غيبه
من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه

باعلامه ذلك بقوله انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح حكى
معناه مكي وكذلك امر نبينا صلى الله عليه وسلم في الاية الاخرى
بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حالة
الجاهل لشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب
لامة محمد صلى الله عليه وسلم اي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه
ابو محمد مكي وقال مثله في القران كثير فبهذا الفصل وجب
القول بعصمة الانبياء منه بعد النبوة قطعا فان قلت
فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز عليهم شيء من ذلك
فما معنى اذا وعيد الله لنبينا صلى الله عليه وسلم لئن اشركت
ليحبطن عملك الاية وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك
ولا يضرك الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف
الممات الاية وقوله لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين و
قوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وقوله
فان يشا الله يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل
فما بلغت رسالته وقوله يا ايها النبي اتق الله ولا تطع
الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله واياك انه صلى الله
عليه وسلم لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف امر
ربه ولا ان يشرك به ولا يتقول على الله ما لا يجب او
يفتري عليه او يختم على قلبه ويطيع الكافرين لكن الله تعالى
يسر امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين وان
ابلاغه ان لم يكن بهذا السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه و
قوى قلبه بقوله تعالى والله يعصمك من الناس كما قال
لموسى وهرون عليهما السلام لا تخافا انني معكما لتشتد
بصائرهم في الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف
العدو المضعف للنفس واما قوله تعالى ولو تقول

على الله ما لا يجب او يفتري عليه او يضل او يختم على قلبه او يطيع
الكافرين لكن يسر الله امره بالمكاشفة والبيان في
الابلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذا السبيل فكأنه
ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله تعالى والله يعصمك
من الناس كما قال لموسى وهرون عليهما السلام لا تخافا انني
معكما لتشتد بصائرهم في الابلاغ واظهار دين الله ويذهب
عنهم خوف العدو المضعف للنفس واما قوله تعالى
ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية وقوله اذا لاذقناك ٦٩
ضعف الحيوة فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو
كنت ممن يفعله وهو صلى الله عليه وسلم لا يفعله وكذلك
قوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك فالمراد غيره كما قال
ان تطيعوا الذين كفروا الآية وقوله فان يشا الله يختم على قلبك
ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان
هذه حال من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا
وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم
والله ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال ولا تطرد
الذين يدعون ربهم الآية وما كان طردهم عليه السلام
وما كان من الظالمين فصل واما عصمتهم من هذا
الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب
انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته
والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار
والآثار عن الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ
ولدوا ونشأتهم على التوحيد بل على اشراق انوار
المعارف ونفحات الطاف السعادة كما نبهنا
عليه في الباب الثاني من القسم الاول من كتاب

بطريق التعريض

كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا نبئ واصطفي
ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا
الباب النقل وقد استدل بعضهم بان القلوب تنفر عمن
كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا قد رمت نبينا
صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياءها
بكل ما امكنها واختلقته مما نص الله عليه ونقلته الرواة
الينا ولم نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه آلهته
وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان
هذا لكانوا بذلك مبادرين الى تعييره وبتلونه في معبوده
محتجين على تقريعه ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد
قبل افظع واقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم
وما كان يعبد آباؤهم من قبل ففي اطباقهم على الاعراض عنه
دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا
عنه كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم
التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضي
القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من
النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية وبقوله واذ اخذ
الله ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره
الله في الميثاق وبعيد ان يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم
يأخذ ميثاق النبيين بالايمان به ونصره قبل مولده بدهور
ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه الا
ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد اتاه جبريل و
شق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان
منك ثم غسله وملأه حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار المبدأ
ولا يشتبه عليك بقول ابراهيم عليه السلام في الكوكب والقمر

الشمس هذا ربي فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء
النظر والاستدلال قبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق
من العلماء والمفسرين الى انه انما قال ذلك تبكيتا لقومه مستدلا
عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد أفهذا
ربي قال الزجاج قوله هذا ربي اي على قولكم كما قال اين شركائي
اي عندكم ويدل على انه لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك
قط بالله طرفة عين قوله تعالى اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون
ثم قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم
عدو لي الا رب العالمين وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اي سليم
من الشرك وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فان قلت
فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين قيل
اي انه ان لم يؤيدني بمعونته اكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم على
معنى الاشفاق والحذر والا فهو صلى الله عليه وسلم معصوم
في الازل من الضلال فان قلت فما معنى قوله وقال الذين
كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال
بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ
نجانا الله منها فلا يشكل عليك لفظة العود فانها تقتضي انهم
انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تأتي هذه اللفظة
في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في
حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل كذلك ومثله
قول الشاعر بيت تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا
بماء فعادا بعد ابوالا وما كانا قبل كذلك فان قلت فما
معنى قوله ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال
الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها قاله الطبري
وقيل ووجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك

يهديك للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد
وقيل ضالا عن شريعتك اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال
هنا التحير ولهذا كان عليه السلام يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى
ربه ويتشرع به حتى هداه الله الى الاسلام قال معناه القشيري
وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله وعلمك ما لم
تكن تعلم قاله علي بن عيسى قال ابن عباس لم تكن له ضلالة
معصية بل ضلالة طاعة وقيل هدى اي بين امرك بالبراهين
وقيل ووجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة
وقيل المعنى ووجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد
ووجدك ضالا عن محبتي لك في الازل اي لا تعرفها فمننت
عليك بمعرفتك وقرأ الحسن بن علي ووجدك ضال فهدى
اي اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي
والضال المحب كما قال انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة
ولم يريدوها ها هنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا
ومثله عند هذا قوله تعالى انا لنراها في ضلال مبين اي محبة بينة
وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك
لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر لتبين الآية وقيل ووجدك لم
يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك فهدى بك السعداء ولا اعلم
احدا قال من المفسرين فيها ضالا عن الايمان وكذلك في
قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اي من
المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال
الازهري من الناسين وقد قيل ذلك في قوله ووجدك
ضالا فهدى اي ناسيا كما قال الله تعالى ان تضل احدهما فان
قلت فما معنى قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا
الايمان فالجواب ان السمرقندي قد قال معناه ما كنت تدري

قبل الوحي ان تقرأ القرآن ولا تدعو الخلق الى الايمان وقال
ابو بكر القاضي نحوه قال ابو بكر ولا الايمان الذي هو الفرائض
والاحكام قال فكان صلى الله عليه وسلم قبل مؤمناً بتوحيده
ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايماناً
وهو احسن وجوهه فان قلت فما معنى قوله تعالى وان كنت
من قبله لمن الغافلين فاعلم انه ليس بمعنى قوله والذين هم
عن آياتنا غافلون بل المعنى حكى ابو عبد الله الهروي معناه
لمن الغافلين عن قصة يوسف اذ لم تعلمها الا بوحينا وكذ
كذلك الحديث يرويه عثمان بن ابي شيبة بسنده عن جابر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين
مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب
حتى تقوم خلفه فقال الآخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام
الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث انكره احمد بن حنبل
جداً وقال هذا موضوع او شبيه بالموضوع وقال الدارقطني
يقال ان عثمان وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق
على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبي صلى الله عليه و
سلم خلافه عند اهل العلم من قوله بغضت الي الاصنام وقوله
في الحديث الآخر الذي روته ام ايمن حين كلمه عمه لذلك فخرج
معهم ورجع مرعوباً فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لي
رجل ابيض طويل يصيح بي وراءك لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدا
وقوله في قصة بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم
باللات والعزى اذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه ابي طالب
وهو صبي ورأى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما ابغضت شيئاً
قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسألك عنه

عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته صلى الله
عليه وسلم وتوفيق الله تعالى له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين
في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف هو بعرفة لانه كان موقف
ابراهيم عليه السلام فصل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله قد بان
بما قدمناه عقود الانبياء عليهم السلام في التوحيد والايمان و
الوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب من عقود
قلوبهم فجماعها انها مملوءة علماً ويقيناً على الجملة وانها قد احتوت
من المعرفة والعلم بامور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه ومن طالع
الاخبار وعني بالحديث وتأمل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه
في حق نبينا صلى الله عليه وسلم في الباب الرابع اول قسم من
الكتاب ما ينبه على ما وراءه الا ان احوالهم في هذه المعارف تختلف
فاما ما تعلق منها بامر الدنيا فلا يشترط في حق الانبياء عليهم السلام
العصمة من عدم معرفة الانبياء ببعضها او اعتقادها على خلاف ما
هي عليه ولا وصم عليهم فيه اذ هممهم متعلقة بالآخرة وانبائها وامر
الشريعة وقوانينها وامور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من
اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن
الآخرة هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني ان شاء الله
ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيئاً من امر الدنيا فان ذلك
يؤدي الى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد ارسلوا
الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح
دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور الكلية واحوال
احوال الانبياء وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم
بذلك كله مشهورة واما ان كان هذا العقد فيما يتعلق
بالدين فلا يصح من النبي صلى الله عليه وسلم الا العلم به ولا يجوز
عليه جهله جملة لانه لا يخلو ان يكون حصل عنده ذلك عن وحي

من الله عز وجل فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف
الجهل بل حصل له العلم اليقين ويكون فعل ذلك باجتهاده
فيما لم ينزل عليه شيء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك
على قول المحققين وعلى مقتضى حديث ام سلمة رضي الله عنها
اني انما اقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه شيء خرجه الثقات
وكقصة اسرى بدر والاذن للمتخلفين على رأي بعضهم فلا يكون
ايضاً ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقاً وصحيحاً هذا هو الحق
الذي لا يلتفت الى خلاف من خالف فيه ممن اجاز عليه الخطأ
في الاجتهاد لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق و
الصواب عندنا ولا على القول الآخر بان الحق في طرف واحد
لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ في الاجتهاد في الشرعيات
ان لو قام عليه دليل ولان القول في تخطئة المجتهدين انما هو بعد
استقرار الشرع ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده انما
هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه النبي
صلى الله عليه وسلم فاما ما لم يعقد عليه قلبه من امور النوازل
الشرعية فقد كان لا يعلم منها اولاً الا ما علمه الله شيئاً شيئاً
حتى استقر علم جملتها عنده اما بوحي من الله عز وجل او اذن له
ان يشرع في ذلك ويحكم بما اراه الله وقد كان ينتظر الوحي في
كثير منها ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى استفرغ
علم جميعها عنده وتقررت معارفها لديه على التحقيق و
رفع الشك والريب انتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه
الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي امر بالدعوة اليه اذ
لا يصح دعوته الى ما لا يعلمه واما ما تعلق بعقده من ملكوت
السموات والارض وخلق الله وتعيين اسمائه الحسنى و
آياته الكبرى وامور الآخرة واشراط الساعة واحوال السعداء

السعداء والاشقياء وعلم ما كان وما يكون مما لم يعلمه الا
بوحي فعلى ما تقدم من انه معصوم فيه لا يأخذه فيما اعلم
به منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط
له العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم ذلك
ما ليس عند جميع البشر لقوله صلى الله عليه وسلم اني لا اعلم الا ما
علمني ربي ولقوله صلى الله عليه وسلم ولا خطر على قلب بشر
بله ما اطلعتم عليه فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من
قرة اعين وقول موسى عم للخضر عليه السلام هل اتبعك على
ان تعلمن مما علمت رشداً وقوله صلى الله عليه وسلم اسألك
باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله اسألك
بكل اسم هو لك سميت به نفسك او استأثرت به في علم الغيب
عندك وقد قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم قال
زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى الله عز وجل وهذا مما
لا خفاء فيه اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم
عقد النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد والشرع و
المعارف الالهية والامور الدينية فصل واعلم ان الامة
مجتمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان
وكفايته منه لا في جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره بل
بالوساوس قد اخبرنا القاضي الحافظ ابو علي رحمه الله قال
حدثنا ابو الفضل بن خيرون العدل ثنا ابو بكر البرقاني و
غيره ثنا ابو الحسن الدارقطني ثنا اسمعيل الصفار ثنا
عباس الترقفي ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن منصور عن
سالم بن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا
وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله

قال وإياي ولكن الله أعانني عليه فأسلم زاد غيره عن منصور
فلا يأمرني إلا بخير وعن عائشة رضي الله عنها بمعناه وروي فأسلم
بضم الميم أي أسلم أنا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي
فأسلم يعني القرين أنه انتقل عن حال كفره إلى الإسلام فصار
لا يأمر إلا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم
قال القاضي أبو الفضل رحمه الله فإذا كان هذا حكم شيطانه
وقرينه المسلط على كل أحد من بني آدم فكيف بمن بعد عنه
ولم يلزم صحبته ولا أقدر على الدنو منه وقد جاءت الآثار
بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في إطفاء نوره وإماتة
نفسه وإدخال شغل عليه إذ يئسوا من إغوائه فانقلبوا خاسرين
كتعرضه له في صلاته فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم
وأسره ففي الصحاح قال أبو هريرة عنه عليه السلام إن الشيطان
عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي ليقطع علي
صلاتي فأمكنني الله منه فذعته ولقد هممت أن أوثقه
إلى سارية حتى تصبحوا تنظرون إليه فذكرت قول أخي
سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي
الآية فرده الله خاسئا وفي حديث أبي الدرداء عنه عليه السلام
إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي و
النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة وذكر تعوذه بالله
منه ولعنه له ثم أردت أخذه وذكر نحوه وقال لأصبح موثقا
يتلاعب به ولدان أهل المدينة وكذلك في حديثه في الإسراء
طلب عفريت له بشعلة من نار فعلمه جبريل عم ما يتعوذ به
منه ذكره في الموطأ ولما لم يقدر على أذاه بمباشرته تسبب بالتوسط
إلى عداه كقضيته مع قريش في الائتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم
وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة أخرى في غزوة يوم

بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى وإذ زين لهم الشيطان
أعمالهم الآية ومرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة وكل هذا
فقد كفاه الله أمره وعصمه ضره وشره وقد قال صلى الله
عليه وسلم إن عيسى عم كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين
ولد فطعن في الحجاب وقال عليه السلام حين لد في مرضه وقيل له
خشينا أن يكون بك ذات الجنب فقال إنها من الشيطان و
لم يكن الله ليسلطه علي فإن قيل فما معنى قوله تعالى وإما ينزغنك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآية فقد قال بعض المفسرين
إنها راجعة إلى قوله وأعرض عن الجاهلين ثم قال وإما ينزغنك
أي يستخفنك غضب يحملك على ترك الإعراض عنهم فاستعذ
بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال تعالى من بعد أن نزغ
الشيطان بيني وبين إخوتي وقيل ينزغنك يغرينك ويحركك
والنزغ أدنى الوسوسة فأمره الله تعالى أنه متى تحرك عليه
غضب على عدوه أو رام الشيطان من إغرائه به وخواطر أدنى
وساوسه ما لم يجعل له سبيل إليه أن يستعيذ منه فيكفى أمره ويكون
سبب تمام عصمته إذ لم يسلط عليه بأكثر من التعرض له ولم
يجعل له قدرة عليه وقد قيل في هذه الآية غير هذا وكذلك لا يصح
أن يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في
أول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك
النبي صلى الله عليه وسلم أن ما يأتيه من الله الملك ورسوله
حقيقة إما بعلم ضروري يخلقه الله له أو ببرهان يظهره لديه
ليتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فإن قيل
فما معنى قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية فاعلم أن للناس
في معنى هذه الآية أقاويل منها السهل والوعث والسمين

والقلب واولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني ههنا التلاوة والقاء الشيطان فيها شغله بخواطر وفى اذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين من التحريف وسوء التاويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم آياته وسياتي الكلام على هذه الآية بعد باشبع من هذا ان شاء الله تعالى وقد حكى السمرقندي انكار قول من قال بتسليط الشيطان على ملك سليمان وغلبته عليه وان مثل لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد الذي ولد له وقال ابو محمد مكي في قصة ايوب وقوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب انه لا يجوز لاحد ان يتأول ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم قال مكي وقد قيل ان الذي اصابه الشيطان ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره وقوله عن يوسف فانسيه الشيطان ذكر ربه وقول نبينا صلى الله عليه وسلم حين نام عن الصلوة يوم الوادي ان هذا واد به شيطان وقول موسى عم في وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر من كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله كما قال تعالى طلعها كانه رؤس الشياطين وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما هو شيطان وايضا فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه اذ لم تثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى عليه السلام قال الله تعالى واذ قال موسى لفتيه والمروي انه انما نبئ

طلعها

المراد بالوكزة ضرب موسى بيده الى قبطي مات

بعد موت موسى عم وقيل قبل موته وقول موسى عم كان قبل نبوته بدليل القرآن وقصة يوسف عم امرها كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون في قوله فانساه الشيطان قولين احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبي السجن وربه الملك اي انساه ان يذكر للملك شان يوسف عليه السلام وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع بوسواس ونزغ وانما هو بشغل خواطرهما بامور آخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما نسيا واما قوله عليه السلام ان هذا واد به الشيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسة بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدى الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي الذي عرّس به انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به الشيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلوة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلوة فيه وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله فصل واما قوله صلى الله عليه وسلم فقد قامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا او عمدا ولا سهوا او غلطا واما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق عبدي فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذا السبيل عند الاستاذ ابي اسحق الاسفرائني ومن قال بقوله ومن جهة

يهدئ او قسر وصاح

الكلاءة بمعنى الحافظة

لكونه

الدليل بمعنى الطول والمشاهد بمعنى السوق

الاجماع فقط وورد الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي صلى
الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابي بكر
الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة
ولا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع
اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه خلف في القول في ابلاغ
الشريعة والاعلام بما اخبر به عن ربه وما اوحاه اليه من وحيه
لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حالي الرضى والسخط
والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول
الله اكتب كل ما اسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب
قال نعم فاني لا اقول في ذلك كله الا حقا ولنزد ما اشرنا اليه
من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه
وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله الا صدقا وان
المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره عني و
هو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين
لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما اتيكم الرسول فخذوه
وما نهيكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب خبر
بخلاف مخبره على اي وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو
لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة
على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا
كما قاله ابو اسحق الاسفرائني فصل وقد توجهت هنا لبعض
الطاعنين سؤالات منها ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما قرأ سورة والنجم فقال افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ويروى

يروى ترتضى وفي رواية اخرى ان شفاعتها ترتجى وانها لمع
الغرانيق العلى وفي اخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة
ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار
لما سمعوه اثنى على آلهتهم وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان
القاها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمنى
لو انزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه وفي رواية
اخرى ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة
وان جبريل جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما
جئتك بهاتين فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فانزل الله تعالى تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الآية وقوله تعالى وان كادوا ليفتنونك الآية
فاعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث
مأخذين احدهما في توهين اصله والثاني على تسليمه اما المأخذ
الاول فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة
ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون
والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف
من كل صحيح وسقيم وصدق القاضي ابو بكر بن العلاء المالكي
حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير
تعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب
رواياته واسانيده واختلاف كلماته فقائل يقول انه في
الصلوة وآخر يقول قالها في نادي قومه حين انزلت عليه
السورة وآخر يقول قالها وقد اصابته سنة وآخر يقول
بل حدث نفسه فسها وآخر يقول ان الشيطان قالها على
لسانه وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما عرضها على
جبريل قال ما هكذا اقرأتك وآخر يقول بل اعلمهم الشيطان

ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله
عليه وسلم ذلك قال والله ما هكذا نزلت الى غير ذلك من اختلاف
الرواة ومن حكيت عنه هذه الحكاية من المفسرين والتابعين
لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنهم
فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن ابي بشر عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما احسب الشك في الحديث
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة قال
ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده عن
شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف
عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس فقد بين لك ابو بكر
رحمه الله انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه
من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه
الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه واما حديث الكلبي فمما
لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار
اليه البزار رحمه الله والذي منه في الصحيح ان النبي صلى الله
عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد وسجد معه المسلمون
والمشركون والجن والانس هذا توهينه من طريق النقل
فاما من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة على
عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة
اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله
تعالى وهو كفر او ان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه
القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله
عليه وسلم ان من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه عليه جبريل
عليه السلام وذلك كله ممتنع في حقه عم او يقول ذلك

ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك
كفر او سهوا وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبرهان
والاجماع عصمته عليه السلام من جريان الكفر على لسانه
او قلبه لا عمدا ولا سهوا او ان يتشبه عليه ما يلقيه الملك
بما يلقيه الشيطان او يكون للشيطان عليه سبيل او ان يتقول
على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال الله تعالى ولو تقول
علينا بعض الاقاويل الآية وقال اذا لاذقناك ضعف الحياة
وضعف الممات ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة
نظرا وعرفا وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد
الالتيام متناقض الاقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التأليف
والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من
المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا
لا يخفى على ادنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب
البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث انه قد علم من
عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب
والجهلة من المسلمين نفورهم لاول وهلة وتخليط العدو
على النبي صلى الله عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين
والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه
مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك احد من هذه
القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو
كان ذلك سببا لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة
ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة
الاسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك
ما روي في قصة القضية ولا فتنة اعظم من هذه البلية
لو وجدت ولا تشغب للمعادي حينئذ اشد من هذه الحا

الحادثة لو امكنت فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم
بسببها بنت شفة فدل على بطلانها واجتثاث اصلها و
لا شك في ادخال بعض شياطين الانس والجن هذا الحديث
على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين ووجه
رابع ذكر الرواة لهذه القضية ان فيها نزلت وان كادوا
ليفتنونك الآيتين وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي
الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى
يفتري وانه لولا ان ثبته لكاد يركن اليهم فمضمون هذا و
مفهومه ان الله عصمه من ان يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم
شيئا قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية
انه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وانه قال صلى
الله عليه وسلم افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا
ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف
ولا صحة له وهو قوله تعالى في الاية الاخرى ولولا فضل
الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما
يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وقد روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون
قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهب
واكاد اخفيها ولم يفعل قال القشيري القاضي ولقد طالبه
قريش وثقيف اذ مر بآلهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه
الايمان به ان فعل فما فعل وما كان ليفعل قال ابن
الانباري ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت في
معنى الآية تفاسير اخر ما ذكرناه من نص كتاب الله على
عصمة رسوله ترد سفسافها فلم يبق في الآية الا ان الله
تعالى امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار

الكفار وراموه من فتنته ومرادنا من ذلك كله تنزيهه و
عصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم هذه الآية واما
المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد
قد اعاذنا الله من صحته ولكن على كل حال فقد اجاب
عن ائمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين فمنها
ما روى قتادة ومقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم
اصابته سنة عند قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام
على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ لا يجوز على النبي
صلى الله عليه وسلم مثله في حالة من احواله ولا يخلقه
الله على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه في نوم ولا يقظة
لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو وفي قول
الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال
ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن
ابي بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما اخبر بذلك قال
انما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح ان يقوله عليه
السلام لا سهوا ولا عمدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه
وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله اثناء تلاوته
على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم
هذا ربي على احد التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم
هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع
الى تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على
المراد وانه ليس من المتلو وهو احد ما ذكره القاضي
ابو بكر ولا يعترض على هذا بما روي انه كان في الصلاة
فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع والذي يظهر ويترجح
في تأويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه

ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القرآن
القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا في قراءته كما رواه لنا
الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها
ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه و افتراء
سلم بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول
النبي صلى الله عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند
المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما انزلها الله تعالى
وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان
وعيبها ما عرف منه وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحو هذا
وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك في
اسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روي من حزن النبي
صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه
الفتنة وقد قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول و
لا نبي الآية فمعنى تمنى اي تلا قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب
الا اماني اي تلاوة وقوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان
اي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم آياته وقيل معنى الآية
هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو اذا قرأ فينتبه
لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الآية انه حدث
نفسه قال اذا تمنى اي حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن
عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة انما يصح فيما ليس طريقه
تغيير المعاني وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من القرآن
بل السهو عن اسقاط آية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا
السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره في حكم
ما يجوز من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تأويله ايضا ان
مجاهدا روى هذه القصة والغرانيق العلى فان سلمنا القصة

الاختلاق بمعنى الافتراء

وملائمهم لقلوبهم نسخ

١٦٣

القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان قرآنا والمراد بالغرانيق العلى وان
شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي
الغرانيق انها الملائكة وذلك ان الكفار يعتقدون الاوثان
والملائكة بنات الله كما حكى الله تعالى عنهم ورد عليهم في هذه
السورة بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر الله تعالى كل هذا
من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تأول المشركون
على ان المراد بهذا الذكر آلهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه
في قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله ما القى الشيطان واحكم آياته و
رفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا
للالباس كما نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته وكان في
انزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من
يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما
يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم
وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم
انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الآية وقيل
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان يأتي بشيء
من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة
النبي صلى الله عليه وسلم ويشنعوا عليه على عادتهم وقولهم تحريك
لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا
الفعل الى الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان
النبي صلى الله عليه وسلم قال قد حزن لذلك من كذبهم وافترائهم
عليه فسلاه الله تعالى بقوله وما ارسلنا من قبلك من رسول و
لا نبي الآية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ
القرآن واحكم آياته ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه الله تعالى

من قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومن ذلك ما
روي من قصة يونس عم انه وعد قومه بالعذاب عن ربه
فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا
فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك الله ان ليس في خبر من الاخبار
الواردة في هذا الباب ان يونس عم قال لهم ان الله مهلكهم
وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك مصبحكم وقت كذا وكذا فكان
ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم قال الله
تعالى الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الآية
وروي في الاخبار انهم رأوا دلائل العذاب ومخائله قاله
ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى الثوب
القبر فان قلت فما معنى ما روي من ان عبد الله بن ابي
سرح كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا
وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا حيث اريد كان
يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي
في حديث آخر فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب
كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول له
اكتب عليما حكيما فيقول له اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب
كيف شئت وفي الصحيح عن انس ان نصرانيا كان يكتب للنبي
صلى الله عليه وسلم بعدما اسلم ثم ارتد كافرا وكان يقول
ما يدري محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق
ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل
الحكاية اولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية
عمن ارتد وكفر بالله تعالى ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم
فكيف بكافر قد افترى هو ومثله على الله تعالى ورسله
ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية

ان تحقق

الحكاية سنره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين
مفتر على الله ورسوله ولم يرد عن احد من المسلمين ولا ذكر
احد من الصحابة انه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله ورسوله
وانما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك
هم الكاذبون الآية وما وقع من ذكرها في حديث انس
ظاهر حكايتها فليس فيه ما يدل انه شاهدها ولعله حكى ما سمع
وقد علل البزار حديثه ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم
يتابع عليه ورواه حميد عن انس قال واظن حميدا انما
سمعه من ثابت قال القاضي ابو الفضل رحمه الله ولهذا
والله اعلم لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد والصحيح
حديث عبد العزيز بن رفيع عن انس الذي خرجه اهل
الصحة وذكرناه وليس فيه عن انس قول شيء من ذلك
من قبل نفسه الا من حكايته عن المرتد النصراني ولو كانت
صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهين للنبي صلى الله
عليه وسلم فيما اوحي اليه ولا جواز للنسيان والغلط
عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم القرآن وانه
من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب
قال له عليم حكيم او كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل
على الرسول قبل اظهار الرسول لها اذ كان ما تقدم مما املاه
الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب
على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته
كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته
او مبتدأ الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق ذلك
في آية ولا سورة وكذلك قوله عليه السلام ان صح

ولا توهين صح

في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك صح

كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع
الآيات وجهان وقراءتان أنزلتا جميعاً على النبي
صلى الله عليه وسلم فأملى إحداهما وتوصل الكاتب
بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام إلى الأخرى فذكرها للنبي
قبل ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لها كما قدمناه
فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم ثم أحكم الله من ذلك
ما أحكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع
الآي مثل قوله تعالى إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم
فإنك أنت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة
فإنك أنت الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك
جاءت كلمات على وجهين في غير المقاطع قرأ بهما معاً الجمهور
وثبتتا في المصحف مثل وانظر إلى العظام كيف ننشزها و
ننشرها ويقص الحق ويقضي الحق وكل هذا لا يوجب ريباً
ولا ينسب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطاً ولا وهماً وقد
قيل إن هذا يحتمل أن يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله
عليه وسلم إلى الناس غير القرآن فيصف الله ويسميه في
ذلك كيف شاء فصل هذا القول فيما طريقه البلاغ وأما
ما سبيله سبيل البلاغ من الأخبار التي لا مستند لها إلى الـ
الأحكام ولا أخبار المعاد ولا تضاف إلى وحي بل في أمور
الدنيا وأحوال نفسه فالذي يجب اعتقاده تنزيه النبي
صلى الله عليه وسلم عن أن يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف
مخبره لا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً وأنه معصوم من ذلك في
حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه
ودليل ذلك اتفاق السلف وإجماعهم عليه وذلك أنا نعلم من
الصحابة وعادتهم مبادرتهم إلى تصديق جميع أحواله والثقة

الثقة بجميع أخباره في أي باب كانت وعن أي شيء وقعت
وأنه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها فلا توقف ولا
استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو أم لا ولما احتج
ابن أبي الحقيق اليهودي على عمر رضي الله عنه حين أجلاهم من (اخراج)
خيبر بإقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر
بقوله صلى الله عليه وسلم كيف بك إذا أخرجت من خيبر فقال
له اليهودي كانت هزيلة من أبي القاسم فقال عمر كذبت يا عدو
الله وأيضاً فإن آثاره وأخباره وسيره وشمائله صلى الله
عليه وسلم معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها
استدراكه صلى الله عليه وسلم بغلط في قول قاله أو اعترافه
بوهم في شيء أخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته
عليه السلام رجوعه عما أشار به على الأنصار في تلقيح النخل و
كان ذلك رأياً لا خبراً وغير ذلك من الأمور التي ليست
من هذا الباب كقوله عليه السلام إني والله لا أحلف
على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا فعلت الذي حلفت عليه
وكفرت عن يميني وقوله إنكم تختصمون إلي الحديث وقوله
صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين
كل ما في هذا من مشكل هذا الباب والذي بعده إن شاء الله
تعالى مع أشباهها وأيضاً فإن الكذب متى عرف من أحد
في شيء من الأخبار بخلاف ما هو على أي وجه كان استريب
بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعاً ولهذا
ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة
وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وأيضاً فإن تعمد
الكذب في أمور الدنيا معصية والإكثار منه كبيرة بإجماع
مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة

يعيب

الواحدة منه فيما يُستشنع ويُشنّع مما يخلّ بصاحبها ويُزري
بقائلها لاحقة بذلك وأما فيما لا يقع هذا الموقع فان عددناها
من الصغائر فهل تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه
والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره وسهوه وعمده
اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جاء
به النبي صلى الله عليه وسلم وتجويز شيء من هذا قادح في
ذلك ومشكك فيه ومناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين
بانه لا يجوز على الانبياء خلف في القول في وجه من الوجوه
لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز
ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز
عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في امورهم واحوال
دنياهم لان ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر القلوب
عن تصديقهم بعد وانظر احوال عصر النبي صلى الله عليه وسلم
من قريش وغيرها من الامم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه
وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف واتفق اهل النقل
على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم من قبل ومن بعد وقد ذكرنا
من الآثار فيه في الباب الثاني اول الكتاب ما يبين لك صحة
ما اشرنا اليه فصل فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم
في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحق ابراهيم بن
جعفر قال ثنا القاضي ابو الاصبغ بن سهل قال ثنا حاتم بن محمد
ثنا ابو عبد الله بن الفخار ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا
يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن ابي سفيان مولى ابن
ابي احمد انه قال سمعت ابا هريرة يقول صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلوة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين
فقال أقصرت الصلوة يا رسول الله أم نسيت فقال

١٦٥

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي
الرواية الاخرى ما قصرت وما نسيت الحديث بقصته
فاخبر بنفي الحالتين وانهما لم يكونا وقد كان احد ذلك
كما قال له ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله
فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء في ذلك اجوبة بعضها
بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية التعسف
والاعتساف وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط
فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذي زيفناه
من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه واما على
مذهب من يمنع السهو والنسيان في افعاله جملة ويرى انه
في مثل هذا عامد لصورة النسيان ليسن فهو صادق
في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول
تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله
وهو قول مرغوب عنه نذكره في موضعه واما على احالة
السهو عليه في الاقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه
القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبي صلى الله
عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار القصر فحق
وصدق باطنا وظاهرا واما النسيان فاخبر صلى الله عليه و
سلم عن اعتقاده وانه لم ينس في ظنه فكانه قصد الخبر
بهذا عن ظنه وان لم ينطق به وهو صدق ايضا ووجه
ثان ان قوله ولم انس راجع الى السلام اي اني سلمت قصدا
وسهوت عن العدد اي لم اسه في نفس السلام وهذا محتمل
فيه بعد ووجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم
وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع
القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ

بناء على قول تجويز السهو في الافعال دون الاقوال

خلافه مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله صلى الله
عليه وسلم ما قصرت الصلوة ولا نسيت هذا ما رأيت
فيه لائمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل للفظ على بعد
بعضها وتعسف الآخر منها قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله والذي اقول ويظهر لي انه اقرب من هذه
الوجوه كلها ان قوله لم انس انكار للفظ الذي نفاه
عن نفسه وانكره على غيره بقوله بئس ما لاحدكم ان يقول
نسيت آية كذا وكذا ولكنه نسي وبقوله في بعض
روايات الحديث الآخر لست انسى ولكن انسى فلما قال
له السائل أقصرت الصلوة ام نسيت انكر قصرها كما كان
والنسيان هو من قبل نفسه انه ان كان جرى شيء من ذلك
فقد نسي حتى سئل عنه غيره فتحقق انه نسي واجري عليه
ليسن فقوله صلى الله عليه وسلم على هذا لم انس ولم تقصر وكل
ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة لكنه
نسي ووجه آخر استثرته من كلام المشايخ وذلك انه قال
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى لذلك
نفى عن نفسه النسيان لانه غفلة وآفة والسهو انما هو شغل بال
قال فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل
عنها وكان يشغله عن حركات الصلوة ما في الصلوة شغلا
بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله
صلى الله عليه وسلم ما قصرت وما نسيت خلف وعندي ان
قوله عليه السلام ما قصرت ولا نسيت بمعنى الترك الذي هو
احد وجهي النسيان اراد والله اعلم اني لم اسلم من الركعتين
تاركا لاكمال الصلوة ولكني نسيت ولم يكن ذلك من
تلقاء نفسي والدليل على ذلك قوله عم في الحديث الصحيح اني

اني لانسى او انسى لاسن واما قصة كلمات ابراهيم المذكورة
في الحديث انها كذباته الثلاث المنصوص منها في القرآن منها
اثنان قوله اني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك
عن زوجته انها اختي في الاسلام فاعلم اكرمك الله ان هذه
كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة
في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب اما قوله اني
سقيم فقال الحسن وغيره معناه سأسقم اي ان كل مخلوق معرض
لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل
بل سقيم بما قدر علي من الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده
من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تأخذه عند طلوع
نجم معلوم فلما رآه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب
بل هو خبر صحيح صدق وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما
اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها وانه
كان اثناء نظره في ذلك وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم و
مرض مع انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف
في استدلاله عليهم وسقم نظره كما قال حجة سقيمة ونظر معلول
حتى الهمه الله تعالى باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب
والشمس والقمر ما نصه الله تعالى وقد قدمنا بيانه واما قوله
بل فعله كبيرهم هذا الآية فانه علق خبره بشرط نطقه كانه
قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا
صدق ايضا فلا خلف واما قوله اختي فقد بين في الحديث
وقال فانك اختي في الاسلام وهو صدق والله
تعالى يقول انما المؤمنون اخوة فان قلت فهذا النبي صلى
الله عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابراهيم الا
ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته

اه فاعتذر بهذا

خطابا لسلطان الجبار

فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب ان كان حقا
في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف
باطنها اشفق ابراهيم عليه السلام بمؤاخذته بها واما الحديث كان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورّى بغيرها فليس
فيها خلف في القول انما هو ستر لمقصده لئلا يأخذ عدوه
حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث
عن اخباره والتعريض بذكره لا انه يقول تجهزوا الى غزوة
كذا او وجهتنا الى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن
والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت فما معنى
قول موسى ع م وقد سئل اي الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب
الله عليه ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه فقال تعالى بل
عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك وهذا خبر قد انبأ الله تعالى انه
ليس كذلك فاعلم انه وقع في هذا الحديث من بعض طرقه
الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان
جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق ولا خلف فيه ولا شبهة
وعلى الطريق الآخر فحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به
لان حاله في النبوة والاصطفا يقتضي ذلك فيكون اخباره
بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد
يريد بقوله انا اعلم بما يقتضيه وظائف النبوة من علوم
التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم
منه بامور اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام الله من علوم غيبه
كالقصص المذكور في خبرهما فكان موسى ع م اعلم على الجملة بما
تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى
وعلمناه من لدنا علما وعتب الله ذلك عليه فيما قاله العلماء
انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة

الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا
وذلك والله اعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في
تزكية نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما يتضمنه من
مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي
والدعوى وان تنزه عن هذه الرذائل الانبياء عليهم السلام
فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك نيلها الا من عصمه الله
فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال عليه السلام
تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد آدم ولا فخر
وهذا الحديث احدى حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه انه
اعلم من موسى ولا يكون الولي اعلم من النبي واما الانبيا
فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته عن امري فدل
انه يوحى ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله
بامر نبي آخر وهذا يضعف لانه ما علمنا انه كان في زمن
موسى نبي غيره الا اخاه هرون وما نقل احد من اهل
الاخبار في ذلك ايضا شيئا يعول عليه واذا جعلناه اعلم
منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص وفي قضايا
معينة لم تحتج الى اثبات نبوة خضر ولهذا قال بعض
كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله تعالى والخضر
اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال آخر انما الجئ موسى الى
الخضر للتاديب لا للتعليم فصل واما ما يتعلق بالجوارح
من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا
الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا يخرج الاعتقاد بالقلب فيما
عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المخصوصة به فاجمع
المسلمون على عصمة الانبيا من الفواحش والكبائر
الموبقات ومستند الجمهور في ذلك الاجماع الذي ذكرناه

ابي اسحق

وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع
الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحق وكذلك
لا خلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في
التبليغ لان كل ذلك تقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع
على ذلك من الكافة والجمهور قائل بانهم معصومون
من ذلك من قبل الله تعالى معتصمون باختيارهم وكسبهم
الا حسينا النجار فانه قال لا قدرة لهم على المعاصي اصلا
واما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم من الخلف
على الانبياء وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء
والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت
طائفة اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها
منهم ولم يأت في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت
طائفة اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم
من الصغائر كعصمتهم من الكبائر وقالوا لاختلاف الناس
في الصغائر وتعيينها من الكبائر واشكال ذلك وقول ابن
عباس وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة وانه انما سمي
منها الصغيرة بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة الباري
في اي امر كان يجب كونه كبيرة وقال القاضي ابو محمد عبد
الوهاب لا يمكن ان يقال ان في معاصي الله سبحانه صغيرة
الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكبائر ولا يكون لها حكم
مع ذلك بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء و
المشيئة في العفو عنها الى الله عز وجل وهو قول القاضي ابي
بكر وجماعة ائمة الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء وقال بعض
ائمتنا ولا يجب على القولين ان يختلف في انهم معصومون
عن تكرار الصغائر وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا في

في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروءة واو
جبت الازراء والخساسة فهذا ايضا مما يعصم منه الانبياء
اجماعا لان مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه
وينفر القلوب عنه والانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق
بهذا ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه
من اسم المباح الى الحظر وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة
المكروه قصدا وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم من
الصغائر بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع آثارهم وسيرهم
مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك و
الشافعي وابي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا
عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى ابن خويز منداد
وابو الفرج عن مالك التزام وجوبا وهو قول الابهري
وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق وابن
سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية
على ان ذلك ندب وذهبت طائفة الى الاباحة وقيد
بعضهم الاتباع فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد
القربة ومن قال بالاباحة في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا
عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم اذ ليس كل
فعل من افعاله يتميز به من القربة والاباحة او الحظر و
المعصية ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لا سيما
على من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا من الا
الاصوليين ونزيد هذا حجة بان نقول من جوز الصغائر
ومن نفاها عن نبينا صلى الله عليه وسلم مجمعون على انه
لا يقر على منكر من قول او فعل وانه متى رأى شيئا ف
سكت عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه فكيف يكون

الاستدلال بعصمتهم من الصغائر

مقصده صح

غير قادر

هذا حاله في حق غيره ثم يجوزه ويوقعه هو في نفسه وعلى هذا
المأخذ تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل إذ الحظر
او الندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل
المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة قطعا الاقتداء
بافعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي كل
فن كالاقتداء باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ
خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع نعله واحتجاجهم برؤية
ابن عمر اياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس و
احتج غير واحد منهم في رواية غير شيء مما بابه العبادة او العادة
بقوله رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقال صلى
الله عليه وسلم هلا اخبرتها اني اقبل وانا صائم وقالت عائشة
رضي الله عنها محتجة كنت افعله انا ورسول الله صلى الله عليه
وسلم هلا اخبرتها اني اقبل وانا صائم وقال عائشة رضي الله
عنها محتجة كنت افعله انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذي اخبر بمثل هذا
عنه فقال يحل الله لرسوله ما يشاء وقال والله اني لاخشاكم
لله لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله واقتداءهم
بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل
عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر رسول الله صلى الله عليه و
سلم على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات فجائز
وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هي ماذون فيها وايديهم
كايدي غيرهم مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع
المنزلة وشرحت له صدورهم من انوار المعرفة واصطفوا
به من تعلق بالهم بالله عز وجل والدار الآخرة لا ياخذون
من المباحات الا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم

١٦٩

طريقهم ولاصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على
هذه السبيل التحق طاعة وصار قربة بنيتهم كما بينا منه اول
الكتاب طرفا في خصال نبينا صلى الله عليه وسلم فبان لك
عظيم فضل الله على نبينا وعلى سائر انبيائه صلوات الله و
سلامه عليهم اجمعين بان جعل افعالهم قربات وطاعات
بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية فصل وقد
اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم
وجوزها آخرون والصحيح ان شاء الله تنزيههم من كل
عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسئلة
تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد
تقرر الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا صلى الله
عليه وسلم قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع قبله ام لا فقال
جماعة لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على
هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ اذ الاحكام
الشرعية انما تتعلق بالاوامر والنواهي وتقرر الشريعة ثم
اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف
السنة ومقتدى فرق الامة القاضي ابو بكر الى ان طريق
العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته
انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في العادة
اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل
تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك
جملة وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه
يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين
والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واستناد ذلك الى النقل
كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى واظهر وقالت فرقة اخرى

واعلمكم بحدوده والآثار
في هذا اكثر من ان يحاط بها صح

اي قبل ان كان نبيا صلى الله عليه وسلم

بالوقف في هذه عليه السلام ترك قطع الحكم عليه بشيء في
ذلك اذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استبان عندها
في احدهما طريق النقل وهو مذهب ابي المعالي وقالت
فرقة ثالثة انه كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا
هل يتعين ذلك الشرع ام لا فتوقف بعضهم عن تعيينه و
احجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة
فمنهم من كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل
عيسى صلوات الله وسلامه عليهم فهذه جملة المذاهب في هذه
المسئلة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها
مذاهب المعينين اذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قلنا
ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى اخر الانبياء فلزمت
شريعته من جاء بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل
الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا صلى الله عليه و
سلم ولا حجة ايضا للاخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم
حنيفا وللاخر في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
فحمل هذه الاية على اتباعهم في التوحيد كقوله اولئك الذين في
هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث
ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول
من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم
في هذه الاية وشرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل
على ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله
تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول
في سائر الانبياء عليهم السلام غير نبينا صلى الله عليه وسلم
او يخالفون بينهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله في اي دليل
كل رسول بلا مرية واما من مال الى النقل فاينما تصور تقرر

١٧٠

تقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال
بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزمه بما في حجته في كل نبي
فصل هذا حكم ما يكون المخالفة فيه من الاعمال عن
قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف واما
ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف
الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك
المؤاخذة عليه فاحوال الانبياء في ترك المؤاخذة به وكونه
ليس بمعصية لهم مع اممهم سواء ثم ذلك على نوعين ما
طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم
الامة بالفعل واخذهم باتباعهم فيه وما هو خارج عن
هذا مما يختص به بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة من العلماء
حكم السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق
على امتناع ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته
من جوازه عليه قصدا او سهوا فكذلك قالوا الافعال في
هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا
لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطرو هذه
العوارض عليها يوجب التشكيك وتسبب المطاعن
واعتذروا عن احاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد
والى هذا مال ابو اسحق وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين
الى ان المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية
سهوا وعن غير قصد منه جائز عليه كما تقرر من احاديث
السهو في الصلوة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال
البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة
ذلك تناقضها واما السهو في الافعال فغير مناقض لها
ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات

القلب من سمات البشر كما قال عليه السلام انما انا بشر مثلكم
انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني نعم بل حالة النسيان
والسهو في حقه عليه السلام سبب افادة علم وتقرير شرع
كما قال عليه السلام اني لانسى او انسى لاسن بل قد روي
لست انسى ولكن انسى لاسن وهذه الحالة زيادة له في التبليغ
وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص واعراض الطعن
فان القائلين بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لا تقر على
السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور
على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول الآخرين واما
ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله عليه السلام
وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه
فالاكثر من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه
فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من
مقاساة الخلق وسياسات الامة ومعاناة الاهل وملاحظة
الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور
في الاستقلال كما قال عم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس
في هذا شيء يحط من رتبته ويناقض معجزته وذهبت طائفة الى منع
السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه عليه السلام
جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب
والمقامات ولهم في هذه الاحاديث مذاهب سنذكرها بعد هذا
ان شاء الله تعالى فصل في الكلام على الاحاديث المذكورة
فيها السهو منه عليه السلام وقد قدمنا في الفصول قبل هذا ما
يجوز فيه عليه السهو وما يمتنع واحلناه في الاخبار جملة وفي
الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه في الافعال الدنيوية
على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد في ذلك ونحن نبسط

نبسط القول فيه الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه عم
في الصلوة ثلاثة احاديث الاول حديث ذي اليدين
في السلام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه
الاحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة
الله فيه ليستن به اذ البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول وارفع
للاحتمال وشرطه ان لا يقر على هذا السهو بل يشعر به
ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وان
النسيان والسهو في الفعل في حقه عم غير مضاد للمعجزة ولا
قادح في التصديق وقد قال عليه السلام انما انا بشر مثلكم
انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال رحم الله
فلانا لقد اذكرني كذا وكذا آية كنت اسقطتهن ويروى
انسيتهن وقال عم اني لانسى او انسى لاسن قيل هذا
اللفظ شك من الراوي وقد روي اني لا انسى ولكن
انسى لاسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار الى انه
ليس بشك وان معناه التقسيم اي انسى انا او ينسيني الله
قال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل ما قالاه ان يريد اني
انسى في اليقظة وانسى في النوم او انسى على سبيل عادة
البشر من الذهول عن الشيء والسهو او انسى مع اقبالي
عليه وتفرغي له فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له
بعض السبب فيه ونفى الآخر عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر و
ذهبت طائفة من اصحاب المعاني والكلام على الحديث الى
النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلوة ولا ينسى
ذهول وغفلة وآفة والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها
والسهو شغل فكان عليه السلام يسهو في صلوته ويشغله

من اثنتين الثاني حديث ابن بحينة في القيام صح

لان النسيان صح

عن حركات الصلوة ما في الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها
عنها واحتج بقوله في الرواية الاخرى اني لا انسى وذهبت
طائفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه عليه السلام
كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض
المقاصد لا يحلى منه بطائل لانه كيف يكون متعمدا
ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم انه امر بتعمد صورة النسيان
ليسن لقوله اني لا انسى او انسى فقد اثبت احد الوجهين
الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال انما انا بشر
مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم من المحققين من
ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفرائني ولم يرتضه غيره منهم ولا
ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله اني لا انسى و
لكن انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان عنه بالجملة وانما فيه
نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت
اية كذا ولكنه نسي او نفي الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلوة
عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك
الصلوة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو
عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك يوم
الخندق اربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء
وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلوة في الخوف
اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب
الشاميين والصحيح ان حكم الصلوة في الخوف كان بعد هذا
فهو ناسخ له فان قلت فما تقول في نومه عليه السلام عن
الصلوة يوم الوادي وقد قال ان عيني تنامان ولا
ينام قلبي فاعلم ان للعلماء في ذلك اجوبة منها ان المراد
بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب الاوقات

الاوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف
عادته ويصحح هذا التاويل قوله عليه السلام في الحديث
نفسه ان الله قبض ارواحنا وقول بلال فيه ما القيت
علي نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر يريده
من اثبات حكم وتاسيس سنة واظهار شرع وكما قال في
الحديث الاخر لو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان تكون
لمن بعدكم الثاني ان قلبه عليه السلام لا يستغرقه النوم
حتى يكون منه الحدث فيه لما روي انه كان محروسا وانه
كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضا
وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم
فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد
النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل او لحدث اخر فكيف
وفي اخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت
الصلوة فصلى ولم يتوضا وقيل لا ينام قلبه من اجل انه
يوحى اليه في النوم وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه
عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال عليه السلام
ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا
فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال
اكلأ لنا الصبح وقيل في الجواب انه كان من عادته عليه السلام
التغليس بالصبح ومراعاة اول الفجر فلا يصح ممن نامت
عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة
اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته فان
قيل فما معنى نهيه عليه السلام عن قول نسيت وقد قال اني
انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال لقد اذكرني كذا
وكذا اية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض في هذا



الا الفاظا اما نهيه عن ان يقال نسيت آية كذا فمحمول على ما نسخ
حفظه من القرآن اي ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله
تعالى اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من سهو
او غفلة من قبله تذكرها صلح ان يقال فيه انسي وقد قيل ان
هذا كان منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف
الفعل الى خالقه والآخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه
واسقاطه عليه السلام لما اسقط من هذه الآيات جائز عليه
بعد بلاغ ما امر بابلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها من امته
او من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب
وترك استذكاره وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم
ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسيه منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما
ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل دوام
نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه فصل في الرد على من
اجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك اعلم ان المجوزين
للصغائر على الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين من
الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا
على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا
ظواهرها افضت بهم الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول
به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه
وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها
للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم
اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الادلة
على خطأ قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح وها
نحن نأخذ في النظر فيها ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله لنبينا
صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك

ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤ
منات وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض
ظهرك وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله لولا كتاب
من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقوله عبس وتولى
ان جاءه الاعمى الآية وما قص تعالى من قصص غيره من الانبياء
كقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى فلما آتاهما صالحا جعلا له
شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون وقوله تعالى عنه ربنا
ظلمنا انفسنا الآية وقوله عن يونس سبحانك اني كنت من
الظالمين وما ذكره من قصته صلى الله عليه وسلم وقصة داود
قوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب
الى قوله مآب وقوله تعالى ولقد همت به وهم بها وما قص
الله تعالى من قصته مع اخوته وقوله تعالى عن موسى فوكزه
موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي
صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت
وما اسررت وما اعلنت ونحوه من ادعيته صلى الله عليه وسلم
وذكر الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين في الموقف ذنوبهم
في حديث الشفاعة وقوله عم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه اني لاستغفر الله واتوب
اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح والا
تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين وقد كان قال الله تعالى
ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقال تعالى عن ابراهيم
والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله تعالى
عن موسى تبت اليك وقوله ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه هذه
الظواهر قال القاضي رحمه الله واما احتجاجهم بقوله تعالى ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهذا قد اختلف المفسرون

فيه فقيل المراد ما كان وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع
أعلمه أنه مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة وبالمتأخر
عصمتك بعدها حكاه أحمد بن نصر وقيل المراد بذلك أمته عليه السلام
وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتأويل حكاه الطبري و
اختاره القشيري وقيل ما تقدم لأبيك آدم وما تأخر من
ذنوب أمتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء وبمثله
والذي قبله يتأول قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات قال مكي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم هاهنا
هي مخاطبة لأمته وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر
أن يقول وما أدري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فأنزل
الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الآية
وبمآل المؤمنين في الأخرى بعدها قال ابن عباس رضي الله عنهما
فمقصد الآية أنك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب أن
لو كان قال بعضهم المغفرة هنا تبرئة من العيوب و
أما قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض
ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن
زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه أنه حفظ
قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لأثقلت ظهره
وحكى معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما أثقل ظهره
من أعباء الرسالة حتى تبلغها حكاه الماوردي والسلمي
وقيل المراد حططنا عنك ثقل أيام الجاهلية حكاه مكي وقيل
ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا
ذلك لك حكا معناه القشيري وقيل معناه خففنا عليك
وسعنى أنقض كاد أن ينقضه ويكون المعنى
على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى

الله عليه وسلم بأمور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد
النبوة فعدها أوزارا وثقلت عليه وأشفق منها أو يكون
الوضع عصمة الله تعالى له وكفايته من ذنوب لو كانت
لأنقضت ظهره أو يكون من ثقل الرسالة أو ما ثقل عليه
وشغل من أمور الجاهلية وإعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظ
من وحيه وأما قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم فأمر
لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد
معصية ولا عده الله تعالى عليه معصية بل لم يعده
أهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب إلى ذلك قال نفطويه
وقد حاشاه الله تعالى من ذلك بل كان مخيرا في أمرين قالوا
وقد كان له أن يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه وحي فكيف وقد
قال الله تعالى له فأذن لمن شئت منهم فلما أذن لهم أعلمه الله
تعالى بما لم يطلع عليه من سرهم أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا وأنه
لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما
قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق
ولم تجب عليهم قط أي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال
إنما يقول العفو لا يكون إلا عن ذنب من لم يعرف كلام
العرب قال ومعنى عفا الله عنك أي لم يلزمك ذنبا قال
الداودي روي أنها تكرمة وقال مكي هو استفتاح كلام
مثل أصلحك الله وأعزك الله وحكى السمرقندي أن معناه
عافاك الله وأما قوله في أسارى بدر ما كان لنبي أن يكون
له أسرى الآيتين فليس فيه إلزام ذنب للنبي صلى الله
عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فكأنه قال ما كان هذا لنبي
غيرك كما قال صلى الله عليه وسلم أحلت لي الغنائم

متاع دنیا

تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا الآية قيل المعنى بالخطاب من اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما فاختلف المفسرون في معنى هذه الآية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال لولا انكم مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن احلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه السلام قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاؤوا القتل وان شاؤوا الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري وقوله صلى

صلى الله عليه وسلم في هذه القصة لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رايه وراي من اخذ بماخذه في اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه القصة لو استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل اليه فيه وقد نزهه الله تعالى عن ذلك وقال القاضي بكر بن العلاء اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ان تاويله وافق ما كتبه له من احلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عاتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسارى كان على تاويل وبصيرة وعلى ما قد تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب او انكار او تذنيب هذا معنى كلامه واما قول الله عز وجل عبس وتولى الآيات فليس فيها اثبات ذنب له صلى الله عليه وسلم بل اعلام الله تعالى ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى كان لو كشف لك حال الرجلين الاختار الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله عز وجل وتبليغا عنه واستئلافا

لكما شرحه الله تعالى لا لمعصية ومخالفة له وما قصه الله
تعالى عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر
عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله تعالى وما عليك
الا يزكى وقيل المراد بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي
صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام واما قصة آدم عليه السلام
وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا
من الظالمين وقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى
عليه بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه فغوى اي جهل وقيل
اخطأ فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا
الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال ابن زيد نسي عداوة
ابليس له وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو لك
ولزوجك الآية وقيل نسي ذلك بما اظهر لهما من النصيحة
قال ابن عباس انما سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي
وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف
ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف
بالله تعالى حانثا وقد روي عذر آدم بمثل هذا في بعض
الآثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن
يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم
نجد له عزما اي قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان
العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان عند اكله سكرانا وهذا
فيه ضعف لان الله وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا
كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك اذا كان ملبسا عليه غالطا
اذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف
وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن ان يكون
ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم

ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان
الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل اكلها متأولا
وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه تأول نهي الله
تعالى عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت
التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول ان
الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد
قال الله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وقال تعالى فتاب عليه
وهدى وقوله في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه واني نهيت
عن اكل الشجرة فعصيت فسيأتي الجواب عنه وعن اشباهه
مجملا آخر الفصل ان شاء الله تعالى واما قصة يونس عم
فقد مضى الكلام على بعضها آنفا وليس في قصة يونس عم
نص على ذنب وانما فيه ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا
عليه وقيل انما نقم الله تعالى عليه خروجه عن قومه فارا
من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا
الله عنهم قال والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل
كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف
عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم وهذا
كله ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه وقوله
تعالى اذ ابق الى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد — تباعد عن قومه
واما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء
في غير موضعه فهذا اعتراف منه بذنبه فاما ان يكون لخروجه
عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب
على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ وقال الواسطي
في معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه
اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول آدم وحواء ربنا ظلمنا

انفسنا او كان السبب في وضعها غير الموضع الذي امرا به
واخراجهما من الجنة وانزالهما الارض واما قصة داود فلا يجب ان
يلتفت الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين
بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى
على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله تعالى
عليه قوله وظن داود انما فتناه الى قوله وحسن مآب وقوله
فيه اواب فمعنى فتناه اي اختبرناه واواب قال قتادة مطيع
وهذا التفسير اولى قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد
داود على ان قال للرجل انزل لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه
الله تعالى على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا
الذي ينبغي ان يعول عليه من امره وقد قيل خطبها على خطبته
وقيل بل احب ان يستشهد وحكى السمرقندي ان ذنبه الذي
استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول خصمه
وقيل بل لما خشيه على نفسه وظن من الفتنة بما بسط له من
الملك والدنيا والى نفي ما اضيف في الاخبار الى داود من
ذلك ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين
قال الداودي ليس في قصة داود واوريا خبر يثبت ولا
يظن بنبي محبة قتل مسلم وقيل ان الخصمين اللذين اختصما اليه
رجلان في نعاج غنم على ظاهر الآية واما قصة يوسف
واخوته فليس على يوسف فيها تعقب اما اخوته فلم تثبت
نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم
في القرآن عند ذكر الانبياء قال المفسرون يريد من
نبئ من ابناء الاسباط وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا
بيوسف ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا
يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا

غدا نرتع ونلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله
اعلم واما قوله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها لولا ان
رأى برهان ربه فعلى طريق كثير من الفقهاء والمحدثين ان
هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة لقوله صلى الله
عليه وسلم عن ربه عز وجل اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها
كتبت له حسنة فلا معصية في همه اذا واما على مذهب
المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت
عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من
همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون
ان شاء الله تعالى هم يوسف يكون قوله وما ابرئ نفسي
الآية اي ما ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك منه على
طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي
قبل وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة
ان يوسف لم يهم اصلا وان الكلام فيه تقديم وتأخير
اي ولقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها
وقد قال الله تعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه
فاستعصم وقد قال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء
والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت هيت
لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الآية قيل
في ربي الله وقيل الملك وقيل هم بها اي بزجرها
ووعظها وقيل هم بها اي غمها امتناعه عنها وقيل هم بها
اي نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله
قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف ميل
شهوة حتى نبأه الله تعالى فالقى عليه هيبة النبوة
فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه واما خبر موسى عم

مع قبطي الذي وكزه فقد نص الله تعالى انه من عدوه وقيل
كان من القبط الذين كانوا على دين فرعون ودليل السورة
في هذا كله انه قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه بالعصا
ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل
الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك
من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يؤمر وقال النقاش لم
يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه
قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة
وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء
بعد ابتلاء قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل
القاؤه في التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك
اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار
اذا خلصتها واصل الفتنة معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه
استعمل في عرف الشرع في اختبار ادى الى ما يكره وكذلك ما روي في
الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث
ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا يجب له
اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان موسى دافع عن
نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور له في صورة آدمي ولا
يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة
ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له فيها
الملك امتحانا من الله عز وجل فلما جاءه بعد واعلمه الله انه
رسوله اليه ليقبضه استسلم وللمتقدمين والمتأخرين على هذا الحديث
اجوبة هذا اسدها عندي وهو تأويل شيخنا الامام ابي عبد الله
المازري رحمه الله وقد تأوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه
ولطمه بالحجة وفقء عين حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب

الباب في اللغة معروف واما قصة سليمان وما حكى فيها
اهل التفسير من ذنبه وقوله تعالى ولقد فتنا سليمان فمعناه
ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع وتسعين كلهن يأتين
بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله
فلم يقل فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال
ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله قال اصحاب المعاني والشق
هو الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته
ومحنته وقيل بل مات فالقي على كرسيه ميتا
وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لانه لم يستثن لما
استغرقه الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته ان سلب
ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه على
خصمهم وقيل اوخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح
ما نقله الاخباريون من خرافاتهم عما فعله ومن تشبه
الشياطين به وتسلطه على ملكه وتصرفه في امته بالجور في
حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم
الانبياء من مثله وان سئل لم لم يقل سليمان في القصة المذكورة
ان شاء الله فعنه اجوبة اسدها ما روي في الحديث الصحيح انه
نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله والثاني انه لم يسمع
صاحبه وشغل عنه وقوله تعالى وهب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان غيرة على الدنيا ولا
نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون
ان لا يسلط عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذي
سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك وقيل

قصة نوح عليه السلام

بل اراد ان يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كما
كاختصاص غيره من انبياء الله ورسله بخواص منه وقيل
ليكون ذلك له دليلا وحجة على نبوته كالانة الحديد لابيه داود
واحياء الموتى بعيسى واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم
بالشفاعة الكبرى ونحوه واما قصة نوح عليه السلام فظا
فظاهرة العذر وانه اخذ فيها بالتاويل وظاهر اللفظ
بقوله تعالى من كل زوجين اثنين فاهلك فطلب مقتضى
هذا اللفظ واراد علم ما طوى عنه من ذلك لا انه شك في وعد
الله تعالى فبين الله تعالى بحقيقة انه ليس من اهله الذين
وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه انه
مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاخذ بهذا
التاويل وعتب عليه واشفق هو من اقدامه على ربه لسؤاله
ما لم يؤذن له في السؤال فيه وكان نوح عليه السلام فيما
حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الاية غير هذا وكل
لا يقتضي على نوح معصية سوى ما ذكرناه من تاويله اقدامه
بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهى عنه وما روي في الصحيح
من ان نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل فاوحى الله اليه
ان قرصتك نملة احرقت امة من الامم تسبح فليس في هذا
الحديث ما يقتضي ان هذا الذي اتى معصية بل فعل ما راه
مصلحة وصوابا فقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما
اباح الله تعالى الا ترى ان هذا النبي كان نازلا تحت شجرة
فلما اذته النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الاذى عليه وليس
فيما اوحى الله اليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه الى احتمال الصبر
وترك التشفي كما قال الله تعالى ولئن صبرتم فهو خير للصابرين
اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها اذته هو في خاصته فكان

فكان انتقاما للنفس وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل
هناك ولم يات في كل هذا امر نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما
اوحى الله اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله اعلم
فان قيل فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم ما من احد الا الم
بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا او كما قال صلى الله عليه و
سلم فالجواب عنه كما تقدم من ذنوب الانبياء التي وقعت
عن غير قصد وعن سهو وغفلة فصل فان قلت فاذا
نفيت عنهم عليهم الصلوة والسلام الذنوب والمعاصي
بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتاويل المحققين في معنى
قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى وما تقرر في القرآن والحديث
الصحيح من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم
وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب
ويستغفر من لا شيء فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة
في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظيم
سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق
من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم
ينهوا عنها ولا امروا بها ثم اخذوا وعوتبوا بسببها او حذروا
من المؤاخذة بها واتوها على وجه التاويل والسهو او
تزيد من امور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي
ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم ومعاص بالنسبة
الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان
الذنب ماخوذ من الشيء الدني الرذل ومنه ذنب كل
شيء اي اخره واذناب الناس رذالهم فكان هذه ادنى
افعالهم واسوء ما يجري من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم و
عمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب

الذكر الظاهر والخفي والخشية لله تعالى واعظامه في السر والعلانية
واما غيرهم فيتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما يكون
بالاضافة اليها هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات
الابرار سيئات المقربين اي بره نها بالاضافة الى علي احوالهم
كالسيئات كذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى
مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سهو او تاويل فهو مخالفة
وترك وقوله غوى اي جهل ان تلك الشجرة هي التي نهي
عنها والغي الجهل وقيل اخطأ ما طلب من الخلد واذا اكلها و
خابت امنيته وهذا يوسف عم قد اخذ بقوله لاحد صاحبي
السجن اذكرني عند ربك فانسيه الشيطان ذكر ربه فلبث
في السجن بضع سنين قيل انه انسي يوسف ذكر الله تعالى
وقيل انسي صاحبه ان يذكره لسيده الملك قال النبي صلى الله
عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث
قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من
دوني وكيلا لاطيلن حبسك فقال يا رب انسى قلبي كثرة
البلوى وقال بعضهم يؤاخذ الانبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم
عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم في اضعاف
ما اتوا به من سوء الادب قد قال المحتج للفرقة الاولى على
سياق ما قلنا اذا كان الانبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ
به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم
اذا في هذا اسوء حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت
لك المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول انهم
يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة لهم في درجاتهم
ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم كما
قال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال تعالى لداود

لداود فغفرنا له ذلك الآية وقال تعالى بعد قول موسى
تبت اليك انى اصطفيتك على الناس وقال تعالى بعد ذكر
فتنة سليمن وانابته فسخرنا له الريح الى قوله وحسن مآب
قال بعض المتكلمين زلات الانبيا في الظاهر زلات وفي حقيقة
في الحقيقة كرامات وزلف واشار الى نحو ما قدمناه وايضا
فلينبه غيرهم من البشر منهم او ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم
بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر
على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا
النصاب الرفيع المعصوم فكيف من سواهم ولهذا قال
صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين وقال ابن عطاء لم
ما نص الله تعالى من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن
استزادة من نبينا صلى الله عليه وسلم وايضا فيقال لهم
فانكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر باجتناب
الكبائر ولا خلاف في عصمة الانبيا من الكبائر فما جوزتم
من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة
بها اذا عندكم وخوف الانبيا وتوبتهم منها وهي مغفورة
لو كانت فما اجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة بافعال السهو
والتاويل وقد قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله
عليه وسلم وتوبته وغيره من الانبيا على وجه ملازمة
الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله تعالى على نعمه
كما قال صلى الله عليه وسلم وقد امن من المؤاخذة بما تقدم
وما تاخر افلا اكون عبدا شكورا وقال صلى الله عليه وسلم
اني لاخشاكم لله واعلمكم بما اتقي قال الحارث بن اسد خوف
الملائكة والانبيا خوف اعظام وتعبد لله لانهم آمنون
قيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم وتستن بهم اممهم كما قال

صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم
كثيراً وايضاً فان في التورية والاستغفار معنى آخر لطيفاً اشار
اليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله تعالى قال الله تعالى
ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فاحداث الرسل و
الانبياء عليهم السلام للاستغفار والتوبة والانابة والاوبة
في كل حين استدعاء لمحبة الله تعالى والاستغفار فيه معنى التوبة
وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بعد ان غفر له
ما تقدم وما تأخر من ذنبه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار الآية وقال تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره
انه كان تواباً

فصل

قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق
من عصمته صلى الله عليه وسلم عن الجهل بالله او صفاته
او كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد
النبوة عقلاً واجماعاً وقبلها سمعاً ونقلاً ولا بشيء
مما قرره من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي
قطعاً عقلاً وشرعاً وعصمته عن الكذب وخلف القول
منذ نبأه الله تعالى وارسله قصداً او غير قصد واستحالة
ذلك عليه شرعاً واجماعاً ونظراً وبرهاناً وتنزيهه عنه
قبل النبوة قطعاً وتنزيهه عن الكبائر اجماعاً وعن الصغائر
تحقيقاً وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط
والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من
رضى او غضب وجد ومزح فيجب عليك ان تتلقاه باليمين
ولتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها
وتعلم عظيم فائدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي صلى الله
عليه وسلم او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يأمن
ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب

لا يجب ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط
في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد
ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط النبي
صلى الله عليه وسلم على الرجلين اللذين رأياه ليلاً وهو معتكف
في المسجد مع صفية فقال لهما انها صفية ثم قال لهما ان
الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت ان
يقذف في قلوبكما شيئاً فتهلكا هذه اكرمك الله احدى فوائد
ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلاً لا يعلم بجهله اذا سمع
شيئاً منها يرى ان الكلام فيها جملة من فضول العلم وان السكوت
اولى وقد استبان لك انه متعين للفائدة التي ذكرناها و
فائدة ثانية يضطر اليها في اصول الفقه ويبتني عليها مسائل
لا تنعد من الفقه ويتخلص بها من تشغيب مختلفي الفقهاء
في عدة منها وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم
وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير من اصول الفقه ولا بد
من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في اخباره
وبلاغه انه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في افعاله
عمداً وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال
الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفائدة
ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى النبي صلى الله
عليه وسلم شيئاً من هذه الامور ووصفه بها فمن لم يعرف
ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف
يصمم على الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص
او مدح فاما ان يجترئ على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقاً
ويضيع حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم فيهلك وبسبيل هذا
ما اختلف ارباب الاصول وائمة العلماء والمحققين في عصمة

الملائكة فصل في القول في عصمة الملائكة قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله اجمع المسلمون ان الملائكة مؤمنون
فضلاء واتفق ائمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين
سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبياء
والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم واختلفوا في غير المرسلين
منهم فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا
بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وبقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وبقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون
وانا لنحن المسبحون وبقوله تعالى ومن عنده لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وبقوله تعالى ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن
عبادته ويسبحونه وله يسجدون وقوله تعالى كرام بررة
وقوله لا يمسه الا المطهرون ونحوه من السمعيات وذهبت
طائفة الى ان هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا
باشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله
تعالى بعد ونبين الوجه فيها ان شاء الله تعالى والصواب
عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من
رتبتهم ومنزلتهم عن جليل رتبتهم ومقدارهم ورأيت
بعض شيوخنا اشار الى ان لا حاجة بالفقيه الى الكلام
في عصمتهم وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة
الانبياء من الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في
الاقوال والافعال فهي ساقطة ههنا فمما احتج به من لم يوجب
عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل
الاخبار ونقلة المفسرين وما روي عن علي وابن

عباس رضي الله عنهم في خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك الله ان
هذه الاخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وليس هو شيئا يؤخذ بقياس والذي منه في
القرآن اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم
فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود
وافترائهم كما نص الله تعالى اول الآيات من افترائهم بذلك على
سليمن وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة
فها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الاشكالات ان شاء
الله تعالى قال القاضي ابو الفضل فاختلف اولا في هاروت
وماروت هل هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين
ام لا وهل القراءة ملكين ام ملكين وهل ما في قوله وما انزل
على الملكين وقوله وما يعلمان من احد نافية او موجبة
فاكثر المفسرين ان الله امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر
وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه فقد كفر ومن تركه آمن
قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم
انذار اي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه
يفرق بين المرء وزوجه ولا تتخيلوا بكذا فانه سحر فلا تكفروا
بفعل هذا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا
به ليس بمعصية ولغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد
بن ابي عمران انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما
يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرأ بعضهم وما
انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على
جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكره غيره
انهما مأذون لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه
امتحان من الله وابتلاء فكيف لا ننزههما عن كبائر المعاصي

والكفر المذكور في تلك الاخبار وقول الله لم ينزل يريد ان ما نافية
وهو قول ابن عباس قال مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمن يريد
بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود وما
ما انزل على الملكين قال مكي قيل هما جبريل وميكائيل بل ادعى اليهود [نافية]
عليهما المجيء به كما ادعوا عليه سليمن عليه السلام فاكذبهم الله
في ذلك بقوله ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس
السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ٧ [بسحر ...]
علجان من اهل بابل وقرئ وما انزل على الملكين بكسر اللام
ويكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراءة عبد الرحمن بن ابزى
بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمن ويكون
ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل
فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراءة بكسر اللام
شاذة فمحمل الاية على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملائكة
ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله
بانهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم و
مما يذكرونه قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورئيسا
فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه وانه استثناه من الملائكة
بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل
الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما ان آدم ابو البشر
هو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب
كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الارض حين
افسدوا والاستثناء من غير جنس شائع في كلام العرب
سائغ وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن [شايع]
ومما رووه في الاخبار ان خلقا من الملائكة عصوا الله
فحرقوا وامروا ان يسجدوا لآدم فابوا فحرقوا ثم آخرون

[فيل هما رجلان تقماه قال الحسن هاروت وماروت علجان]

[١٩٢]

آخرون كذلك حتى سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار
لا اصل لها ترده صحاح الاخبار فلا نشتغل بها والله الموفق
الباب الثاني فيما يخصهم في الامور الدنيوية ويطرأ عليهم
من العوارض البشرية قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
قد قدمنا انه عليه السلام وسائر الانبياء والرسل صلى الله
عليه وسلم من البشر وان جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز
عليه من الآفات والتغيرات والآلام والاسقام وتجرع
كاس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيهم
لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم منه
واكمل من نوعه وقد كتب الله على اهل هذه الدار فيها تحيون
وفيها تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع البشر بدرجة الغير
فقد مرض صلى الله عليه وسلم واشتكى واصابه الحر والقر [والقر] وادركه
الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله الاعياء و
التعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشجه
الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم
وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان
والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها واصاب غيره
من الانبياء ما هو اعظم منها فقتلوا قتلا ورموا في النار و
نشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الاوقات
ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا صلى الله عليه وسلم
من الناس فلئن لم يكف نبينا عليه السلام ربه يد ابن قمئة
يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته اهل الطائف
فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه الى ثور وامسك
سيف غورث وحجر ابي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه

من سحر لبيد بن الاعصم فلقد وقاه ما هو اعظم منه من سم
اليهودية وهكذا سائر الانبياء مبتلى ومعافى وذلك من تمام
حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين امرهم ويتم
كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس
عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب
على ايديهم ضلالة النصارى بعيسى وليكون في محنتهم
تسلية لاممهم ووفور لاجورهم عند ربهم تماما على الذي
احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغييرات
المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها
مقاومة البشرية ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس واما
بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة
بالملأ الاعلى والملائكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم
قال وقد قال عليه السلام ان عيني تنامان ولا ينام
قلبي وقال صلى الله عليه وسلم اني لست كهيئتكم اني ابيت
يطعمني ربي ويسقيني وقال اني لست انسى ولكن انسى
ليستن بي فاخبر ان سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه
وظاهره وان الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع
وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره من البشر
في حكم الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه
وهو صلى الله عليه وسلم في نومه حاضر القلب كما هو في
يقظته حتى جاء في بعض الآثار انه كان محروسا من الحدث
في نومه لان قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره اذا جاع
ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية
جملته وهو صلى الله عليه وسلم قد اخبر انه لا يعتريه ذلك
وانه بخلافهم لقوله اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي

ربي ويسقيني قال القاضي رحمه الله وكذلك اقول انه في هذه
الاحوال كلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه
ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما
يعتري غيره من البشر ممن نزل به شيء منها مما نأخذ بعد في
بيانه ان شاء الله تعالى فصل فان قلت فقد جاءت
الاخبار الصحيحة انه عليه السلام سحر كما حدثنا الشيخ ابو محمد
العتابي بقراءتي عليه قال حدثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن علي
بن خلف ثنا محمد بن احمد ثنا محمد بن يوسف ثنا البخاري
ثنا عبيد الله بن اسماعيل قال ثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة
عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها قالت سحر رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله وفي رواية
اخرى حتى كان يخيل اليه انه كان يأتي النساء ولا يأتيهن الحديث (وهو المراد بالسحر)
واذا كان هذا من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبي
صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم
فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد
طعنت فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها
على امثالها الى التشكيك في الشرع وقد نزه الله الشرع
والنبي صلى الله عليه وسلم عما يدخل في امره لبسا وانما السحر
مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز عليه كانواع الامراض
مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته واما ما ورد انه كان صلى الله
عليه وسلم يخيل اليه انه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا
ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه او شريعته او يقدح
في صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما
هذا فيما يجوز طروه عليه في امر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا
فضل من اجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر

فغير

فغير بعيد ان يخيل اليه من اموره ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه
كما كان وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر من قوله
حتى يخيل اليه انه يأتي اهله ولا يأتيهن وقد قال سفيان هذا
اشد ما يكون من السحر ولم يأت في خبر منها انه نقل عنه في ذلك
قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما كانت خواطر
وتخيلات وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يتخيل الشيء
انه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته
كلها على السداد واقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه لائمتنا
من الاجوبة عن هذا الحديث مع ما اوضحنا من معنى كلامهم
وزدناه بيانا في تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر
لي في الحديث تأويل اجلى وابعد من مطاعن ذوي الاضاليل
يستفاد من نفس الحديث وهو ان عبد الرزاق قد روى
هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما
سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه
في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينكر بصره
ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وروي نحوه عن
الواقدي عن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم وذكر عن
عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا هو نائم اتاه ملكان فقعد
احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث وقال عبد
الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة سنة
حتى انكر بصره وروى محمد بن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما
مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس عن النساء و
الطعام والشرب فهبط عليه ملكان وذكر القصة فقد
استبان لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما

تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله
انه انما اثر في بصره وحبسه عن وطء نسائه وطعامه وضعف
جسمه وامرضه ويكون معنى قوله يخيل اليه انه يأتي اهله
ولا يأتيهن اي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء
فاذا دنى منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن
كما يعتري من اخذ واعترض ولعله لمثل هذا اشار سفيان بقوله
وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة رضي الله عنها
في الرواية الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله من
ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه رأى شخصا من
بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما
اصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء طرأ عليه في ميزه
واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له وتأثيره
فيه ما يدخل عليه لبسا ولا يجد به الملحد المعترض انسا
فصل هذه حاله في جسمه واما احواله في امور الدنيا
فنحن نسبرها على اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل
اما العقد منها فقد يعتقد في امور الدنيا الشيء على وجه
ويظهر خلافه او يكون منه على شك او ظن بخلاف
امور الشرع كما حدثنا ابو بحر سفيان العاص وغيره
واحد سماعا وقراءة قالوا ثنا ابو العباس احمد بن عمر قال
ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد بن عمرويه ثنا ابن سفيان
ثنا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري واحمد المعقري
قالوا ثنا النضر بن محمد قال حدثني عكرمة ثنا ابو النجاشي
قال ثنا رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل فقال ما تصنعون
قالوا كنا نصنعه فقال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه

فنقصت فذكروا ذلك له فقال انما بشيء من رأيي فانما
انا بشر مثلكم فاذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوا به واذا ا
مرتكم بشيء من رأيي فانما انا بشر مثلكم وفي رواية انس
انتم اعلم بامر دنياكم وفي حديث آخر انما ظننت ظنا فلا
تؤاخذوني بالظن وفي حديث ابن عباس في قصة
الخرص فقال عليه السلام انما انا بشر مثلكم فما حدثتكم عن الله
فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما انا بشر اخطئ و
اصيب هذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في امور
الدنيا وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في
شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن اسحق انه صلى الله
عليه وسلم لما نزل بادنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر
أهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ام هو الرأي
الحرب والمكيدة قال لا بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال
فانه ليس بمنزل انهض حتى نأتي ادنى ماء من القوم فننزله
ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون
فقال اشرت بالرأي وفعل ما قاله وقد قال الله تعالى وشاورهم
في الامر واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة
فاستشار الانصار فلما اخبروه برأيهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه
من امور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها
ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه اذ ليس في هذا كله نقيصة
ولا محطة وانما هي امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها
همه وشغل نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون
القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة
مقيد البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية ولكن هذا
انما يكون في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله

سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن
بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه عليه السلام من المعرفة
بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها وما
هو معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا
الكتاب فصل واما ما يعتقده في امور احكام البشر الجارية
على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من
المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه السلام انما انا بشر وانكم
تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي
له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له من حق اخيه بشيء فلا يأخذ
منه فانما اقطع له قطعة من النار حدثنا الفقيه ابو الوليد ثنا
الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو عمر ثنا ابو محمد ثنا ابو بكر ثنا ابو داود
ثنا محمد بن انا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب
ام سلمة عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الحديث وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم
ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه صادق فاقضي له
وتجري احكامه عليه السلام على الظاهر وموجب غلبات الظن
بشهادة الشاهدين ويمين الحالف ومراعاة الاشبه
ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فانه
تعالى لو شاء لاطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر امته
فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف او
بينة او شبهة ولكن لما امر الله امته باتباعه والاقتداء به في
افعاله واقواله واحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص
بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء
من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته
لانا لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه هو اذا في ذلك

بالمكنون من اعلام الله له بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه
الامة فاجرى الله تعالى احكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك
هو وغيره من البشر ليتم اقتداء امته به في تعيين قضاياه وتنزيل
احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك على علم ويقين من سنته اذ
البيان بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ و
تأويل المتأول وكان حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح
وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام
وليقتدي بذلك كله حكام امته ويستوثق بما يؤثر عنه و
ينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب
الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من
ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستأثر بما شاء ولا
يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته فصل واما
اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله
او فعله فقد قدمنا ان الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال و
على اي وجه من عمد او سهو او صحة او مرض او رضا او غضب وانه معصوم
منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق
والكذب فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها
منه في الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه
مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره وكما روي عن ممازحته ودعابته
لبسط امته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيدا
في تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة و
قوله للمرأة التي سألته عن زوجها اهو الذي بعينه بياض
وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض
وقد قال عليه السلام اني لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما
بابه الخبر فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في الامور

الدنيوية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه ان يأمر احدا
بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال عليه السلام
ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فكيف ان يكون له خائنة
قلب فان قلت فما معنى اذا في قصة زيد قوله تعالى واذ تقول
للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك الاية
فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن هذا الظاهر وان يأمر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه
اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه اهل
التفسير عن علي بن حسين ان الله تعالى كان اعلم نبيه صلى
الله عليه وسلم ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه
زيد قال له امسك عليك زوجك واتق الله واخفى منه في
نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره
بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن فائد عن الزهري
قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله يزوجه
زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه ويصحح هذا قول
المفسرين في قوله بعد هذا وكان امر الله مفعولا اي لا بد لك ان
تتزوجها ويوضح هذا ان الله تعالى لم يبد من امره معها غير زواجه
لها فدل انه الذي اخفاه صلى الله عليه وسلم مما كان اعلمه
به تعالى في القصة ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله
له سنة الله الاية فدل انه لم يكن عليه حرج في الامر قال الطبري
ما كان الله ليؤثم نبيه فيما احل له مثال فعله لمن قبله من الرسل
قال الله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل اي من
النبيين فيما احل لهم ولو كان على ما روي في حديث قتادة
من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه عندما اعجبته و
محبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مد

عينيه لما نهي عنه من زهرة الحيوة الدنيا ولكان هذا الحسد
المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الاتقيا فكيف سيد الانبيا
قال القشيري وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق
النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال راها فاعجبته
وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النسا
يحتجبن منه عليه السلام وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق
زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة
التبني وابطال سنته كما قال الله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم
وقال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم
الآية ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي
فان قيل فما الفائدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها
فهو ان الله عز وجل اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي صلى الله
عليه وسلم عن طلاقها اذ لم يكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه
الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امراة ابنه فامره
الله بزواجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون
على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم الآية وقيل كان امره لزيد
بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا
عليه انه راها فجاة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع
عليه ابن آدم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاة معفو عنها ثم
قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات
التي في القصة والتعويل والاولى ما ذكرناه عن علي بن حسين
حكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضي
القشيري وعليه عول ابو بكر بن فورك وقال انه معنى ذلك
عند المحققين من اهل التفسير قال والنبي صلى الله عليه وسلم
منزه عن استعمال النفاق في ذلك واظهار خلاف ما في نفسه وقد

قد نزهه الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبي من
حرج فيما فرض الله له وقال من ظن ذلك بالنبي صلى الله
عليه وسلم فقد اخطا قال وليس معنى الخشية هنا الخوف
وانما معناه الاستحياء اي يستحيي منهم ان يقولوا تزوج زوجة
ابنه وان خشيته عليه السلام من الناس كانت من ارجاف
المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج
زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما كان فعتبه
الله على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله له كما عتبه على
مراعات رضى ازواجه في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله
لك الآية كذلك قوله ههنا وتخشى الناس والله احق ان تخشيه
وقد روي عن الحسن وعايشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الآية لما فيها من عتبه وابداء
ما اخفاه فصل فان قلت قد تقررت عصمته عم في اقواله
في جميع احواله وانه لا يصح منها خلف ولا اضطراب في عمد ولا
سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضا ولا غضب
فما معنى الحديث في وصيته عليه السلام الذي حدثنا به القاضي
الشهيد ابو علي رحمه الله قال ثنا القاضي ابو الوليد قال ثنا ابو ذر
قال ثنا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحق قالوا ثنا محمد بن يوسف
ثنا محمد بن اسماعيل قال ثنا علي بن عبد الله ثنا عبد الرزاق انا
معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال
لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال
النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده
فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع
الحديث في رواية ايتوني اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده
ابدا فتنازعوا فقالوا ما له اهجر استفهموه فقال دعوني فان الذي

انما فيه هجر وفي بعض طرقه فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم يهجر و
في رواية هجر ويروى اهجر ويروى اهجرا وفيه فقال عمر ان
النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله
حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف اهل
البيت واختصموا فمنهم من يقول ما قال عمر قال في هذا الحديث ان
النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الامراض وما يكون من
عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرأ على جسمه ومعصوم
ان يكون منه من القول اثناء ذلك ما يطعن في معجزته ويؤدي
الى فساد في شريعته من هذيان واختلال في كلام وعلى هذا لا يصح
ظاهر رواية من روى في الحديث هجر اذ معناه هذى يقال هجر
هجرا اذا هذى واهجر هجرا اذا افحش واهجر تعدية هجر وانما
الاصح اهجر على طريق الانكار على من قال لا يكتب وهكذا
روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة
في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سالم عن
ابن عيينة وكذا ضبطه الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من
هذه الطرق وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان
وغيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف الف
الاستفهام والتقدير اهجر او ان يحمل على قول القائل هجر
او اهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من
حال الرسول وشدة وجعه صلى الله عليه وسلم وهول المقام
الذي اختلف فيه عليه والامر الذي هم بالكتاب فيه حتى
لم يضبط هذا القائل لفظه واجرى الهجر مجرى شدة الوجع
لانه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على حراسته
والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا واما على
اهجرا وهي رواية ابي اسحق المستملي في الصحيح في حديث ابن

جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا الى
المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم
اي جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه
هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق وقد
اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد امره لهم
بان يأتوه بالكتاب فقال بعضهم اوامر النبي صلى الله عليه وسلم
يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن
قوله عليه السلام لبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا
كف عنه اذ لم تكن عزمة ولما راوه من صواب راي عمر رضي الله عنه
ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر اما اشفاقا على النبي صلى الله
عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال املاء الكتاب وان تدخل
عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اشتد به الوجع وقيل خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها
فيحصلون في الحرج بالمخالفة ورأى ان الارفق بالامة في تلك
الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الثواب فيكون للمصيب
والمخطئ اجرا وقد علم عمر تقرر الشرع وتأسيس الملة وان الله
تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم وقوله صلى الله عليه وسلم اوصيكم
بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه
لا على امر النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل خشي عمر تطرق المنافقين
ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة وان يتقولوا
في ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك وقيل
انه كان من النبي صلى الله عليه وسلم لهم على طريق المشورة والاختبار
هل يتفقون على ذلك ام يختلفون فلما اختلفوا تركه وقالت
طائفة اخرى ان معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا انه ابتدأ بالامر به بل

اقتضاه منه بعض اصحابه فاجابه رغبتهم وكره ذلك غيرهم
للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القصة بقول العباس
لعلي رضي الله عنهما انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان كان الامر فينا علمناه وكراهة علي هذا وقوله والله لا افعل
الحديث واستدل بقوله دعوني فان الذي انا فيه خير من ارسال
الامر وترككم وكتاب الله وان تدعوني لما طلبتم وذكر ان الذي
طلب كتابه امر الخلافة بعده وتعيين ذلك فصل فان
قيل فما وجه حديثه ايضا الذي حدثناه الفقيه ابو محمد الخشني
بقرائتي عليه قال حدثنا ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي
ثنا ابو احمد الجلودي قال ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم بن
الحجاج ثنا قتيبة ثنا ليث عن سعيد بن ابي سعيد عن سالم
مولى النصريين قال سمعت ابا هريرة رضي الله عنه يقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انما
محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني قد اتخذت عندك
عهدا لن تخلفنيه فايما مؤمن آذيته او سببته او جلدته فاجعلها
له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وفي رواية فايما
احد دعوت عليه دعوة وفي رواية ليس لها باهل وفي رواية
فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له
زكاة وصلاة ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبي صلى الله
عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب
ويجلد من لا يستحق الجلد او يفعل مثل ذلك عند الغضب
وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك ان قوله صلى
الله عليه وسلم اولا ليس لها باهل اي عندك يا رب في باطن
امره فان حكمه عليه السلام على الظاهر كما قال صلى الله عليه وسلم
وللحكمة التي ذكرناها فحكم عليه السلام بجلده او ادبه بسبه او لعنه

بما اقتضاه

لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا عليه السلام لشفقته
على امته ورأفته ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله بها وحذره
ان يتقبل الله فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل دعاءه عليه ولعنه
له رحمة فهو معنى قوله ليس لها باهل لا انه صلى الله عليه وسلم
يحمله الغضب ويستفزه الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه
من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله يغضب كما
يغضب البشر ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز ان
يكون المراد بهذا ان الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه او سبه
وانه كان مما يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما خير بين المعاقبة
فيه والعفو عنه وقد يحتمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته
الخوف والحذر من تعدي حدود الله فيكون وقد يحمل ما ورد
من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد في غير موطن على
غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة العرب ليس المراد
بها الاجابة كقوله تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك و
عقرى حلقى وغيرها من دعواته وقد ورد في صفته عليه السلام
في غير حديث انه عليه السلام لم يكن فحاشا وقال انس لم يكن
سبابا ولا فاحشا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة
ماله ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق عم
من موافقة امثالها اجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث ان
يجعل ذلك للمقول له زكوة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك
اشفاقا على المدعو عليه وتأنيسا له لئلا يلحقه من استشعار
الخوف والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه
ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون ذلك سؤالا منه
لربه لمن جلده او سبه على حق وبوجه صحيح ان يجعل ذلك له

كفارة لما اصاب. وتمحيصه لما اجترم وان يكون عقوبته له في الدنيا
سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الآخر ومن اصاب من
ذلك شيئاً فعوقب به فهو له كفارة فان قلت فما معنى غضب
الزبير وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصم مع الانصاري
في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصاري
ان كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث
فالجواب ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه عن ان يقع بنفس
مسلم منه في هذه القضية امر يريب لكنه عليه السلام ندب الزبير
اولاً الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح
فلما لم يرض بذلك الآخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي
صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على
هذا الحديث باب اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم و
ذكر في آخر الحديث فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حينئذ للزبير حقه وقد جعل المسلمون هذا الحديث اصلاً
في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله
في حال غضبه ورضاه وانه وان نهى ان يقضي القاضي وهو
غضبان فانه في حكمه في حال الغضب والرضا سواء لكونه
فيهما معصوماً وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا انما كان
لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح وكذلك الحديث
في اقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتعديه حمله الغضب عليه بل
وقع في الحديث نفسه ان عكاشة قال له وضربتني بالقضيب
فلا ادري اعمداً ام اردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اعيذك بالله يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله

صلى الله عليه وسلم وكذلك في حديثه الآخر مع الاعرابي
حين طلب عليه السلام الاقتصاص منه فقال الاعرابي قد
عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط
لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد اخرى والنبي صلى الله عليه وسلم
ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يأبى فضربه بعد ثلاث
مرات وهذا منه عليه السلام لمن لم يقف عند نهيه صواب
وموضع ادب لكنه عليه السلام اشفق اذ كان حق نفسه حتى
عفا عنه واما حديث سواد بن عمرو اتيت النبي صلى الله
عليه وسلم وانا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشيني
بقضيب في يده في بطني فاوجعني قلت القصاص يا رسول الله
فكشف لي عن بطنه فانما ضربه عليه السلام لمنكر رآه به ولعله لم يرد
بضربه بالقضيب الا تنبيهه فلما كان منه ايجاع لم يقصده طلب
التحلل على ما قدمناه فصل واما افعاله عليه السلام الدنيوية
فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن جواز
السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة
بل ان هذا فيها على الندور اذ عامة افعاله على السداد والصواب
بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بيناه
اذ كان عليه السلام لا يأخذ منها لنفسه الا ضرورته وما يقيم رمق
جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته و
يسوس امته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين
معروف يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه
او تألف شارد او قهر معاند او مداراة حاسد وكل هذا
لاحق بصالح اعماله منتظم في زواكي وظائف عباداته وقد كان
صلى الله عليه وسلم يخالف في افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال
ويعد للامور اشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار في اسفاره

الراجلة وقد يركب البغلة في معارك الحرب ليلا على الثبات
ويركب الخيل ويعدها يوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك في
لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح امته وكذلك
يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة وكراهة لخلافها
وان كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله
خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور الدينية مما له الخيرة في احد
وجهيه كخروجه من المدينة لاحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه
قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية
للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لان يقول الناس ان محمدا يقتل
اصحابه كما جاء في الحديث الصحيح وتركه بناء الكعبة على قواعد ابراهيم
مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار
قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله فقال
لعائشة رضي الله عنها في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر
لاتممت البيت على قواعد ابراهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون
غيره خيرا منه كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها للعدو من
قريش وكقوله صلى الله عليه وسلم لو استقبلت من امري ما
استدبرت لما سقت الهدي ويبسط وجهه للعدو والكافر رجاء
استئلافه ويصبر للجاهل ويقول ان من شرار الناس من اتقاه
الناس لشره ويبذل له الرغائب ليحبب اليه شريعته ودينه
ويتولى في منزله ما يتولاه الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه حتى
لا يبدو منه شيء من اطرافه وحتى كان على رؤوس جلسائه الطير
يتحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه
ويضحك مما يضحكون منه وقد وسع الناس بشره وعدله
لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جليسه يقول
ما يقول ما كان لنبي ان يكون له خائنة الاعين فان قلت فما

فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم المعابسة في الداخل عليه بئس
ابن العشيرة فلما دخل عليه الان له القول وضحك معه فلما
سألته عن ذلك قال ان من شر الناس من اتقاه الناس
لشره وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره
ما قال فالجواب ان فعله عليه السلام كان استئلافا لمثله وتطييبا
لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه ويراه
مثله فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد
خرج من حد مداراة الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان صلى
الله عليه وسلم يستألفهم باموال الله العريضة فكيف بالكلمة
اللينة قال صفوان بن امية لقد اعطاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار احب
الخلق الي وقوله عليه السلام فيه بئس ابن العشيرة هو غير
غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز
منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا
ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان
جائزا بل واجبا في بعض الاحيان كعادة المحدثين في تجريح
الرواة والمزكين في الشهود فان قيل فما معنى المعضل الوارد
في حديث بريرة من قوله عليه السلام لعائشة وقد اخبرته
ان موالي بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء فقال لها
النبي صلى الله عليه وسلم اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت
ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست
في كتاب الله كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى
الله عليه وسلم امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم
لما باعوها من عائشة كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم
ابطله وهو قد حرم الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان

ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا
ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيا
الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر طرق الحديث و
مع ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى
اولئك لهم اللعنة وقال تعالى وان اسأتم فلها فعلى هذا
اشترطي عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم
ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك و
ثانيا ان قوله عليه السلام لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على
التسوية والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي
صلى الله عليه وسلم لهم قبل ان الولاء لمن اعتق فكانه صلى الله
عليه وسلم قال اشترطي او لا تشترطي فانه شرط غير نافع والى
هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم و
تقريعهم على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث ان معنى
قوله اشترطي لهم الولاء اي اظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته ان
الولاء لمن اعتق ثم بعد هذا قام عليه السلام مبينا ذلك وموبخا على
مخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى قول يوسف عليه السلام
باخيه اذ جعل السقاية في رحله واخذه باسم سرقتها وما جرى على
اخوته في ذلك قوله انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم اكرمك
الله ان الآية تدل على ان فعل يوسف عم كان عن امر الله لقوله
تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا
ان يشاء الله الآية فاذا كان ذلك فلا اعتراض به فيه كان فيه وايضا
فان يوسف كان اعلم اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس فكان ما
جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له
به وازاحة السوء والمضرة عنه بذلك واما قوله ايتها العير انكم
لسارقون فليس من قول يوسف فيلزم منه جواب كل

شبهة ولعل قائله ان حسن له التأويل كائنا من كان ظن على
صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف
وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان نقول الانبياء ما لم يأت انهم قالوه
حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم
فصل فان قيل فما الحكمة في اجراء الامراض وشدتها عليه
وعلى غيره من الانبياء على جميعهم السلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله
به من البلايا وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب ويعقوب و
دانيال ويحيى وزكريا وعيسى وابراهيم ويوسف وغيرهم صلوات
الله وسلامه عليهم اجمعين وهم خيرته من خلقه واحباؤه و
اصفياؤه فاعلم وفقنا الله واياك ان افعال الله كلها عدل
وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم
لننظر كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين ونبلو اخباركم فامتحانه تعالى اياهم بضرو
بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب
لاستخراج حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل و
التفويض والدعاء والتضرع منهم وتأكيد لبصائرهم في رحمة
الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة
لسواهم ليتأسوا في البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم و
يقتدوا بهم في الصبر ومحو لهنات فرطت منهم او غفلات
سلفت لهم وليلقوا الله مهذبين طيبين وليكون اجرهم
اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدثنا القاضي ابو علي الحافظ ثنا
ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا ثنا ابو يعلى
البغدادي ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى
الترمذي ثنا قتيبة ثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن

مصعب بن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول الله اي
الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى
الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي
على الارض ما عليه خطيئة وكما قال الله تعالى وكاين من نبي
قاتل معه ربيون كثير الآيات الثلث وعن ابي هريرة ما يزال
البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما
عليه خطيئة وعن انس عنه اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة
في الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي
به يوم القيمة وفي حديث آخر اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع
تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم على الله تعالى
كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روي
عن لقمان قال يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمؤمن
يختبر بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه
التفاته في صلاته اليه ويوسف نائم محبة له وقيل اجتمع
يوما هو وابنه يوسف على اكل حمل مشوي وهما يضحكان وكان
لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له
لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب
بالبكاء اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت
عيناه من الحزن فلما علم ذلك كان بقية حياته يأمر مناديا
ينادي على سطحه الا من كان مفطرا فليتغد عند آل يعقوب
وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله تعالى عليها وروي
عن الليث ان سبب بلاء ايوب عم انه دخل مع اهل قريته
على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا له الا ايوب فانه رفق به مخافة
على زرعه فعاقبه الله ببلائه ومحنة سليمان عم لما ذكرناه من
في كون الحق في جنبة اصهاره او للعمل بالمعصية في داره ولا علم

لا علم عنده وهذه ايضا فائدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى
الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت الوجع على
احد اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله
رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه وهو يوعك وعكا
شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا قال اني اوعك
كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل
ذلك كذلك وفي حديث ابي سعيد ان رجلا وضع يده على النبي
صلى الله عليه وسلم فقال والله ما اطيق اضع يدي عليك من
شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا معاشر الانبياء
يضاعف لنا البلاء ان كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان
النبي ليبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون
بالرخاء وعن انس عنه عليه السلام ان عظم الجزاء مع عظم البلاء
وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن
سخط فله السخط وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا
يجز به ان المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة وروي
مثل هذا عن عائشة رضي الله عنها وابي ومجاهد وقال ابو هريرة
رضي الله عنه عنه عليه السلام من يرد الله به خيرا يصب منه وفي
رواية عائشة ما من مصيبة تصيب المسلم الا يكفر الله بها عنه
حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية ابي سعيد ما يصيب المسلم من
نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة
يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود
ما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما تحات ورق
الشجر وحكمة اخرى اودعها الله في الامراض لاجسامهم وتعاقب
الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم
فيسهل خروجها عند قبضهم وتخفف عليهم مؤنة النزع وشدة

السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك
بخلاف موت الفجاءة واخذه كما يشاهد من اختلاف احوال
الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد قال
عليه السلام مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا
وهكذا وفي رواية ابي هريرة من حيث اتتها الريح تكفؤها
فاذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن تكفؤه بالبلاء ومثل
الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله معناه ان
المؤمن مرزأ مصاب بالبلاء والامراض راض بتصريفه بين اقدار
الله تعالى منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة سخطه
كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها و
ترنحها من حيث اتتها فاذا اراح الله عن المؤمن رياح البلاء
واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح
الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا
رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل لم يصعب عليه
مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه
لعادته بما تقدمه من الآلام ومعرفة ما له من الاجر وتوطينه
نفسه على المصائب ورقتها وضعفها بتوالي الامراض او
شدتها والكافر بخلاف هذا معافا في غالب حاله ممتع
بصحة جسمه كالارزة الصماء حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه
لحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان
موته اشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه
صحة جسمه اشد الما وعذابا ولعذاب الآخرة اشد كما
كانجعاف الارزة وكما قال الله تعالى فاخذناهم بغتة وهم
لا يشعرون وكذلك عادة الله في اعدائه كما قال تعالى فكلا
اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته

اخذته الصيحة الآية ففجأ جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة
وصبحهم به على غير استعداد وبغتة ولهذا ما كره السلف كانوا
يكرهون موت الفجاءة ومنه في حديث ابراهيم كانوا يكرهون
اخذة كاخذة الاسف اي الغضب يريدون موت الفجاءة
وحكمة ثالثة ان الامراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة
الخوف من نزول الموت فيستعد من اصابته وعلم تعاهد حاله
للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الانكاد ويكون قلبه
معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله وقبل
العباد ويؤدي الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصيته
فيمن يخلفه او امر يعهده وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له
ما تقدم من ذنبه وما تاخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان
له عليه مال او حق في بدن واقاد من نفسه وماله وامكن من
القصاص من نفسه على ما ورد في حديث الفضل وحديث
الوفاة واوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالانصار
عيبته ودعا الى كتب كتاب لئلا تضل امته بعده اما في
النص على الخلافة او الله اعلم بمراده ثم رأى الامساك عنه
افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين واوليائه
المتقين وهذا كله يحرمه غالبا الكفار لاملاء الله لهم ليزدادوا
اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الله تعالى
ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية ولا الى اهلهم يرجعون ولذلك قال عليه السلام في
رجل مات فجاءة سبحان الله كانه على غضب المحروم من حرم
وصيته وقال الفجاءة راحة للمؤمنين واخذة اسف للكافر
او الفاجر وذلك لان الموت ياتي المؤمن وهو غالبا
مستعد له منتظر لحلوله فهان امره عليه كيف ما جاء وافضى

اسهل

الى راحة من نصب الدنيا وأذاها كما قال عليه السلام مستريح ومستراح منه ويأتي الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت اشد شيء عليه وفراق الدنيا افظع امر صدمه واكره شيء له والى هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه السلام قال القاضي ابو الفضل رحمه الله قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل متنقصه من المسلمين وسابه قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا وقال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال الله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال تعالى في تحريم التعريض له يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الآية وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو عليه السلام

السلام واجب الرعاية في كل حال وهذا هو عليه السلام قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان النبي صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا ابا القاسم فقال لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره لمن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزئون ذريعة الى اذاه والازراء به فينادون فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى عليه السلام حمى اذاه بكل وجه فحمل محققوا العلماء نهيه عن هذا على مدة حيوته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعه وما ذكرناه فهو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله وان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينهه عن اسمه لانه قد كان الله منع من ندائه به بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله يا نبي الله وقد يدعونه بكنيته اي ابا القاسم بعضهم في بعض الاحوال وقد روى انس عنه عليه السلام ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروي ان عمر كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبري وحكى محمد بن سعد انه نظر الى رجل اسمه محمد ورجل يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب لا ارى محمدا عليه السلام يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن واراد ان يمنع لهذا ان يسمى احد باسماء الانبياء اكراما لهم بذلك وغير اسماء جماعة وقال لا تسموا باسماء الانبياء ثم امسك والصواب جواز

هذا كله بعده عليه السلام بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى
جماعة منهم ابنه محمداً وكناه بابي القاسم وروي ان النبي صلى الله
عليه وسلم اذن في ذلك لعلي رضي الله عنه وقد اخبر عليه السلام ان
ذلك اسم المهدي وكنيته وقد سمى به النبي صلى الله عليه وسلم
محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن ثابت بن قيس وغير واحد
وقال ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وقد
فصلت الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمناه الباب الاول
في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب او نقص من تعريض او
نص قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اعلم وفقنا الله واياك
ان جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم او عابه او الحق به
نقصاً في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرض به او شبهه
بشيء على طريق السب له او الازراء عليه او التصغير لشانه او
الغض منه والعيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما
نبينه ولا نستثني فصلاً من فصول هذا الباب على هذا المقصد
ولا نمتري فيه تصريحاً كان او تلويحاً وكذلك من لعنه او دعا عليه
او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم
او عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من
القول وزور او عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه
ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله
اجماع من العلماء وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله
عليهم الى هلم جراً قال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من
سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك
بن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق
رضي الله عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة

حنيفة واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي في المسلم
لكنهم قالوا هي ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى
الطبري مثله عن ابي حنيفة واصحابه فيمن تنقص النبي صلى الله
عليه وسلم او برئ منه او كذبه وقال سحنون فيمن كذبه وسبه
صلى الله عليه وسلم ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع
الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حد او كفر كما سنبينه ان
شاء الله في الباب الثاني ولا نعلم خلافاً في استباحة دمه
بين علماء الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع
على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد
الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه
قال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم
المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند
الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه فقد كفر واحتج
ابراهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد
بن الوليد مالك بن نويرة لقوله عن النبي صلى الله
عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمان الخطابي لا اعلم احداً
من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلماً وقال
ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط و
العتبية وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب
من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب
قال ابن القاسم في العتبية او شتمه او عابه او تنقصه فانه
يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله
توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم
النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب ومن
رواية ابي المصعب ابن ابي اويس سمعنا مالكاً يقول من

سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه او
تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب وفي كتاب محمد
اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم
او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ
يقتل على كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته
لا تعرف وقال ابن عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى
الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري
مثله عن اشهب عن مالك وروى ابن وهب عن مالك من قال
ان رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي صلى الله
عليه وسلم وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء على
من دعا على نبي من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه انه
يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن القابسي فيمن قال في
النبي صلى الله عليه وسلم الحمال يتيم ابي طالب ثم لعن
بالقتل وافتى ابو محمد ابن ابي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون
صفة النبي صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه و
اللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي في صفة هذا المار
في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس
يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن سليمان صاحب سحنون
من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود قتل وقال في
رجل قيل له لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله كذا وكذا
وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال اشد من
كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله العقرب فقال ابن ابي
سليمان للذي سأله اشهد عليه وانا شريكك يريد في قتله و
ثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لان ادعاءه التأويل في لفظ
صراح لا يقبل لانه امتهان وهو غير معظم لرسول الله صلى الله

الله تعالى عليه وسلم ولا موقر فوجب اباحة دمه وافتى ابو عبد
الله بن عتاب في عشار قال لرجل اد وعليك واشك الى
النبي صلى الله عليه وسلم وان سألت وجهلت فقد جهل
وسأل النبي بالقتل وافتى فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الط
الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة
وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها الى
اشباه لهذا وافتى فقهاء القيروان واصحاب سحنون بقتل
الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن
يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت
عليه امور منكرة من هذا الباب في الاستهزاء بالله وانبيائه
ونبينا عليه الصلوة والسلام فاحضر له القاضي يحيى بن عمر
وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب
منكسا ثم انزل وحرق بالنار وحكى بعض المؤرخين انه لما
رفعت خشبته وزالت عنها الايدي استدارت وتحولت
عن القبلة فكان آية للجميع الناس وكبر وجاء كلب فولغ في دمه
فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
حديثا عنه عليه السلام انه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم
قال القاضي ابو عبد الله المرابط من قال ان النبي صلى الله
عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص
اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين
من عصمته وقال حبيب بن الربيع القروي مذهب مالك واصحابه
ان من قال فيه عليه السلام ما فيه نقص قتل دون استتابة
وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد
النبي صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا

وان قتل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا و
تنقصا يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متاخرهم
وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه وكذلك
اقول حكم من غمصه او عيره برعاية الغنم او السهو او النسيان
او السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او
اذى من عدوه او شدة من زمنه او بالميل الى نسائه
فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب
العلماء في ذلك وما يدل عليه فصل في الحجة في ايجاب قتل
من سبه او عابه عليه السلام فمن القرآن لعنه تعالى لمؤذيه
في الدنيا والآخرة وقرانه تعالى اذاه باذاه ولا خلاف
في قتل من سب الله وان اللعن انما يستوجبه من هو كافر
وحكم الكافر القتل فقال ان الذين يؤذون الله ورسوله
الآية وقال في قاتل المؤمن مثل ذلك فمن لعنته في
الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا
وقتلوا تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك
لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله
تعالى قتل الخراصون قاتلهم الله اي لعنهم ولانه فرق بين
اذاهما واذى المؤمنين وفي اذى المؤمنين ما دون القتل
من الضرب والنكال فكان حكم مؤذي الله ونبيه اشد
من ذلك وهو القتل وقال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية فسلب اسم الايمان عمن
وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه
فقد ناقض هذا وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي الى قوله ان تحبط اعمالكم ولا
يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل وقد قال الله تعالى

تعالى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم
يصلونها فبئس المصير وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي
ويقولون هو اذن ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم
وقال تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله
قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله
صلى الله عليه وسلم واما الاجماع فقد ذكرناه واما الآثار فحدثنا
الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابي ذر
الهروي اجازة قال حدثنا ابو الحسن الدارقطني وابو عمر بن
حيويه قالا ثنا محمد بن نوح ثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسين
بن زبالة ثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى
عن ابيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه
ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح امر النبي صلى
عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف وقوله عليه السلام من لكعب
بن الاشرف فانه يؤذي الله ورسوله ووجه اليه من قتله غيلة
دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل باذاه له فدل
ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وكذلك قتل ابا رافع
قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه
وكذلك امره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا
تغنيان بسبه عليه السلام وفي حديث آخر ان رجلا كان يسبه
عليه السلام فقال من يكفيني عدوي فقال خالد انا فبعثه النبي صلى
الله عليه وسلم فقتله وكذلك امر بقتل جماعة ممن كان يؤذيه من
الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط وعهد
جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا الا من بادر باسلامه قبل
القدرة عليه وقد روى البزار عن ابن عباس ان عقبة بن

إلى معيط نادى يا معشر قريش ما لي أقتل من بينكم صبرا فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذكر عبد الرزاق أن النبي صلى الله عليه وسلم سبه
رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير أنا فبارزه فقتله
الزبير وروي أيضا أن امرأة كانت تسبه عليه السلام فقال
من يكفيني عدوتي فخرج إليها خالد بن الوليد فقتلها وروي
أن رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا و
الزبير إليه ليقتلاه وروى ابن قانع أن رجلا جاء إلى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت أبي يقول فيك قولا
قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ
المهاجر بن أبي أمية أمير اليمن لأبي بكر رضي الله عنه أن امرأة هناك
في الردة غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها و
نزع ثنيتها فبلغ أبا بكر ذلك فقال له لولا ما فعلت لأمرتك
بقتلها لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس
هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال
من لي بها فقال رجل من قومها أنا يا رسول الله فنهض فقتلها
فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا ينتطح فيها عنزان
وعن ابن عباس أن أعمى كانت له أم ولد تسب النبي صلى الله
عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت
تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها وأعلم النبي
صلى الله عليه وسلم بذلك فأهدر دمها وفي حديث أبي برزة
الأسلمي كنت يوما جالسا عند أبي بكر الصديق فغضب على
رجل من المسلمين وحكى القاضي إسمعيل وغير واحد من الأئمة
في هذا الحديث أنه سب أبا بكر ورواه النسائي أتيت أبا بكر
وقد أغلظ لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله

الله دعني أضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لأحد إلا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي أبو محمد بن نصر ولم يخالف
عليه أحد فاستدل الأئمة بهذا الحديث على قتل من أغضب النبي
صلى الله عليه وسلم بكل ما أغضبه أو آذاه أو سبه ومن ذلك
كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل
سب عمر رضي الله عنه فكتب عمر إليه أنه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب
أحد من الناس فقد حل دمه وسأل الرشيد مالكا في رجل شتم النبي
صلى الله عليه وسلم وذكر أن فقهاء العراق أفتوه بجلده فغضب
مالك وقال يا أمير المؤمنين ما بقاء الأمة بعد شتم نبيها من شتم
الأنبياء عليهم السلام قتل ومن شتم أصحاب النبي صلى الله عليه و
سلم جلد قال القاضي أبو الفضل رحمه الله كذا وقع في هذه الحكاية
رواها غير واحد من أصحاب مناقب مالك ومؤلفي أخباره وغيرهم
ولا أدري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين أفتوا الرشيد بما
ذكرناه وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر
بعلم أو ممن لا يوثق بفتواه أو يميل به هواه أو يكون ما قاله
يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب أو غير سب
أو يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقتله مالك على أصله وإلا
فالإجماع على قتل من سبه أو تنقصه عليه السلام قد ظهرت
علامة مرض قلبه وبرهان طويته وكفره ولهذا ما حكم له كثير
من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والأ
وزاعي وقول الثوري وأبي حنيفة والكوفيين والقول
الآخر أنه دليل على الكفر فيقتل حدا وإن لم يحكم له بالكفر إلا
أن يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا
كفر كافر وقوله إما صريح كفر كالتكذيب ونحوه أو من
كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك توبته

استحلال م

عنها دليل الاستحلال لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر بما
بلا خلاف قال الله تعالى في شأنه يحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير
هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير وقيل
بل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل سمن كلبك
يأكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل
وقد قيل ان قائل مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه حكم ال
الزنديق يقتل ولانه قد غير دينه وقد قال عليه السلام
من غير دينه فاضربوا عنقه ولان حكم النبي صلى الله عليه
وسلم في الحرمة مزية على امته وساب الحر من امته يحد فكانت
العقوبة لمن سبه عليه السلام القتل لعظيم قدره وشفوف
منزلته على غيره فصل فان قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله
عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه
ولا قتل الآخر الذي قال له ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه
الله وقد تأذى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك و
قال قد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين
الذين كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله
واياك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام
يستألف عليه الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم
الايمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول لاصحابه انما
بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا
تعسروا واسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس
ان محمدا يقتل اصحابه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يداري
الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم ويحتمل من اذاهم
ويصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليهم وكان

كان يرفقهم بالعطاء والاحسان وبذلك امره الله تعالى فقال
تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم
واصفح ان الله يحب المحسنين وقال ادفع بالتي هي احسن
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وذلك لحاجة
الناس للتألف اول الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر
واظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله
بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله
غيلة من يهود وغيرهم او غلبة ممن لم ينظمه قبل سلك
صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان به ممن كان يؤذيه
كابن الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك نذر دم
جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن آذاه
حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة
وحكمه عليه السلام على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان
يقولها القائل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون عليها اذا
نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
وكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم
فيصبر عليه السلام على هناتهم وجفوتهم كما صبر اولوا العزم من
الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص سرا كما
اخلص جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء
واعوان وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب
بعض ائمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال وقيل لعله لم يثبت
عنده عليه السلام من اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد ومن
لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي او عبد او امرأة
والدماء لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهود في السلام
وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت عليه عائشة

ولو كان صرح بذلك لم ينفرد بعلمه لهذا نبه النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في اسلامهم
خيانتهم في ذلك ليا بالسنتهم وطعنا في الدين فقال ان
اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا عليكم
كذلك قال بعض اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يات انه قامت
بينة على نفاقهم فلهذا تركهم وايضا فان الامر كان سرا وباطنا
وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمة بالعهد
والجوار والناس قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث
من الطيب وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من
يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين اجمعين و
الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم
وما يندر منهم وعلمه بما يبدو واسروا في انفسهم لوجد المنفر ما
يقول ولارتاب الشارد وارجف المعاند وارتاع من صحبة
النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الاسلام غير واحد ولزعم
الزاعم وظن العدو الظالم ان القتل انما كان للعداوة وطلب
اخذ الترة وقد رأيت معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس
رضي الله عنه ولهذا قال عليه السلام لا يتحدث الناس ان محمدا
يقتل اصحابه وقال اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا
بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل
وشبهها لظهورها واستواء الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز
لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم و
قاله القاضي الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله
تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون
في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين

ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الآية
قال معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط
عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
نسخها ما كان قبلها وقال بعض مشيختنا لعل القائل هذه
قسمة ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله
عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له وانما رآها من وجه
الغلط في الرأي وامور الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها
فلم ير ذلك سبا ورأى انه من الاذى الذي له العفو عنه
والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود اذا
قالوا السام عليكم اذ ليس فيه صريح سب ولا دعاء الا بما
لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل
المراد تسأمون دينكم والسأم والسآمة الملال وهذا دعاء على
سآمة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث
باب اذا عرض الذمي او غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم
قال بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وانما هو تعريض
بالاذى قال القاضي ابو الفضل رحمه الله قد قدمنا ان الاذى
والسب في حقه عليه السلام سواء وقال القاضي ابو محمد بن
نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر هذا
في الحديث هل كان هذا اليهودي من اهل العهد والذمة او
الحرب ولا يترك موجب الادلة للامر المحتمل والاولى في ذلك
كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستئلاف والمداراة
على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري على حديث
القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتألف و
لئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه
قبل وقد صبر عليه السلام لهم على سحره وسمه وهو اعظم

من سنته الى ان نصره الله عليهم واذن له في قتل من عينه منهم و
انزلهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من
شاء منهم الجلاء واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم وايدي
المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير
وحكم فيهم سيوف المسلمين واجلاهم من جوارهم واورثهم
ارضهم وديارهم واموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة
الذين كفروا السفلى فان قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن
عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى
اليه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم ان هذا لا يقتضي
انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه فان هذه من حرمات الله
التي انتقم منها وانما يكون ما لا ينتقم منه له فيما يتعلق بسوء ادب
او معاملة من القول والفعل في النفس والمال مما لم يقصد
فاعله به اذاه لكن مما جبلت عليه العرب من الجفاء والجهل او جبل
عليه البشر من الغفلة كجبذ الاعرابي برداه حتى اثر في عنقه وكر
وكرفع صوت الآخر عنده وكجحد الاعرابي شراءه منه فرسه
التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجتيه عليه واشباه
هذا مما يحسن الصفح عنه وقد قال بعض علمائنا ان اذى النبي صلى
الله عليه وسلم حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره واما غيره من
الناس فيجوز بفعل مباح مما لا يجوز للانسان فعله وان تا
تاذى به غيره واحتج بعموم قوله تعالى ان الذين يؤذون الله
ورسوله وبقوله عليه السلام في حديث فاطمة انها بضعة مني
يؤذيني ما اذاها الا واني لا احرم ما احل الله ولكن لا تجتمع ابنة
رسول الله وابنة عدو الله عند رجل ابدا او يكون هذا مما اذاه
به كافرا بعد ذلك سامحه كعفوه عن اليهودي الذي سحره
وعن الاعرابي الذي اراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد

قد قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين
فصفح عنهم رجاء استيلافهم واستيلاف غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله
التوفيق فصل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تقدم الكلام
في قتل القاصد لسبه والازراء به وغمصه باي وجه كان من
ممكن او محال فهذا وجه بين لا اشكال فيه الوجه الثاني لاحق به في
البيان والجلاء وهو ان يكون القائل لما قال في جهته عليه السلام
بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز عليه او
نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه السلام نقيصة مثل ان ينسب اليه
اتيان كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة او في حكم بين الناس او
يغض من مرتبته او شرف نسبه او وفور علمه او زهده او يكذب بما اشتهر
من امور اخبر بها وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لرد خبره او ياتي
بسفه من القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في حقه
وان ظهر بدليل حاله انه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه اما لجهالة حملته
على ما قاله او لضجر او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط للسانه
او عجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول القتل
دون تلعثم اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل
اللسان ولا بشيء مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته سليما الا
من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون على ابن
حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه
وقال محمد بن سحنون في الماسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم في
ايدي العدو يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه وعن ابي محمد بن ابي زيد
لا يعذر احد بدعوى زلل في مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسي
فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لانه يظن به
انه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه
السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله

على نفسه لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان
ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه على هذا الزمنا الطلاق
والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة
وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف
النبي صلى الله عليه وسلم انه ثمل فانصرف لان الخمر كانت حينئذ
غير محرمة فلم يكن في جناياتها اثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا
عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون فصل في
الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله او اتى به او ينفي نبوته
او رسالته او وجوده او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين آخر
غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان
مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته
وعلى القول الآخر لا يسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله
عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب وغيره وان
كان مستترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا
كما سنبينه قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد او كذب به
فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع وقال ابن القاسم في المسلم اذا
قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء
تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم
وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه
فانه كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه
وقاله سحنون قال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا قال اصبغ
وهو كالمرتد لانه كفر بكتاب الله مع الفرية على الله تعالى وقال اشهب
في يهودي تنبأ وزعم انه ارسل الى الناس او قال بعد نبيكم نبي انه
يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب والا قتل وذلك لانه
مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر على

على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون
من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله فهو
كافر جاحد وقال من كذب النبي عليه السلام كان حكمه عند الائمة
القتل وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي
صلى الله عليه وسلم اسود قتل لم يكن عليه السلام باسود وقال نحوه
ابو عثمان الحداد قال لو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه كان
بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع تبديل
صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر
له زنديق يقتل دون استتابة فصل الوجه الرابع ان ياتي
من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي
صلى الله عليه وسلم او غيره او يتردد في المراد به من سلامته من
المكروه او شره فهنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف
المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك من هلك عن بينة
ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله
عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم
ودرء الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا في رجل
اغضبه غريمه فقال له صل على النبي محمد فقال له الطالب لا صلى
الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى
الله عليه وسلم او شتم الملائكة الذين عليه قال لا اذا كان على ما
وصفت من الغضب لانه لم يكن مضمرا الشتم وقال ابو
ابو اسحاق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم الناس
وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى
الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم تكن معه قرينة
تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة صلوات
وسلامه عليهم ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان

مراده الناس غيره لا لاجل قول الآخر له صل على النبي فحمل قوله
وسبه لمن يصلي عليه لان لاجل امر الآخر له بهذا عند غضبه هذا
معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه وذهب الحارث
بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقف ابو
الحسن القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان
ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى
تستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده هل
اراد اصحاب الفنادق الان فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل
فيكون امره اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق
من المتقدمين والمتاخرين وكان فيمن تقدم من الانبياء
والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر
بين وما ترد اليه التاويلات لا بد من امعان النظر فيه هذا معنى
كلامه وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله فيمن قال لعن الله
العرب ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر انه
لم يرد الانبياء وانما اردت الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر
اجتهاد السلطان وكذلك افتى فيمن قال لعن الله من حرم
المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبيع حاضر لباد
ولعن من جاء به انه ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفة بالسنن
فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب
الله ولا سب رسوله صلى الله عليه وسلم وانما لعن من حرمه من
الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه في المسئلة المتقدمة
ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض
يا ابن الف خنزير وابن مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا
شك انه يدخل في مثل هذا العدد من آبائه واجداده جماعة
من الانبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع الى آدم عليه السلام

السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الادب
فيه ولو علم انه قصد سب من في آبائه احد من الانبياء على علم
لقتل وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله
بني هاشم وقال اردت الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية
النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في آبائه او من نسله او ولده
على علم منه انه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة
في المسئلتين تقتضي تخصيص بعض آبائه واخراج النبي عليه السلام
ممن سبه منهم وقد رأيت لابي موسى بن مناس فيمن قال
لرجل لعنك الله الى آدم انه ان ثبت ذلك عليه قتل قال القاضي
رحمه الله وقد اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء
ثم قال له تتهمني فقال له الآخر الانبياء يتهمون فكيف
انت فكان شيخنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر يرى قتله
لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد بن منصور
يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا
عمن اتهمهم من الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله
بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده
واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به
عليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم
اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله محمد بن عيسى
ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى
كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون
قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن
وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما
لم يجد عليه ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط
واطلقه فصل الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا

نقصًا ولا يذكر عيبًا ولا سبًّا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه
او يستشهد ببعض احواله عليه السلام الجائزة عليه في
الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او لغيره او
على التشبه به او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته
ليس على طريق التأسي وطريق التحقيق بل على مقصد
الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه عم
او قصد الهزل والتندير بقوله كقول القائل ان قيل في السوء
فقد قيل في النبي او ان كذبت فقد كذب الانبيا او ان اذنبت
فقد اذنبوا او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم الانبيا
والرسل او قد صبرت كما صبر اولوا العزم او كصبر ايوب او قد صبر
نبي الله عن عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقول المتنبي شعر
انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود ونحوه من اشعار
المتعجرفين في القول والمتساهلين في الكلام كقول المعري شعر
كنت موسى وافته بنت شعيب غير ان ليس فيكما من فقير على
ان آخر البيت شديد عند تدبره وداخل في باب الازراء والتحقير
بالنبي عليه السلام وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله شعر لولا
انقطاع الوحي بعد محمد قلنا محمد من ابيه بديل هو مثله في الفضل
الا انه لم يأته برسالة جبريل فصدر البيت الثاني من هذا الفصل
شديد لتشبيهه غير النبي في فضله بالنبي والعجز يحتمل الوجهين
احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاستغنا عنهم
وهذه اشد ونحو منه قول الآخر شعر واذا ما رفعت راياته صفقت
بين جناحي جبريل وقول الآخر من اهل العصر شعر فر من الخلد واستجار
بنا فصبر الله قلب رضوان ا وكقول حسان المصيصي من شعراء
الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد وفي وزيره ابي بكر بن
زيدون كان ابا بكر ابو بكر الرضا وحسان حسان وانت محمد

محمد الى امثال هذا وانما اكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها
لتعريف امثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب
الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه
من الوزر وكلامهم فيه بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينًا وهو
عند الله عظيم لا سيما الشعراء واشدهم فيه تصريحًا وللسانه
تسريحًا ابن هاني الاندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج
كثير من كلامهما عن هذا الى حد الاستخفاف والنقص وصريح
الكفر وقد اجبنا عنه وغرضنا الان الكلام في هذا الفصل الذي
سقنا امثلته فان هذه كلها وان لم تتضمن سبًّا ولا اضافت
الى الملائكة والانبيا نقصًا ولست اعني عجزي بيتي المعري و
لا قصد قائلها ازراء وغضًّا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة
ولا عزر حرمة الاصطفا ولا عزز حظوة الكرامة حتى شبه
من شبه في كرامة نالها او معرة قصد الانتفا منها او ضرب
مثلًا لتطييب مجلسه او اعلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم
الله خطره وشرف قدره والزم توقيره وبره ونهى عن جهر
القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا ان درئ عنه القتل
الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شناعة مقاله ومقتضى
قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله او ندوره وقرينة كلامه
او ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا
ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله شعر فان يك
باقي سحر فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب وقال له
يا ابن اللخناء انت المستهزئ بعصا موسى وامر باخراجه عن
عسكره من ليلته وذكر القتيبي ان مما اخذ عليه ايضا وكفر فيه
او قارب قوله في محمد الامين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله
عليه وسلم في الشعر تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها خلقًا

وخلقا كما قد اشتركا وقد انكروا ايضا عليه قوله كيف لا يدنيك
من امل من رسول الله من نظره لان حق الرسول وموجب
تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف هو فالحكم
في امثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا وعلى هذا المنهج جاءت
امام مذهبنا مالك بن انس واصحابه رحمه الله ففي النوادر من
رواية ابن ابي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال له تعيرني
بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم فقال مالك عرّض
بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه ارى ان يؤدب
قال ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطأت
الانبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا
يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان ابو النبي كافرا
فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي ابدا وقد كره
سحنون ان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب
الا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما امرنا
الله وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح الوجه كانه
وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه مالك الغضبان فقال
اي شيء اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان فما
الذي اراد اروع دخل عليه حين رآه من وجهه ام عاف
النظر اليه لدمامة خلقه فان كان هذا فهو شديد لانه جرى
مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح
بالسب للملك وانما السب واقع على المخاطب وفي الادب
بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال واما ذاكر مالك خازن
النار فقد جفا الذي ذكره عندما انكر من عبوس الآخر الا ان
يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل على طريق
الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع

المطيع لربه في فعله فيقول كانه لله يغضب غضب مالك
فيكون اخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو كان
اثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان اشد ولعاقب
يعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو
قصد ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا في شاب معروف
بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فانك امي فقال
الشاب اليس كان النبي اميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس
واشفق الشاب مما قال واظهر الندم عليه فقال ابو الحسن اما
اطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده بصفة
النبي صلى الله عليه وسلم اميا آية له وكون هذا اميا نقيصة
فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله
عليه وسلم لكنه اذا استغفر وتاب واعترف ولجأ الى الله
فيترك لان قوله لا ينتهي به الى حد القتل وما طريقه الادب
فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت
ايضا مسئلة استفتى فيها بعض قضاة الاندلسيين
شيخنا القاضي ابا محمد بن منصور رحمه الله في رجل تنقصه آخر
بشيء فقال له انما تريد نقصي بقولك وانا بشر وجميع البشر
يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فافتاه باطالة
سجنه وايجاع ادبه اذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء
الاندلس افتى بقتله فصل الوجه الخامس ان يقول القائل
ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له عن سواه فهذا ينظر في صورة
حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك
على اربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم
فان كان اخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله
والانكار والاعلام بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا

مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه في كتاب
او في مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا
بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات
الحاكي لذلك والمحكي عنه فان كان القائل لذلك ممن تصدى
لان يؤخذ عنه العلم او رواية الحديث عنه او يقطع بحكمه
او شهادته او فتياه في الحقوق وجب على سامعه الاشادة
بما سمع عنه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله
ووجب على من بلغه ذلك من ائمة المسلمين انكاره و
بيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق
سيد المرسلين وكذلك ان كان ممن يعظ العامة او يؤدب
الصبيان فان من هذه سريرته لا يؤمن على القاء ذلك في قلوبهم
فيتأكد في هؤلاء الايجاب لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق
شريعته وان لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام بحق
النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين و
نصرته عن الاذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه
اذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت القضية وبان به الامر
سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة
عليه وعضد التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان حال
المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل ابو محمد بن ابي زيد
عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى ايسعه ان لا يؤدي
شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك
ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والادب
فليشهد ويلزمه ذلك واما الاباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين
فلا ارى لها مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض النبي صلى الله
عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض

غرض شرعي بمباح واما للاغراض المتقدمة فمتردد بين الايجاب
والاستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى
رسله في كتابه على وجه الانكار لقولهم والتحذير من كفرهم و
الوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه وكذلك
وقع من امثاله في احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة
على الوجوه المتقدمة واجمع السلف والخلف من ائمة الهدى
على حكايات مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها
للناس وينقضوا شبهها عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل انكار
لبعض هذا على الحارث بن اسد فقد صنع احمد مثله في رده على
الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه الوجوه السائغة الحكاية
عنها فاما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والازراء بمنصبه على
وجه الحكايات والاسمار والطرف واحاديث الناس و
مقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء
والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه اشد
في المنع والعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير
قصد او معرفة بمقدار ما حكاه او لم يكن عادته او لم يكن الكلام من
البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر
عن ذلك ونهي عن العودة اليه وان قوم ببعض الادب
فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة حيث هو كان
الادب اشد وقد حكي ان رجلا سأل مالكا عمن يقول القرآن
مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيري
فقال مالك انما سمعناه منك وهذا من مالك على طريق الزجر
والتغليظ بدليل انه لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه
انه اختلقه ونسبه الى غيره او كانت تلك عادة له او ظهر
استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف له او التحفظ

لمثله او طلبه او رواية اشعار هجوه عليه السلام وسبه فحكم
هذا القائل حكم الاول نفسه يؤاخذ بقوله ولا ينفعه نسبته
الى غيره فيبادر بقتله ويعجل الى الهاوية امه وقد قال ابو عبيد
القاسم ابن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله
عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من الف في الاجماع اجماع
المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم و
كتابته وقراءته وتركه متى وجد دون محو ورحم الله اسلافنا
المتقين المتحرزين لدينهم فقد اسقطوا من احاديث المغازي
والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته الا اشياء ذكروها يسيرة
وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة الله من قائلها
واخذه المفتري عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام قد تحرى
فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجي اشعار العرب في كتبه فكنى
عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة
في ذم احد بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد
البشر صلى الله عليه وسلم فصل الوجه السابع ان يذكر ما يجوز
على النبي صلى الله عليه وسلم او يختلف في جوازه عليه وما يطرأ
من الامور البشرية ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به
وصبر في ذات الله على شدته من مقاساة اعدائه واذاهم له
ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه
من معاناة عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم
ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبياء وما يجوز عليهم فهذا فن خارج
عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازراء
ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن
يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة الدين
ممن يفهم مقاصده ويحقق فوائده ويجنب ذلك من

من عساه لا يفقه او يخشى به فتنته فقد كره بعض السلف
تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص
لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال
عليه السلام مخبرا عن نفسه باستيجاره لرعاية الغنم في ابتداء
حاله وقال ما من نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك
عن موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة
لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير
بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للانبياء حكمة بالغة
وتدريج الله تعالى لهم الى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة
اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم
العلم وكذلك قد ذكر الله يتمه وعيلته على طريق المنة عليه
والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها على وجه تعريف حاله
والخبر عن مبتدائه والتعجب من منح الله قبله وعظيم منته
عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة
دعوته اذ اظهره الله بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه
من اشرافهم شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم وتمكن من ملك
مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم باظهار
الله تعالى له وتأييده بنصره وبالمؤمنين والف بين
قلوبهم وامداده بالملائكة المسومة ولو كان ابن ملك او ذا
اشياع متقدمين لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب
ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سأل ابا سفيان
عنه هل في آبائه من ملك قال لا ثم قال ولو كان في آبائه
ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذا اليتم من صفته
واحدى علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة
وكذا وقع ذكره في كتاب ارميا وبهذا وصفه ابن ذي

كما وصفها الله به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته
اذ معجزته العظمى من القرآن العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف
والعلوم مع ما منح عليه السلام وفضل به من ذلك كما قدمناه
في القسم الاول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم
يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس
في ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة
انما هي آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا
حصلت الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب
والامية في غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة
فسبحان من باين امره من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة
سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه واخراج
حشوته كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو
فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا الى سائر ما
روي من اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم و
المركب وتواضعه ومهنته نفسه في اموره وخدمة بيته زهدا
ورغبة عن الدنيا وتسويته بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء
امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما
ذكرناه فمن اورد شيئا منها مورده وقصد بها مقصدا كان
حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصده
لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره واخبار
سائر الانبياء عليهم السلام في الاحاديث مما في ظاهره اشكال يقتضي
امورا لا تليق بهم بحال وتحتاج الى تأويل وتردد احتمال فلا يجب
ان يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم الثابت
ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث
الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس الى

الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها
فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك
التحدث بها وساعدوه على طيها فاكثرها ليس تحته عمل
وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة انهم كانوا
يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه و
سلم اوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه
وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه و
ايجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة
وداخلته الامية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها
وصريحها ولا يتحقق اشاراتها الى غرض الايجاز ووحيها وتبليغها
وتلويحها فتفرقوا في تأويلها او حملها على ظاهرها شذر مذر
فمنهم من آمن به ومنهم من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث
فواجب ان لا يذكر منها شيء في حق الله تعالى ولا في حق انبيائه
ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب
طرحها وترك الشغل بها الا ان تذكر على وجه التعريف بانها
ضعيفة المفاد واهية الاسناد وقد انكر الاشياخ على ابي بكر
بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على احاديث ضعيفة موضوعة
لا اصل لها او منقولة عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق
بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على
ضعفها اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها و
اجتثاثها من اصلها وطرحها اكشف للبس واشفى للنفس
فصل ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه و
سلم وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل
هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره عم
وذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه وبره و

يراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الادب عند ذكره
فاذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الاشفاق والارتماض
والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم
لو قدر عليه والنصرة له لو امكنته واذا اخذ في ابواب العصمة
وتكلم على مجاري اعماله واقواله عليه السلام تحرى احسن اللفظ
وآداب العبارة وامكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة
ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال
قال هل يجوز عليه الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع
سهوا او غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب
جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز ان لا يعلم الا ما
علم وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء
حتى يوحى اليه ولا يقول بجهل لقبح اللفظ وبشاعته واذا
تكلم في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر
والنواهي ومواقعة الصغائر فهو اولى وآدب من قوله
هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصي
فهذا من حق توقيره عليه السلام وما يجب له من تعزير واعظام
وقد رأيت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم استصوب ١٥١١
عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قد قوله لاجل ترك تحفظه
في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله واذا كان
مثل هذا بين الناس مستعملا في آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم
فاستعماله في حقه عم اوجب والتزامه آكد فجودة العبارة تقبح
الشيء او تحسنه وتحريرها وتهذيبها تعظم الامر او تهونه ولهذ
ولهذا قال عليه السلام ان من البيان لسحرا فاما ما اورده على
وجه النفي عنه والتنزيه فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها
فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا اتيان الكبائر بوجه ولا

٢١٠

ولا اتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا
يجب لظهور توقيره وتعظيمه وتعزيزه عند ذكره مجردا فكيف
عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة
عند ذكره كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل
ذلك عند تلاوة آي من القرآن حكى الله فيها مقال عداه ومن
كفر بآياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته اعظاما
لربه واجلالا له واشفاقا من التشبه بمن كفر الباب الثالث
في حكم سابه وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر
استتابته قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وقد قدمنا ما هو
سب واذى في حقه عليه السلام وذكرنا اجماع العلماء على قتل
فاعل ذلك وقائله وتخيير الامام في قتله او صلبه على ما ذكرناه
وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم ان مشهور مذهب مالك و
اصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا ان اظهر
التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته
ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في
هذا القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة
على قوله او جاء تائبا من قبل نفسه لانه حد وجب لا تسقطه
التوبة كسائر الحدود وقال الشيخ ابو الحسن القابسي رحمه الله
اذا اقر بالسب وتاب منه واظهر التوبة قتل بالسب لانه هو حده
وقال ابو محمد بن ابي زيد في مثله واما ما بينه وبين الله فتوبته
تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل و
كذلك قد اختلف في الزنديق اذا جاء تائبا فحكى القاضي ابو
الحسن بن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال اقتله
باقراره لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا انه

خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال اقبل توبته
لا اني استدل على صحتها بمجيئه فكانا وقفنا على باطنه بخلاف
من اسرته البينة قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وهذا قول
اصبغ ومسئلة ساب النبي صلى الله عليه وسلم اقوى لا يتصور
فيها الخلاف على الاصل المتقدم لانه حق متعلق للنبي صلى
عليه وسلم ولامته بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق
الآدميين والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك
والليث واسحق واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي
تقبل واختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف وحكى ابن
المنذر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه يستتاب قال محمد
بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه عليه السلام
لانه لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا القتل
لا عفو فيه لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال
القاضي ابو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق
بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته
ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة
الا من اكرمه الله بنبوته والباري تعالى منزه قطعا عن جميع المعا
المعايب وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه
ءم كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد
به المرتد لا حق فيه لغيره من الآدميين فقبلت توبته ومن سب
النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق لآدمي فكان كالمرتد
يقتل حين ارتداده فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه
من زنى وسرقة وغيرها لم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم
لكفره لكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك
لا تسقطه التوبة قال القاضي ابو الفضل رحمه الله يريد والله اعلم

او يقذف فان توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف وايضا

اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء
والاستخفاف او لان بتوبته واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر
ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه وقال ابو عمران
القابسي من سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد عن الاسلام
قتل ولم يستتب لان السب من حقوق الآدميين التي لا تسقط
عن المرتد وكلام شيوخنا هؤلاء مبني على القول بقتله حدا لا كفرا
وهو يحتاج الى تفصيل واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك و
من وافقه على ذلك مما ذكرناه وقال به من اهل العلم فقد صرحوا
انه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل وان ابى قتل
فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اشهر واظهر
لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة
فهو يوجب القتل فيه حدا وانما نقول ذلك مع فصلين
اما مع انكاره ما شهد عليه به او اظهاره الاقلاع والتوبة
عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي صلى الله
عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله من حقه واجرينا
حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر او تاب
فان قيل فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر
ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان
اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره با
لتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد به عليه او زعمه ان ذلك
كان منه وهلا ومعصية وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا
يمنع اثبات بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص وان لم
تثبت له خصائصه كقتل تارك الصلوة واما من علم انه
سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك وكذلك ان كان
سبه في نفسه كفرا كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا ما لا اشكال فيه

ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة
حدا لقوله ومتقدم كفره وبعده ردته الى امته المطلع على صحة اقلاعه
العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به
عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام
العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها واجر اختلافهم
في الموارثة وغيرها على ترتيبها يتضح لك مقاصدهم ان شاء الله
تعالى فصل اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها
على الاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق بينهما وقد اختلف
السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور اهل العلم
الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن القصار انه اجماع من الصحابة على تصويب
قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن
مسعود وبه قال عطاء ابن ابي رباح والنخعي والثوري ومالك
واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد بن حنبل واسحق واصحاب
الرأي وذهب طاوس ومحمد بن الحسن وعبيد بن عمير والحسن
في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب وقاله عبد العزيز بن ابي
سلمة وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه
توبته عند الله لكن لا ندرأ القتل عنه لقوله عليه السلام من بدل
دينه فاقتلوه وحكى ايضا عن عطاء انه ان كان ممن ولد في الاسلام
لم يستتب ويستتاب الاسلامي وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة
في ذلك سواء وروي عن علي لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله
عطاء وقتادة وروي عن ابن عباس لا تقتل النساء في الردة وبه
قال ابو حنيفة قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى في
ذلك سواء واما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر انه يستتاب

يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو
احد قولي الشافعي وقول احمد واسحق واستحسنه مالك وقال لا يأتي
الاستظهار الا بخير وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد بن ابي
زيد يريد في الاستيناء ثلاثا وقال مالك ايضا الذي آخذ به في المرتد قول
عمر يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل وقال
قال ابو الحسن بن القصار في تاخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل
ذلك واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء جماعة
اصحاب الرأي وروي عن ابي بكر الصديق انه استتاب امرأة فلم
تتب فقتلها وقال الشافعي مرة فقال ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى
قتل وروي عن علي يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب
ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة
انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة ايام او ثلاث جمع كل يوم او
جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القاسم يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث
مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد او يشدد
عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة
تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ
يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفي كتاب
ابي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار
قال اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او
وحده اذا استوثق منه سواء ويوقف ماله اذا خيف ان يتلفه
على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع
وارتد وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان وهو قول الشافعي
وهو قول الشافعي واحمد وقال ابن القاسم وقال اسحق يقتل
في الرابعة وقال اصحاب الرأي ان لم يتب في الرابعة قتل دون

نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا
قال ابن وهب عن مالك يستتاب ابدا
كلما رجع

استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن
حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب
على المرتد في المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي
والكوفي فصل قال القاضي رحمه الله هذا حكم من ثبت عليه ذلك
بما يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة
عليه بما شهد عليه الواحد او اللفيف من الناس او ثبت لكن
احتمل ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته
فهذا يدرأ عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة
حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه و
صورة حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن
قوي امره اذاقه من شديد النكال من التضييق في السجن والشدة
في القيود الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام
لضرورته ولا يقعده عن صلوته وهو حكم كل من وجب
عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال
وعائق اقتضاه امره وحالات الشدة عليه في نكاله تختلف
بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك والاوزاعي
انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية
اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وافتى ابو عبد
الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد
عليه شاهدان عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن
الطويل حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا ومن
كان اقصى امره القتل فعاق عائق اشكل في القتل لم ينبغ
ان يطلق من السجن وليستطال سجنه ولو كان فيه من
المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق عليه
في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسئلة اخرى

اخرى مثلها ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح وفي الادب
بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة
فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما
او جرحهما ما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف
لسقوط الحكم عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به
ذلك ويكون الشاهدان من اهل التبريز فاسقطهما بعداوة
فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما
وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الارشاد فصل
قال القاضي رحمه الله هذا حكم المسلم فاما الذمي اذا صرح بسبه او
عرض او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذي كفر به
فلا خلاف عندنا في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد
على هذا وهو قول عامة العلماء الا ابا حنيفة والثوري واتباعهما
من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك
اعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا على قتله
بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في
دينكم الآية ويستدل ايضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم
لابن الاشرف واشباهه ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة
على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا
عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا اهل حرب
يقتلون لكفرهم وايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام
عنهم من القطع في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وان كان
ذلك حلالا عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم
يقتلون به ووردت لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف اذا
ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم
وابن سحنون بعد وحكى ابو المصعب الخلاف فيها عن اصحابه المدنيين

واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام
يجب ما قبله بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه الكافر
في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من اظهاره فلم يزدنا
ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا رجع عن دينه الاول
الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين كفروا ان
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا
بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الآن فلا نقبل بعد
رجوعه ولا استنمنا الى باطنه اذ قد بدت سرائره وما ثبت
عليه من الاحكام باقية عليه لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط اسلام
الذمي الساب قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب
عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن
رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق
المسلمين من قبل اسلامه من قتل وقذف واذا كنا لا نقبل توبة
الكافر اولى قال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن
القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا
صلى الله عليه وسلم من اهل الذمة او واحدا من الانبيا عليهم
السلام قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية وعند
محمد وابن سحنون وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم
ولكن ان اسلم فذلك له توبة وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك
انه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين
من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وروي لنا عن مالك الا ان يسلم
الكافر وقد روى ابن وهب عن ابن عمر ان راهبا تناول النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه وروى عيسى
عن ابن القاسم في ذمي قال ان محمدا لم يرسل الينا وانما ارسل اليكم وانما
نبينا موسى او عيسى ونحو هذا لا شيء عليهم لان الله اقرهم

اقرهم على مثله واما ان سبه فقال ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل
عليه قرآن وانما هو شيء تقوله او نحو هذا فيقتل قال ابن القاسم
واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين الحمير ونحو هذا
من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال
كذلك يعطيكم الله ففي هذا الادب الموجع والسجن الطويل
قال واما من شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتما يعرف فانه يقتل
الا ان يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم
ومحمل قوله عندي ان اسلم طائعا وقال ابن سحنون في سؤالات
سليمان بن سالم في اليهودي يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت
يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل وفي النوادر
من رواية ابن سحنون عنه من شتم الانبيا من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه الا ان يسلم وقال محمد بن
سحنون فان قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم
ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك
ولا على قتلنا واخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه
وان كان من دينه استحلاله فكذلك اظهاره لسب نبينا
صلى الله عليه وسلم قال سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب
الجزية على اقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في قول قائل
كذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما
لم يحصن الاسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله ما ذكره ابن سحنون عن
نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف
عقوبتهم فيه مما كفروا فتأمله ويدل على انه خلاف ما روي
عن المدنيين في ذلك فحكى ابو المصعب الزهري قال اتيت
بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي

فيه فضربته حتى قتلته او عاش يوماً وليلة ثم امرت من جر
برجله وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب وسئل ابو المصعب
عن نصراني قال عيسى خلق محمداً فقال يقتل وقال ابن القاسم
سئلت مالكاً عن نصراني بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد
يخبركم انه في الجنة فهو الآن في الجنة ماله لم ينفع نفسه اذ
كانت الكلاب تأكل ساقيه لو قتلوه استراح منه الناس
قال مالك ارى ان تضرب عنقه قال ولقد كدت ان لا
اتكلم فيها بشيء ثم رأيت انه لا يسعني الصمت قال ابن كنانة
في المبسوطة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى
فارى الامام ان يحرقه بالنار وان شاء قتله ثم حرق جثته وان
احرقه بالنار حياً اذا تهافتوا في سبه ولقد كتب الى مالك
من مصر وذكر مسئلة ابن القاسم المتقدمة قال فامرني مالك
فكتبت بان يقتل وان تضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا
عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك و
ما اولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما انكره ولا عابه و
نفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق وافتى عبيد الله بن
يحيى وابن لبابة في جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين بقتل
نصرانية استهلت بنفي الربوبية ونبوة عيسى لله وتكذيب
محمد في النبوة وبقبول اسلامها ودرء القتل عنها وبه قال غير
واحد من المتأخرين منهم القابسي وابن الكاتب وقال ابو
القاسم بن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم
او كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي ابو محمد في الذمي
يسب روايتين في درء القتل عنه باسلامه وقال ابن سحنون
وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقط عن
الذمي باسلامه وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله فاما حد

حد القذف فحق للعباد كان ذلك من نبي او غيره فاوجب
على الذمي اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلم حد القذف
ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي
صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله
عليه وسلم على غيره ام يسقط القتل باسلامه ويحد ثمانين فتأمله
فصل في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله
الصلوة عليها اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي
صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون الى انه لجماعة المسلمين
من قبل ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق
وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستتراً بذلك
وان كان مظهراً له مستهلاً به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال
ولا يستتاب قال ابو الحسن القابسي ان قتل وهو منكر
للشهادة عليه فالحكم في ميراثه على ما اظهر من اقراره يعني لورثته
والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث بشيء وكذلك لو اقر
بالسب واظهر التوبة لقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه وسائر
احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبة
منه فقتل على ذلك كان كافراً وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا
يصلى ولا يكفن ولتستر عورته ويوارى جيفته كما يفعل
بالكفار وقول الشيخ ابي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن
الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل
قول اصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى
على قوله ومثله لابن القاسم في العتبية ولجماعة من اصحاب مالك
وفي كتاب محمد فيمن اعلن كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه
حكم المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين ولا من اهل الدين الذي
ارتد اليه ولا يجوز وصاياه ولا عتقه وقاله اصبغ قتل على

ذلك او مات عليه وقال ابو محمد بن ابي زيد وانما يختلف في
ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فاما المتمادي
فلا خلاف انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات
ولم تعدل عليه بينة او لم تقبل انه يصلى عليه وروى اصبغ
عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله
صلى الله عليه وسلم او اعلن دينا مما يفارق به الاسلام ان
ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين
لا يرثه ورثته ربيعة والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى
واختلف فيه عن احمد وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن
مسعود وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز
والحكم والاوزاعي والليث واسحق وابو حنيفة ترثه ورثته
من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه في
الارتداد فللمسلمين وتفصيل ابي الحسن في باقي جوابه حسن
وهو على رأي اصبغ وخلاف سحنون واختلافهما على قولي
مالك في ميراث الزنديق فمرة قال ورثته من المسلمين
قامت عليه بذلك بينة فانكرها او اعترف بذلك واظهر
التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من اصحابه لانه
مظهر للاسلام بانكاره او توبته وحكمه حكم المنافقين الذين
كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن
نافع عنه في العتبية وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين لانه
مال الزنديق لا يرثه وقال به ايضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب والمغيرة
وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب ابن قاسم في العتبية الى انه
ان اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث وان لم يقر حتى
قتل او مات ورث قال وكذلك كل من اسر كفرا فانهم
يتوارثون بوراثة الاسلام وسئل ابو القاسم بن الكاتب ابن

ابن الجلاب عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم فقتل
فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب بانه للمسلمين
ليس على جهة الميراث لا توارث بين اهل ملتين ولكن لانه
من فيئهم لنقضه العهد وهذا معنى قوله واختصاره الباب
الثالث في حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبيائه وكتبه
وآل النبي صلى الله عليه وسلم وازواجه وصحبه لا خلاف ان ساب
الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته
فقال القاضي ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون ومحمد
ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب اسحق بن يحيى من سب
الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون افتراء
على الله بارتداده الى دين دان به واظهره فيستتاب وان لم
يظهره لم يستتب وقال في المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله
وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل المسلم
بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فان
تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك
كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب
وافتى ابو محمد بن ابي زيد فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله
فقال اردت ان العن الشيطان فذل لساني فقال يقتل
بظاهر كفره ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله تعالى
فمعذور واختلف فقهاء قرطبة في مسئلة هرون بن حبيب اخي
عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد
شهد عليه بشهادات منها انه قال عند استقلاله من مرضه
لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله
فافتى ابراهيم بن حسين بن خالد بقتله وان مضمن قوله تجوير
لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد

الملك بن حبيب وابراهيم بن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان
القاضي بطرح القتل عنه الا ان القاضي رأى عليه التثقيل في
الحبس والشدة في الادب لاحتمال كلامه الكفر وصرفه الى الشكوى
فوجه من قال في سابّ الله تعالى بالاستتابة انه كفر وردة
محضة لم يتعلق بها حق لغير الله فاشبه قصد الكفر بغير سب الله
واظهاره الانتقال الى دين آخر من الاديان المخالفة للاسلام
ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهاره الاسلام
قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ
لا يتساهل فيها احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته واذا انتقل
من دين الى دين آخر واظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد اعلم انه
خلع ربقة الاسلام من عنقه بخلاف الاول المتمسك به وحكم
هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب اكثر العلماء وهو
مذهب مالك واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله
فصل واما من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على
طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على
طريق التأويل والاجتهاد والخطأ المفضي الى الهوى والبدعة
من تشبيه او نعت بجارحة او نفي صفة كمال فهذا مما اختلف
السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك
واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم
يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد
منهم فاكثر قول مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم
والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين
توبتهم كما فعل عمر بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج
وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع اهل الاهواء
وبه فسر قول مالك في الموطأ وما رواه عن عمر بن عبد العزيز
وجده وعمه من قولهم في القدرية يستتابون فان تابوا

تابوا والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم في اهل الاهواء
من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل
البدع والتحريف لتأويل كتاب الله يستتابون اظهروا
ذلك او اسروه فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله
ايضا ابن القاسم في كتاب محمد في اهل القدر وغيرهم قال
واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه ومثله في المبسوط
في الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع قال وهم مسلمون
مسلمون وانما قتلوا لرأيهم السوء قالوا وبهذا عمل عمر بن عبد
العزيز قال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما
استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا
يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة
وقد روي ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام انه
كافر واختلفت الروايات عن مالك فاطلق في رواية
الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد
شوور في زواج القدري فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد
مؤمن خير من مشرك وروي عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار
وقال من وصف شيئا من ذات الله تعالى واشار الى شيء
من جسده بيد او سمع او بصر قطع ذلك منه لانه شبه الله
بنفسه وقد قال فيمن قال القرآن مخلوق كافر فاقتلوه وقال
ايضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب
وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته قال
القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله التستري
وائمة العراقيين من اصحابنا جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية
وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في اعادة الصلاة خلفهم
وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري واكثر اقوال

السلف بكفرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة
روي عنهم ذلك فيمن قال بخلق القرآن وقاله ابن المبارك و
الاودي ووكيع وحفص بن غياث وابو اسحق الفزاري وهشيم
وعلي بن عاصم في آخرين وهو من قول اكثر المحدثين والفقهاء
والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية واهل الاهواء المضلة و
اصحاب البدع والمتأولين وهو قول احمد بن حنبل وكذلك قالوا
في الواقفية والشاكة في هذه الاصول وممن روي عنه معنى القول
الآخر بترك تكفيرهم علي بن ابي طالب وابن عمر والحسن البصري وهو
رأي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة
والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم و
دفنهم في مقابر المسلمين وجري احكام الاسلام عليهم قال اسمعيل
القاضي وانما قال مالك في القدرية وسائر اهل البدع يستتابون
فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال في المحارب
ان رأى الامام قتله وان لم يقتل قتله وفساد المحارب انما
في الاموال ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل ايضا في امر الدين
من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل
في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة فصل
في تحقيق القول في اكفار المتأولين قد ذكرنا مذاهب السلف في
اكفار اصحاب البدع والاهواء المتأولين ممن قال قولا يؤديه
مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله اليه
وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب
التكفير الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم
من سواد المؤمنين وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم
فساق اهل الضلال ونوارثهم من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم و
لهذا قال سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم في وقت لاغيره

لاغيره قال وهو قول جميع اصحاب مالك المغيرة وابن كنانة و
اشهب قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه من الاسلام واضطرب آخرون
في ذلك ووقفوا عن التكفير القول بالتكفير او ضده واختلاف
قولي مالك في ذلك وتوقفه عن اعادة الصلوة خلفهم منه والى
نحو من هذا ذهب القاضي ابو بكر امام اهل التحقيق والحق وقال انها
من المعوصات اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدي
اليه واضطرب قوله في المسئلة على نحو اضطراب قول امامه مالك
بن انس حتى قال في بعض كلامه انهم على رأي من كفرهم بالتأويل لا
لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا الصلوة على ميتهم ويختلف
في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد وقال ايضا نورث
ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين واكثر ميله الى
ترك التكفير بالمآل وكذلك اضطرب فيه قول شيخه ابي الحسن
الاشعري واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو
الجهل بوجود الباري تعالى وقال مرة من اعتقد ان الله تعالى جسم
او المسيح او بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو
كافر ولمثل هذا ذهب ابو المعالي في اجوبته لابي محمد بن عبد الحق
وكان سأله عن المسئلة فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان
ادخال كافر في الملة او اخراج مسلم عنها عظيم في الدين وقال (الملة بيان)
غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير في اهل
التأويل فان استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطأ
في ترك الف كافر اهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم
واحد فقد قال عليه السلام فاذا قالوها يعني الشهادة فقد عصموا
مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فالعصمة مقطوع
بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع و
لا قاطع من شرع ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث الواردة

في الباب معرضة للتأويل فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية
وقوله لا سهم لهم في الإسلام وتسمية الرافضة بالشرك وإطلاق
اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم من أهل الأهواء فقد
يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الآخر عنها بأنه قد ورد
مثل هذه الألفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ
كفر دون كفر وإشراك دون إشراك وقد ورد مثله في الزنا
وعقوق الوالدين والزوج وغيره معصية وإذا كان محتملا الأمرين
فلا يقطع على أحدهما إلا بدليل قاطع وقوله في الخوارج هم من شر
البرية وهذه صفة الكفار وقال هم شر قتيل تحت أديم السماء
طوبى لمن قتلهم أو قتلوه وقال فإذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل
عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى
تكفيرهم فيقول له الآخر إنما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين و
بغيهم بدليل من الحديث نفسه يقتلون أهل الإسلام فقتلهم
ههنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس
كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه الآخر بقول خالد في الحديث
دعني أضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلي فإن احتجوا
بقوله عليه السلام يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم فأخبر أن
الإيمان لم يدخل في قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق
السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه حتى يعود السهم على
فوقه وبقوله سبق الفرث والدم يدل على أنه لم يتعلق من
الإسلام بشيء أجابه الآخرون أن معنى لا يجاوز حناجرهم
لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به
جوارحهم وعارضوهم بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي
التشكك في حاله وإن احتجوا بقول أبي سعيد الخدري في هذا الحديث
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الأمة

الأمة ولم يقل من هذه وتحرير أبي سعيد الرواية وإتقانه
اللفظ أجابهم الآخرون بأن العبارة بفي لا تقتضي تصريحا
بكونهم من غير الأمة بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض و
كونهم من الأمة مع أنه قد روي عن أبي ذر وعلي وأبي أمامة
وغيرهم في هذا الحديث يخرج من أمتي وسيكون من أمتي وحروف
المعاني مشتركة فلا تعويل على إخراجهم من الأمة بفي ولا على
إدخالهم فيها بمن لكن أبا سعيد رضي الله عنه أجاد ما شاء
في التنبيه الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة
وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الألفاظ وتحريرهم لها و
توقيهم في الرواية وهذه المذاهب المعروفة لأهل السنة ولغيرهم
من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة أقربها قول
جهم ومحمد بن شبيب أن الكفر بالله الجهل به لا يكفر أحد بغير ذلك
وقال أبو الهذيل إن كل متأول كان تأويله تشبيها لله
بخلقه وتجويرا في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من أثبت
شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر وقال بعض المتكلمين إن
كان ممن عرف الأصل وبنى عليه وكان فيما هو من أوصاف
الله فهو كافر وإن لم يكن من هذا الباب ففاسق إلا أن يكون
ممن لم يعرف الأصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله
بن الحسن العنبري إلى تصويب أقوال المجتهدين في أصول الدين
فيما كان عرضة للتأويل وفارق في ذلك فرق الأمة إذ
أجمعوا سواه على أن الحق في أصول الدين في واحد والمخطئ
فيه آثم عاص فاسق وإنما الخلاف في تكفيره وقد حكى القاضي
أبو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الأصبهاني
قال وقد حكى قوم عنهما أنهما قالا ذلك في كل من علم الله من حاله
استفراغ الوسع في طلب الحق من أهل ملتنا أو من غيرهم

وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في ان كثيرا من العامة والنسا
والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة
لله عليهم اذ لم يكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال قد نحا *لال وقد*
الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة وقائل هذا كله
كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا من النصارى واليهود وكل من
فارق دين المسلمين او وقف في تكفيرهم او شك قال القاضي
ابو بكر لان التوقيف والاجماع اتفقا على كفرهم فمن وقف في
ذلك فقد كذب النص والتوقيف او شك فيه والتكذيب و
الشك فيه لا يقع الا من كافر فصل في بيان ما هو من
المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم ان
تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال
للعقل فيه والفصل البين في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي
الربوبية او الوحدانية او عبادة احد غير الله او مع الله فهو
كفر كمقالة الدهرية وسائر فرق اصحاب الاثنين من الديصانية
والمانوية واشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس
والذين اشركوا بعبادة الاوثان او الملائكة او الشياطين
او الشمس او النجوم او النار او احد غير الله من مشركي العرب
واهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب
وكذلك القرامطة واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية
والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف بالالهية الله
تعالى ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حي او غير قديم وانه محدث
او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة او والدا او متولد من *او انه*
شيء او كائن عنه او ان معه في الازل شيئا قديما غيره او ان ثم
صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع المسلمين
كقول الالهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين وكذلك

هذا الكلام ليس من كلام القاضي بل من زيادات الروافض في هذا الكتاب الغزالي

كذلك من ادعى مجالسة الله سبحانه والعروج اليه ومكالمته
او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية
والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم
العالم او بقائه او شك في ذلك على مذهب الفلاسفة والدهرية
او قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الاباد في الاشخاص وتعذيبها
او تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف بالالهية
والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا
خصوصا او احدا من الانبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه
بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية *العيسوية صح*
من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين ان عليا كان
المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية و
العنبرية من الروافض وان كان بعض هؤلاء قد اشركوا
في كفر اخر مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية وصحة
النبوة ونبوة نبينا عليه السلام ولكن جوز على الانبياء الكذب
فيما اتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع
كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة
واصحاب الاباحة فان هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع واكثر
ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان ويكون من امور الاخرة
والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى
لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة
لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال
الشرائع وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب
فيما اتوا به وكذلك من اضاف الى نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد
الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه او سبه او قال انه
لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبياء او ازرى عليهم او اذاهم

او قتل نبيًّا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك نكفّر من ذهب مذهب
بعض القدماء في ان لكل جنس من الحيوان نذيرًا ونبيًّا من القردة
والخنازير والدواب والدود ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا
خلا فيها نذير وذلك يؤدي ان توصف انبياء هذه الاجناس بعد
بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا المنصب المنيف
ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله وكذلك نكفّر
من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا صلى الله
عليه وسلم ولكن قال كان اسود او مات قبل ان يلتحي او ليس الذي
كان بمكة او الحجاز او ليس بقرشي لانه وصفه بغير صفاته المعلومة
نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا صلى الله
عليه وسلم او بعده كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته
الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكاكثر الرافضة القا
القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم
وبعده وكذلك كل امام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة و
الحجة وكالبزيغية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيغ وبيان
واشباه هؤلاء او من ادعى منهم النبوة لنفسه او جوز اكتسابها
والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة
المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة
او انه يصعد الى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق
الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم
لانه خاتم النبيين ولا نبي بعده واخبر الله انه خاتم النبيين وانه
ارسل كافة للناس واجمعت الامة على حمل هذا الكلام على ظاهره وان
مفهومه المراد به دون تخصيص ولا تأويل فلا شك في كفر
هؤلاء الطوائف كلها قطعًا اجماعًا وسمعًا وكذلك وقع
الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب او خص حديثًا مجمعًا

جرمية نسخ

٢٢١

مجمعًا على ظاهره كتكفيرنا الخوارج بابطال الرجم ولهذا نكفّر من
لم يكفّر من دان بغير ملة المسلمين من الملل او وقف فيهم
او شكّ او صحّح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقد
ابطال كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف
ذلك وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال قولًا يتوصل به الى
تضليل الامة او تكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة
بتكفير جميع الامة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدّم
عليًّا وكفّرت عليًّا اذ لم يتقدّم ولم يطلب حقه في التقديم
فهؤلاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها
اذ انقطع نقلها ونقل القرآن اذ ناقلوه كفرة على زعمهم و
الى هذا والله اعلم اشار مالك في احد قوليه بقتل من كفّر الصحابة
ثم كفروا من وجه آخر بسبّهم النبي صلى الله عليه وسلم على
مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى علي رضي الله عنه وهو يعلم انه
يكفر بعده على قولهم لعنهم الله وصلى الله تعالى على رسوله
محمد وآله وكذلك نكفّر بكل فعل اجمع المسلمون على انه لا يصدر
الا من كافر وان كان صاحبه مصرّحًا بالاسلام مع فعله ذلك
الفعل كالسجود للصنم او للشمس والقمر والصليب والنار
والسعي الى الكنائس والبيع مع اهلها والتزيي بزيّهم من
شد الزنانير وفحص الرؤوس فقد اجمع المسلمون ان هذا
لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان
صرّح فاعلها بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من
استحل القتل او شرب الخمر او الزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كاصحاب
الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع
بتكفير كل من كذّب وانكر قاعدة من قواعد الشرع و
ما عرف يقينًا بالنقل المتواتر من فعل الرسول صلى الله عليه

وسلم ووقع الاجماع المتصل عليه لمن انكر وجوب الخمس الصلوات
او عدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله علينا
في كتابه الصلوة على الجملة وكونها خشوعا وعلى هذه الصفات
والشروط لا اعلمه اذ لم يرد فيه في القرآن نص جلي والخبر به عن
الرسول خبر واحد وكذلك اجمع المسلمون على تكفير من قال من
الخوارج ان الصلوة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان
الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال
امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول
المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى اسقاطها واباحة
كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة
او البيت او المسجد الحرام او صفة الحج او قال الحج واجب في القرآن
واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة
وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري هل
هي تلك او غيرها ولعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم
فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا فهذا ومثله لا مرية في
تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين و
امتدت صحبته لهم الا ان يكون حديث عهد بالاسلام فيقال له
سبيلك ان تسأل عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة
المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة الى معاصري الرسول
صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك
البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هي الكعبة والقبلة التي
صلى لها الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا
اليها وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفات عبادة
الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون
وان صفات الصلوات المذكورة هي التي فعل النبي صلى

الله عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك وابان حدودها فيقع
لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب في
ذلك او المنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق و
لا يعذر بقوله لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر
عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدري وايضا فانه اذا جوز على جميع
الامة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه قول
الرسول وفعله وتفسير مراد الله به ادخل الاسترابة في جميع
الشريعة اذ هم الناقلون لها وللقرآن وانحلت عرى الدين
كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر القرآن او حرفا منه
او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية او زعم
انه ليس بحجة ولا معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر الصيمري انه
لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل على ثواب ولا عقاب
ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك القول وكذلك تكفيرهما
بانكارهما ان يكون في سائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
حجة له او في خلق السموات والارض دليل على الله لمخالفتهم الاجماع
والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه
بهذا كله وتصريح القرآن به وكذلك من انكر شيئا مما نص فيه
القرآن بعد علمه انه من القرآن الذي في ايدي الناس و
مصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام
واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او
لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه
مكذب للقرآن ومكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر
بدعواه وكذلك من انكر الجنة او النار او البعث او الحساب
او القيامة فهو كافر باجماع للنص عليه واجماع الامة على صحة
نقله متواترا وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد

بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ها ظاهرها صح
ظاهرة وانها لذات روحانية ومعان باطنة كقول النصارى
والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعم ان معنى القيمة
الموت او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم
كقول بعض الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة
في قولهم ان الائمة افضل من الانبياء فاما من انكر ما عرف
بالتواتر من الاخبار والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة
ولا تفضي الى انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك
او مؤتة او وجود ابي بكر وعمر او قتل عثمان او خلافة علي مما علم او وجود صح غزوات ٢٨/٩
بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره
بجحد ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس في ذلك اكثر من
المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه
فاما ان ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين
اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة فاما من انكر
متواتر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل عن الشارع فاكثر المتكلمين
من الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف
الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما و
حجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له
الهدى الآية وقوله صلى الله عليه وسلم من خالف الجماعة
قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على
التوقف تكفير من خالف الاجماع وذهب آخرون الى الوقوف الى
عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله العلماء
وذهب آخرون الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع الكائن
عن نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف
اجماع السلف فاحتجاجهم به خرق للاجماع قال القاضي ابو

٢٢٤

ابو بكر القول عندي ان الكفر بالله تعالى هو الجهل بوجوده
والايمان بالله هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول و
لا رأي الا ان يكون جهلا بالله فان عصى بقول او فعل
نص الله ورسوله او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر
او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله
لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون الا باحد ثلاثة
امور احدها الجهل بالله تعالى والثاني ان يأتي فعلا او
يقول قولا يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون ان ذلك
لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنائس
بالتزام الزنانير مع اصحابها في اعيادهم او يكون ذلك
القول او الفعل لا يمكن معه العلم بالله فهذان الضربان ان
مع ان ان لم يكونا جهلا بالله فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما
من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا
في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه
ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا
تعالى على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه
عنها وعلى هذا حمل قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو
كافر وهو لا يكفر المتأولين كما قدمنا فاما من جهل صفة
من هذه الصفات فاختلف العلماء ههنا فكفره بعضهم و
حكي ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره وقال به ابو الحسن الاشعري
مرة وذهبت طائفة الى ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان و
القاضي عدم تكفير اليه رجع الاشعري قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه
ويراه دينا وشرعا وانما نكفر من اعتقد ان مقاله حق واحتج هؤلاء
بحديث السوداء وان النبي صلى الله عليه وسلم انما طلب
منها التوحيد لا غير وبحديث السوداء وان النبي صلى الله تعالى

كوشفت

تفتيش

عليه وسلم انما طلب منها التوحيد لا غير وحديث القائل لئن قدر
الله علي وفي رواية فيه لعلي اضل الله ثم قال فيغفر الله
قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها
لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الآخر عن هذا الحديث
بوجوه منها ان قدر بمعنى قدّر ولا يكون شكه في القدرة على
احيائها في البعث الذي لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد
عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك به حينئذ كفرا فاما
ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول او يكون قدر بمعنى ضيّق
ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها وغضبا لعصيانها وقيل انما قال
ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من
الجزع والخشية التي اذهلت لبه فلم يؤاخذ به وقيل انما كان
هذا في زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد وقيل بل هذا من
مجاز كلام العرب الذي صورته الشك ومعناه التحقيق وهو
يسمى تجاهل العارف وله امثلة في كلامهم كقوله تعالى لعله يتذكر
او يخشى وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فاما من
اثبت الوصف ونفى الصفة فقال اقول عالم ولكن لا علم
له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا في سائر الصفات على مذهب المعتزلة
فمن قال بالمآل لما يؤديه اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كفره لانه
اذا نفى العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له
علم فكانهم صرحوا عنده بما ادى اليه قولهم وهكذا عند سائر فرق
اهل التاويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم يؤاخذهم
بمآل قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم ومن لم ير اكفارهم
قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي
من القول بالمآل الذي الزمتموه لنا ونعتقده نحن وانتم انه
كفر بل نقول ان قولنا لا يؤول اليه على ما اصلناه فعلى هذين

اجابه

نفى الصفة الزائدة واثبت المتكلمين الصفات الزائدة على الذات

اى ما ادى اليه

٢٢٤

اى الباطن والظاهر

هذين المأخذين اختلف الناس في اكفار اهل التاويل واذا
فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك والصواب
ترك اكفارهم والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران واجراء حكم
الاسلام في قصاصهم ووراثتهم ومناكحتهم ودياتهم والصلوة
عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكن يغلظ عليهم
بوجيع الادب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه
هذه كانت سيرة الصدر الاول فيهم فقد كان نشأ على زمن الصحابة
وبعدهم في التابعين من قال بهذه الاقوال من القدر و
رأي الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لاحد منهم
ميراثا لكنهم هجروهم وادبوهم بالضرب والنفي والقتل على
قدر احوالهم لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب كبائر عند
المحققين واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى
غير ذلك والله الموفق للصواب قال القاضي ابو بكر واما مسائل
الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الافعال وبقاء
الاعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع من اكفار
المتأولين فيها اوضح اذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى
ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيئا منها وقد قدمناه
في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما اغنى عن
اعادته بحول الله وقوته تعالى فصل هذا حكم المسلم الساب
لله تعالى واما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر في ذمي تناول
من حرمة الله تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن
عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب
والمبسوطة وابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون
من شتم الله تعالى من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي كفروا
قتل ولم يستتب قال ابن القاسم الا ان يسلم قال في المبسوط

به

طوعاً قال أصبغ لأن الوجه الذي به كفروا هو دينهم وعليه
عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد وأما غير هذا
من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال ابن افتراء
القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير أهل الأديان الله
تعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل إلا أن يسلم وقال
المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل
حتى يستتاب مسلماً كان أو كافراً فإن تاب وإلا قتل و
قال مطرف وابن عبد الملك مثل قول مالك وقال أبو محمد بن
أبي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل إلا أن
يسلم وقد ذكرنا ابن الجلاب قبل وذكرنا قول ابن الجلاب قبل و
ذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الأندلسيين في النصرانية
وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به الله تعالى والنبي دفتواهم
صلى الله عليه وسلم وإجماعهم على ذلك وهو نحو القول الآخر
فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به
ولا فرق في ذلك بين سب الله به وسب نبيه لأنا عاهدناهم
على أن لا يظهروا لنا شيئاً من كفرهم وأن لا يسمعونا شيئاً من
ذلك فمتى فعلوا شيئاً منه فهو نقض لعهدهم واختلف
العلماء في الذمي إذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن عبد
الحكم وأصبغ لا يقتل لأنه خرج من كفر إلى كفر وقال عبد الملك
بن الماجشون يقتل لأنه دين لا يقر عليه أحد ولا يؤخذ عليه
جزية قال ابن حبيب لا أعلم من قاله غيره فصل هذا حكم من
صرح بسبه تعالى وإضافة ما لا يليق بجلاله وإلاهيته فأما
مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الإلهية أو الرسالة
أو النافي أن يكون الله خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب
أو المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره أو غمرة جنونه فلا خلاف

شرة

المرية

فلا خلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه
لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه إنابته وتنجيه من
القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد
العقاب ليكون زجراً لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره
أو جهله إلا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما أتى به
فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق
الذي لا نأمن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك
حكم الصاحي وأما المجنون والمعتوه فما علم أنه قاله من ذلك في
حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك
في حال ميزه وإن لم يكن معه عقله وسقط تكليفه أدب على
ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على قبيح الأفعال ويوالى أدبه على
ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى ترا
ض وقد حرق علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه
من ادعى له الإلهية وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث
المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء الراشدين
والملوك بأشباههم وأجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف اى الجميع المخالف
في ذلك من كفرهم كافر وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر من
المالكية وقاضي قضاتها أبو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه
الإلهية والقول بالحلول وقوله أنا الحق مع تمسكه في الظاهر
بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن أبي الغراقيد غراقيد
وكان على نحو مذهب الحلاج بعد أيام الراضي وقاضي قضاة
بغداد يومئذ أبو الحسين بن أبي عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم
في المبسوط من تنبأ قتل وقال أبو حنيفة وأصحابه من جحد
الله خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن
القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد في العتبية فيمن تنبأ يستتاب

ستر ذلك او اعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقال ل
اصبغ في يهودي تنبأ وادعى انه رسول الينا ان كان معلنًا
بذلك استتيب فان تاب والا قتل وقال ابو محمد بن ابي زيد فيمن
لعن بارئه وادعى ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان
يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا على القول الآخر من انه لا يقبل
توبته وقال ابو الحسن القابسي في سكران قال انا الله انا الله
ان تاب أُدّب فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق
لان هذا كفر المتلاعبين فصل واما ما تكلم من سقط القول و
سخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه بما يقتضيه الا
الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه او تمثل في بعض الاشياء
ببعض ما عظّم الله من ملكوته او نزع من الكلام المخلوق بما لا
يليق الا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد
للالحاد فان تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه و
استخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية
فيه وكذلك ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف والتنقص
لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء
قرطبة بقتل المعروف بابن اخي عجب وكان خرج يومًا فاخذه
المطر فقال بدأ الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء جروش
بها ابو زيد صاحب الثمانية وعبد الاعلى بن وهب وابان
بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى انه عبث
من القول يكفي فيه الادب وافتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن
زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي أيُشتم ربٌّ عبدناه ثم
لا ننتصر له انا اذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس انتقام
الملك الاموي المجلس الى الامير بها عبد الرحمن بن الحكم الاموي وكانت
عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه واعلم باختلاف الفقهاء

سوكه

باختلاف الفقهاء فخرج الاذن من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب
وصاحبه وامره بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل
القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء
ذراز عليه وسبهم واما من صدرت عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة
الشاردة ما لم يكن تنقصًا وازراء فيعاقب عليها ويؤدب بمقدار نادره
مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها وشرح سببها
ومقارنها وقد سئل ابن القاسم رحمه الله عن رجل نادى رجلا باسمه
فاجابه لبيك اللهم لبيك قال ان كان جاهلًا او قاله على وجه
سفه فلا شيء عليه قال القاضي ابو الفضل وشرح قوله انه لا قتل
عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد
انزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف كثير من سخفاء
الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة فاتوا
من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا عن ذكره ولولا انا
قصدنا نص مسائل حكيناها لما ذكرنا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه
في هذه الفصول واما ما ورد في هذا من اهل الجهالة واغاليط اللسان
اللسان كقول بعض الاعراب رب العباد ما لنا وما لكا قد
كنت تسقينا فما بدا لكا انزل علينا الغيث لا ابا لكا في اشباه
طوغرلي لهذا من كلام الجهال ممن لم يقومه ثقاف تاديب الشريعة
والعلم في هذا الباب فقلما يصدر الا عن جاهل يجب تعليمه وزجره
والاغلاظ له عن العودة الى مثله قال ابو سليمان الخطابي هذا
تهور من القول والله جل جلاله منزه عن هذه الامور وقد روينا فارسي
عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم احدكم ربه ان يذكر اسمه في
كل شيء حتى لا يقول اخزى الله الكلب وفعل به كذا وكان بعض اخزى الله نسخ
من ادركنا من مشايخنا قلما يذكر اسم الله تعالى الا فيما يتصل
بطاعته وكان يقول للانسان جزيت خيرًا وقلما يقول جزاك

الله حيرا اعظاما لاسمه تعالى ان يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة
ان الامام ابا بكر الشاشي كان يعيب على اهل الكلام كثرة خوضهم
فيه تعالى في ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون
بالله عز وجل وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي
صلى الله عليه وسلم وعلى الوجوه التي فصلناها والموفق الله
فصل وحكم من سب سائر انبياء الله وملائكته او استخف بهم او
كذبهم فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم حكم نبينا عليه السلام على مساق ما
قدمناه قال الله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون
ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض
الآية وقال الله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى
ابراهيم الآية الى قوله لا نفرق بين احد منهم سه وقال كل امن بالله
وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله قال مالك في
كتاب ابن حبيب ومحمد وقال ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد
الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم الانبياء او احدا منهم او تنقصه قتل
ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم وروى سحنون
عن ابن القاسم من سب الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي
به كفر ضربت عنقه الا ان يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا الاصل
وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض اجوبته من سب الله
تعالى ملائكته قتل وقال سحنون من شتم ملكا من الملائكة فعليه
القتل وفي النوادر عن مالك فيمن قال ان جبريل اخطا بالوحي وانما
كان النبي علي بن ابي طالب استتيب فان تاب والا قتل ونحوه عن
سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم
كان النبي اشبه بعلي من الغراب بالغراب قال ابو حنيفة واصحابه
على اصلهم من كذب باحد من الانبياء او تنقص احدا منهم او برئ
منه فهو مرتد يقتل وقال ابو الحسن القابسي في الذي قال لآخر

هم من ائمة المالكية

او شك

لآخر كأنه وجه مالك الغضبان لو عرف انه قصد ذم الملك قتل
قال القاضي ابو الفضل وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه وعلى جملة الملائكة
والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه او حققنا علمه بالخبر المتواتر
والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع كجبريل وميكائيل ومالك و
خزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القرآن
من الملائكة ومن سمي فيه من الانبياء وكعزرائيل واسرافيل و
رضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة المتفق على قبول
الخبر بهما فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه
من الملائكة او الانبياء كهاروت وماروت في الملائكة والخضر
ولقمان وذي القرنين ومريم واسية وخالد بن سنان المذكور
انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي تدعي المجوس والمؤرخون
نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمنا اذ لم تثبت
لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم واذاهم ويؤدب بقدر
حال المقول فيهم لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم
وان لم تثبت نبوته واما انكار نبوته او كون الآخر من الملائكة
فان كان المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء
في ذلك وان كان من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا
فان عاد ادب اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف
الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامة
فصل واعلم ان من استخف بالقرآن او المصحف او بشيء
منه او سبهما او جحده او حرفا منه او آية او كذب به او بشيء
منه او كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت ما نفاه
او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك في شيء من ذلك فهو
كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا
يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم

او على تعيين

حميد

حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد قال ثنا ابو علي
ثنا ابن عبد البر ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا ابو داود
ثنا احمد بن حنبل ثنا يزيد بن هرون ثنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء في القرآن كفر
تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس عن النبي صلى
الله عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله تعالى من المسلمين
فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التورية والانجيل وكتب الله
المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع
المسلمون ان القرآن المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في
المصحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب
العالمين الى آخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله تعالى ووحيه
المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان
من نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف آخر مكانه او زاد
فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع
على انه ليس من القرآن عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا رأى مالك
قتل من سب عائشة رضي الله عنها بالفرية لانه خالف القرآن ومن
من خالف القرآن قتل اي لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من
قال ان الله لم يكلم موسى تكليما يقتل وقاله عبد الرحمن بن مهدي
وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله
تضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه قال
كذلك ان شهد شاهد على من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما وشهد
آخر عليه انه قال ان الله ما اتخذ ابراهيم خليلا لانهما اجتمعا على انه
كذب النبي صلى الله عليه وسلم ابو عثمان الحداد جميع من ينتحل التو
التوحيد متفقون ان الجحد بحرف من التنزيل كفر وكان ابو
العالية اذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول

يقول انا انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك ابراهيم فقال أراه سمع انه من كفر
بحرف منه فقد كفر به كله وقال عبد الله بن مسعود من كفر باية
من القرآن فقد كفر به كله ومن كفر به قتل وقال اصبغ بن الفرج من
كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به فقد
كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله وقد سئل القابسي عمن خاصم
يهوديا فحلف له بالتورية فقال الآخر لعن الله التورية
فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر انه سأله عن القضية فقال
انما لعنت تورية اليهود فقال ابو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب
القتل والثاني علق الامر بصفة تحتمل التأويل اذ لعله لا يرى
اليهود متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو
اتفق الشاهدان على لعن التورية مجردا لضاق التأويل وقد
اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرئ احد ائمة المقرئين
المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته واقرائه بشواذ من الحروف
مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا
شهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة سنة
ثلاث وعشرين وثلاث مائة وكان فيمن افتى عليه بذلك
ابو بكر الابهري وغيره وافتى ابو محمد بن ابي زيد بالادب فيمن قال
لصبي لعن الله معلمك وما علمك واما من لعن المصحف فانه
يقتل فصل واما من سب آل بيته وازواجه واصحابه عليه السلام
وتنقصهم حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه
الله ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل العدل ثنا ابو يعلى ثنا
ابو علي السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا محمد بن يحيى ثنا
يعقوب بن ابراهيم ثنا عبيدة بن ابي رائطة عن عبد الرحمن
بن زياد عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى
الله الله في اصحابي الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي

فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم
فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك
ان ياخذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا اصحابي فانه يجيء قوم في آخر الزمان يسبون اصحابي
فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم
وان مرضوا فلا تعودوهم وعنه عليه السلام من سب اصحابي
فاضربوه وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم
يؤذيه واذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام فقال لا تؤذوني في
اصحابي فان من آذاهم فقد آذاني وقال لا تؤذوني في عائشة و
قال في فاطمة هي بضعة مني يؤذيني من آذاها وقد اختلف
العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والادب
الوجيع قال مالك رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
قتل ومن شتم اصحابه ادب قال ايضا من شتم احدا من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر او عمر او عثمان او عليا او معاوية
او عمرو بن العاص فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان شتمهم بغير
هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من غلا
من الشيعة الى بغض عثمان والبراءة منه ادب ادبا شديدا ومن
زاد الى بغض ابي بكر وعمر فالعقوبة اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى
يموت ولا يبلغ به القتل الا في سب النبي صلى الله عليه وسلم
وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن سحنون
من قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم انهم كانوا على ضلال
وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد

عقوبة

الشديدة وروى عن مالك من سب ابا بكر جلد ومن سب
عائشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف القرآن وقال ابن
شعبان عنه لان الله تعالى يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم
مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي ان القاضي
ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر في القرآن ما نسبه اليه
المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
سبحانه في آي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون الى عائشة رضي الله
عنها فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك
هذا بهتان عظيم سبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه في تبرئته من
السوء وهذا يشهد لقول مالك رحمه الله في قتل من سب عائشة
رضي الله عنها ومعنى هذا والله اعلم ان الله تعالى لما عظم سبها كما عظم سبه
وكان سبها سبا لنبيه صلى الله عليه وسلم وقرن سب نبيه واذاه
باذاه تعالى وكان حكم موذيه تعالى القتل وكان حكم موذي نبيه كذلك
كما قدمناه وشتم رجل عائشة رضي الله عنها بالكوفة فقدم الى موسى
بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى انا فجلده ثمانين
وحلق رأسه واسلمه الى الحجامين وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه انه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود فكلم
في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم وروى ابو ذر الهروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
اتي باعرابي يهجو الانصار فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه قال مالك
من انتقص احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له
في هذا الفيء حق قد قسم الله الفيء في ثلاثة اصناف فقال للفقراء
المهاجرين الآية ثم قال والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم الآية
وهؤلاء الانصار ثم قال والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا
اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية فمن تنقصهم

بن شعبان

فلا حق له في فيء المسلمين وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد
منهم انه ابن زانية وامه مسلمة حُدّ عند بعض اصحابنا حدّين
حدًّا له وحدًّا لامه ولا اجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا
على غيره ولقوله صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي فاجلدوه
قال ومن قذف ام احدهم وهي كافرة حُدّ حدّ الفرية لانه
سبٌّ له فان كان احد من ولد هذا الصحابي حيًّا قام بما يجب له
والا فمن قام به من المسلمين كان على الامام قبول قيامه قال
وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم صلى الله
عليه وسلم ولو سمعه الامام واشهد كان ولي القيام به قال ومن سب
غير عائشة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ففيها قولان
احدهما يقتل لانه سب النبي صلى الله عليه وسلم بسب
حليلته والآخر انها كسائر الصحابة يجلد حدّ المفتري قال و
بالاول اقول وروى ابو مصعب عن مالك من سب من انتسب
الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر
ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق النبي صلى الله
عليه وسلم وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل انكر تحليف
امراة بالليل وقال لو كانت بنت ابي بكر الصديق ما
حلفت الا بالنهار وصوّب قوله بعض المتسمين بالفقه فقال
ابو المطرف ذكر هذا لابنة ابي بكر في مثل هذا يوجب عليه الضرب
الشديد والسجن الطويل والفقيه الذي صوّب قوله هو
احق باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم اليه في ذلك ويزجر
ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله
تعالى وقال ابو عمران في رجل قال لو شهد عليّ ابو بكر الصديق
رضي الله عنه انه ان كان اراد ان شهادته في مثل هذا لا يجوز فيه
غير هذا فيضرب ضربا يبلغ به حدّ الموت وذكرها رواية قال

اي طلب الحد — ابن شعبان — او نائبه — اقوى — متسمين — منكر — ولا شيء عليه شاهد واحد — وان اراد ..

قال القاضي ابو الفضل رحمه الله هنا انتهى القول بنا فيما حررناه و
انتجز الغرض الذي انتحيناه واستوفي الشرط الذي شرطناه
مما ارجو ان يكون في كل قسم منه للمريد مقنع وفي كل باب منهج الى بغيته
ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع و
كرعت في مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل في اكثر التصانيف
مشرع واودعته غير ما فصل وددت لو وجدت من بسط
قبلي الكلام فيه او مقتدى يفيدنيه عن كتابه او فيه لاكتفي بما اورده
عما ارويه والى الله تعالى جزيل الضراعة في المنة بقبول ما منه لوجهه
والعفو عما تخلله من تزين وتصنع لغيره وان يهب لنا ذلك
بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه من شرف مصطفاه وامين وحيه
واسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله واعملنا فيه خواطرنا من ابراز
خصائصه ووسائله ويحمي اعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا كريم
عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد اذا اذيد المبدل عن حوضه ويجعله لنا ولمن
تهمم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا باسبابه وذخيرة نجدها يوم تجد
كل نفس من خير محضرا نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصى
زمرة نبينا وجماعته ويحشرنا في الرعيل الاول واهل الباب الايمن من
اهل شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى اليه من جمعه والهم وفتح البصيرة
لدرك حقائق ما اودعناه وفهم ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا
يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو الجواد الذي لا يخيب
من امله ولا ينتصر من خذله ولا يرد دعوة القاصدين
ولا يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا ونعم الوكيل و
صلواته على سيدنا ونبينا خاتم النبيين وامام
المتقين وعلى آله وصحبه اجمعين وسلم
تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد
تمت الشفا الشريف لله رب العالمين بحمد الله على توفيقه

تم — مطلوب — بقيد فيه — او ما دق

